

ديوان المازني

ديوان المازني

ديوان المازني

تأليف
إبراهيم عبد القادر المازني



ديوان المازني

إبراهيم عبد القادر المازني

رقم إيداع ١٩٢١١ / ٢٠١٣
تدمك: ٣ ٦ ٤٥٦ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ +   **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

المحتويات

الجزء الأول	١١
الطبع والتقليد في الشعر العصري	١٣
الإهداء	٢٧
الورد	٢٩
الماضي	٣١
الدَّار المهجورة	٣٣
الجمال إذا هوى	٣٥
الإخوان	٣٧
فتًى في سياق الموت	٣٩
المناجاة	٤١
أحلام الموتى	٤٣
أماني وذكر	٤٥
ثورة النفس	٤٧
ليلة وداع	٤٩
رقية حسناء	٥١
الوردة الذابلة	٥٣
لحظ الحبيب	٥٥
بعد الموت	٥٧
لفظ الحبيب	٥٩
مناجاة شاعر	٦١

إلى صديق قديم	٦٣
الذكرى	٦٩
مناجاة حسناء	٧١
قبر الشعر	٧٣
عتاب	٧٥
مناجاة ملَّاح	٧٧
السُّلُوُّ	٧٩
حالة	٨١
ليلة	٨٣
هيهات بابل من نجد	٨٥
استقبال صديق	٨٧
حلم اليقظة	٨٩
الكتمان	٩١
النظر	٩٣
إلى صديق	٩٥
الخمر والحب	٩٧
وصية	٩٩
الخمر والحب	١٠١
إلى عاتب	١٠٣
الإسكندرية	١٠٥
حلم اليقظة	١٠٧
مناجاة الهاجر	١١١
العتاب	١٢١
الملل من الحياة	١٢٣
الخاتمة	١٢٥
الجزء الثانى	١٢٧
الإهداء	١٢٩
المقدمة	١٣١

الراعي المعبود	١٣٧
الوردة الرسول	١٣٩
نهر الحياة	١٤١
لشاكسبير	١٤٣
حواء والمرأة	١٤٥
من رباعيات عمر الخيام	١٤٧
كل يوم لي شكاة	١٤٩
وإلَّا	١٥١
ألحان بنات البحر	١٥٣
البحر والظلام	١٥٥
في المناجاة	١٥٧
الماضي الحي	١٥٩
فلسفة المُحب	١٦٣
الصدق في الكذب	١٦٥
القطيعة	١٦٧
الربح والخسارة	١٦٩
ظمأ النفس إلى المعرفة	١٧٣
على لسان الأقدار	١٧٥
الأقدار	١٧٧
شفاعة الحب	١٧٩
مراجعة الحب	١٨١
لا ملام ولا عتاب	١٨٣
العاشق المعشوق	١٨٥
الإنسان والغرور	١٨٧
أشباح الماضي على جثة الأمس	١٨٩
سحر الحب	١٩١
الشوكة الجديدة	١٩٣
مخلوق الخيال	١٩٥

الشاعر المحتضر	١٩٧
خواطر الظلام	٢٠١
عزاء الشعراء	٢٠٣
زهرة الشر أو الحب	٢٠٥
محاسبة النفس	٢٠٧
تقديم الصبوات	٢٠٩
عظة المحبوب	٢١١
عبث الحياة وباطلها	٢١٣
حلم الشباب	٢١٥
الشاعر	٢١٧
إلى العقاد	٢١٩
إلى صديق	٢٢١
أنشودة الشتاء	٢٢٣
الأسافل والأعالي	٢٢٥
مناجاة الحسن	٢٢٧
الأزاهير الميتة	٢٣١
زهرة الصخر	٢٣٣
إكليل الشوك	٢٣٧
الموت ثمرة الحياة	٢٣٩
وحشة الحياة	٢٤١
الطفولة	٢٤٣
عالم الكرى وعالم اليقظة	٢٤٥
إلى رجل يشتمنا	٢٤٧
إلى مُدِلٍّ بجماله	٢٤٩
اللحظ المصروف	٢٥١
إلى صدقي	٢٥٣
الشعر والريح	٢٥٥
في الرثاء	٢٥٧

في العتاب ٢٥٩
الغزال الأعمى ٢٦١
ليلة ٢٦٣
العقل والموت ٢٦٥
الليل والهم ٢٦٧
الضمير ٢٦٩
الملَّاح المسحور ٢٧١
مخاوف النفس ٢٧٣
حصاد عيش ٢٧٥
محمد وعزوز أو الموسيان ٢٧٩
يا أم ٢٨١
الميت الحي ٢٨٣

الجزء الثالث ٢٨٥
معاهدَة غراميَّة ٢٨٧
اللصُّ ٢٩١
خواطر في الموت ٢٩٣
إلى صديق ٢٩٥
في رثاء بنتٍ لي ٢٩٧
غَدًا ٢٩٩
خواطر الأرق ٣٠١
وصيَّة شاعِر ٣٠٣
هاجِسٌ ٣٠٥
ولهلم الثاني ٣٠٧
كانَ لِي ٣٠٩
وقفَة في الحياة ٣١١
إنشاء الشاعر شعره ٣١٣
إلى العقاد ٣١٥
النسر المهيض ٣١٧

الحمار المُسْتأسِد	٣١٩
كأسُ النِّسْيَان	٣٢٣
الغريرة	٣٢٥
شهداء الغُرْبة	٣٢٧
أيَن أمُّك	٣٢٩
إلى العَقَّاد	٣٣١
رثاء الشَّهيد محمد بك فريد	٣٣٣
ليلة وصباح	٣٣٧
الدَّهر والحَياة	٣٤١
تحيَّة البطل	٣٤٣
العِراك	٣٤٧
في المُنَاجاة	٣٥٩
انظر إلى وجهي	٣٦١
إلى صديق	٣٦٣

الجزء الأول

سبق طبع هذا الجزء في حياة الشاعر — رحمه الله — وهو مشروح بقلمه.

الطبع والتقليد في الشعر العصري

للشاعر الكاتب العبقري الجليل
عباس محمود العقاد

حسب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على أحدهم إن أراد أن يكون شاعرًا عصريًّا إلا أن يرجع إلى شعر العرب بالتحدي والمعارضة، فإن كانت العرب تصف الإبل والخيام والبقاع، وَصَفَ هو البخار والمعاهد والأمصار، وإن كانوا يشببون في أشعارهم بدعد ولبنى والرباب، ذكر هو اسمًا من أسماء نساء اليوم، ثم حور من تشبيهاتهم، وغير من مجازاتهم بما يناسب هذا التحدي؛ فيقال حينئذٍ: إن الشاعر مبتدع عصري، وليس بمقلد قديم.

وهذا حسبان خطأ؛ فما أبعدَ هذا الشعر عن الابتداع! والأخلق به أن يسمى الابتداع التقليدي؛ لأنه ضرب من ضروب التقليد، فلولا أن شاعرًا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا أن يعارضوه، وإن شئت فارفع النموذج من أمام أعينهم تقف الأقلام في أيديهم ولا يخطون خطًّا، فلو أن الشاعر منهم كان نقاشًا لَمَا عرَف كيف يَطلي جداره بالدهان الأبيض، ما لم يرَ أمامه جدارًا أسود الدهان.

وليس المبتدع كمن يبتني له حوضًا تجاه ينابيع المطبوعين، يرصفه بحجارتها وحصبائها، ويملؤه بطينها ومائها، ثم يدعوه بغير أسمائها، ولكن المبتدع من يكون له ينبوع يستقي منه كما استقوا، ولا قبل بذلك إلا لمن كان له سائق من سليقة تهديه إلى

مواقع الماء، وبصر كبصر الهدهد يزعمون أنه يرى مجاريَ الماء تحت أديم الأرض وهو طائر في الهواء.

كان شعر العرب مطبوعًا لا تصنُّع فيه، وكانوا يصفون ما وصفوا في أشعارهم ويذكرون ما ذكروا؛ لأنهم لو لم ينطقوا به شعرًا، لجاشت به صدورهم زفيرًا، وجرت به عيونهم دمعًا، واشتغلت به أفئدتهم فكرًا، وأمَّا نحن فلا موضع لتلك الأشياء من أنفسنا؛ فهي لا تهتاجنا كما اهتاجتهم، ولا تُصبينا كما أصبَتهم، وإذا سكتنا عن النَّظْم فيها لا تخطر لنا إلا كما تمر الذكرى بالذهن، والمرء إذا تذكر لا يقلد من يتذكرهم، ولكنه يتحدث بهم، ويصف ما عنده من الأسف عليهم، أو الشوق إليهم.

والشعر العصري كهذا الشعر في أنه شعر الطبع، وأنه أثر من آثار روح العصر في نفوس أبنائه، فمن كان يعيش بفكره ونفسه في غير هذا العصر، فما هو من أبنائه، وليس خواطر نفسه من خواطره.

تمر على صفحة الزمن عصور خابية، لا تسمع لها حسًّا، ولا تختلج العين من جانبها بقبس، ويكاد يكون الفلك قد قذف بها من جوفه ميتة، فهي من لحدها في مهد، ومن مهدها في لحد.

هذه عصور لا ترى لأحدها ملامح ينماز بها عما قبله أو ما بعده، وهي عصور الغفلة التي تعقب إدبار الدول، تنعدم فيها مَلَكة الابتكار، وينشر التقليد رواقه على كل مزاولات الحياة؛ فلا ترى عالمًا ولا أديبًا ولا حاكمًا ولا تاجرًا ولا صانعًا إلا وهو مقلد في عمله، ويكل الناس أمرهم إلى فئات تصوغ لهم الأفكار والعقائد والأذواق، وتُخرجها إليهم متشابهة، كما تُخرج المعامل مصنوعاتها إلى الشُّراة من طراز واحد.

وقد أصاب الأدبَ العربيَّ هذه الآفةُ، فقتلت فيه روح البراعة والصدق، وقصرته زمانًا على التقليد والمحاكاة، حتى لقد بلغ بهم الولوع بما سمَّيناه الابتداع التقليدي، أنهم وصفوا الدمع الأحمر، والدمع الأصفر، والدمع الأزرق، والدمع الأخضر، والدمع البنفسجي، وحسبوا ذلك من بدائع الافتتان، وأنهم جاءوا بطائل كبير.

على هذه الوتيرة من الكذب في الإحساس، والتقارب في سياق النظم، ومعاني الشعر، كان غالب شعراء اليتيمة، حتى لتحسب الكِتاب — لولا قليل من الشعر الجيد الحي فيه — ديوانًا لشاعر واحد.

وأخذ ينقه الأدب من هذه الآفة منذ نحو العشرين سنة، أي حين بلغت دعوة الحرية الفكرية مسامع الشرقيين فراغوا إلى أنفسهم يسألونها عن سالفهم ومؤتنفهم،

ويستفسرونها عن حياتهم ومماتهم، كما يسأل الناشئ نفسه إذا وُكل إليه أمره، وانفصل عن رعاية أبيه أو ولِيِّه؛ وكانت علامة ذلك أن ظهر التفاوت في الأساليب، وانفرد كل كاتب أو شاعر بطريقة في كتابته أو نظمه، والتفاوت في الأساليب دليل الاستقلال، والاستقلال دليل الطبع والحياة، وهل يتفق التشابه والتماثل إلا فيما له قوالب وأنماط؟ وأين القوالب والأنماط إلا في صيغ الألفاظ وتراكيبها؟

وكما يكون التفاوت في الأساليب بين شعراء الأمة دليلًا على حياتها، وتنبُّه الطباع في أبنائها، يكون التفاوت في شعر الشاعر دليلًا أيضًا على حياته وطبعه، ولقد سمعت أديبًا يعيب شاعرية المتنبي ويصغرها لبعد ما بين جيده ورديئه، وهو الآية على شاعريته عندي، إن لم تكن آية سواه؛ لأن الشاعر قد يحكم قلمه، ويدعو الألفاظ فتسعفه، ولكنه لا يحكم طبعه، ولن يكون الطبع عند دعوته، بل إنما الإنسان عند دعوة طبعه، وهو رهن مما توحي إليه سجيته.

ولسنا نعني بذلك أن كل شاعر له في شعره الجيد والرديء، هو شاعر مطبوع، فإن لكل ذهن خامد جلوة، ولكل طبع بارد سورة، والريشة الميتة قد ترفعها الريح إلى حيث تحوم أجنحة الكواسر، وقد يسمو الطبع الكليل إذا استفزته العاطفة، فيسترق السمع من منازل الإلهام، ثم لا يكاد يلتفت إلى نفسه حتى يهوي إلى مقره، ويروقني في هذا المعنى قول لويس مترجم جيتي شاعر الألمان، وذلك إذ يقول في عرض كلامه عن رواية فوست: «ربما كانت مقدرة العقل الكبير لا تظهر إلا في مثل هذه الصغائر، وأما الكُتَّاب الأصاغر فإنهم يبالغون في هذه الأغراض أو يقصرون عنها، ولكنهم لا يعطونها حقها، انظر إلى الأجسام فإنها تضيء كلها على درجات مختلفة من الحرارة، وكذلك صاحب العقل الخافت قد يأتي بالفلق، وينطق بالحكمة، وهو مضطرم النفس، محتدم الطبع، ولكن من تلك الأجسام ما يعود إلى المألوف من حاله، فينم عن غلظه وكثافته، والعقل الخافت إذا فترت حرارته، عاودته ضآلته، وفارقته تلك القوة التي اقتسرها على الخروج ضغط الأفكار المزدحمة عليه، ولذع العاطفة المتأججة فيه، وفي ذلك مصداق المثل السائر القائل: إن الكبائر تظهرها الصغائر، والريح إذا هبت على الماء تشابه الغمر بالضحضاح، حتى إذا استقرت الأمواج رأينا قاع الضحضاح قريبًا، وعلمنا أن غور الغمر أبعد مما يصل إليه مسبارنا.»

وربما تشدد بعض النقاد فجعلوا شعور الشاعر بنفسه، حدًّا بين الطبع والتكلف، فإذا خُيِّل للناقد وهو يقرأ القصيدة أنه نسي الشاعر، ولا يذكر إلا شعره، فالشاعر مطبوع،

وإن كان يلوح له وجه الشاعر من حين إلى حين بين أبيات القصيدة، فهو عنده متكلف صناع. ولست أنا ممن يميلون إلى هذا الرأي؛ لأنه يُخرج كثيرًا من الشعراء المجيدين من عداد الشعراء المطبوعين، ولا فرق عندي بين شاعر يشعر بنفسه في كلامه، وشاعر يغيب في عاطفته، إلا كالفرق بين المليح المزهو بجماله، والمليح الذي يوهمك كأنه قد نسي أنه جميل، على أن لكلٍّ منهما جماله، ونحن عَسِيُّون أن ننظر إلى ذلك الشعر، فإن كان صادقًا مؤثرًا فهو من شعر الطبع، وإلا فهو من شعر التكلُّف، وهو إذنْ لا بالمليح المزهو، ولا بالمليح الغافل عن جماله، وإنما هو دميم يتحالى بالطلاء والزينة.

ويختلف شعر الطبع في لغة الأمة بين عصر وعصر، كما يختلف منهاجه في العصر الواحد بين شاعر وشاعر، وكما تختلف درجته من الإجادة في شعر الشاعر الواحد بين قصيدة وقصيدة.

فالشعر العربي قد اتخذ له في كل عصر طريقة تناسب روح ذلك العصر، وهذه الطريقة العصرية لا تشبه طريقة البداوة، ولا هي في شيء من طريقة الدولة العربية، ولكنها طريقة يمليها عصرٌ تغيَّر فيه محل الإنسان من بيئته ومجتمعه، وخلعت فيه الطبيعة أمام عينيه ثوبًا بعد ثوب، حتى وقفت بالمجسد بين يديه؛ فظهر له ما كان خافيًا، وازداد توقه إلى استطلاع ما لم يبدُ، وكان فيما بدا له مقابح ومحاسن، كان سابق ظنه بها غير ما عاينه منها، فلو أن شعراء المذهبات بُعثوا اليوم من أرماسهم، لما نظموا حرفًا واحدًا من مذهباتهم، ولكانوا في المذهب العصري أشد من أشد دعاتنا غلوًّا في الدعوة إليه.

قلنا: إن الشعر العربي نشأ منشأً جديدًا من نحو العشرين سنة، ونقول: إنه كان نضالًا نزع فيه الظافر أسلاب المخذول، ولكنه لبسها؛ فكان ظافرهم ومخذولهم أقرب الناس زيًّا، وأشبههم بزة، ونحن اليوم غيرنا قبل عشرين سنة؛ لقد تبوأ منابرَ الأدب فتيةٌ لا عهد لهم بالجيل الماضي، ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالًا بعد جيلهم، فهم يشعرون شعور الشرقي، ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي، وهذا مزاجٌ أول ما ظهر من ثمراته أن نزعت الأقلام إلى الاستقلال، ورفع غشاوة الرياء، والتحرر من القيود الصناعية، هذا من جهة الأغراض والأنساق، وأما من جهة الروح والهوى، فلا يعسر على الندس البصير أن يلمح مسحة القطوب للحياة في أسرة الشاعر العصري الحديث، ويتفرس هذا القطوب حتى في الابتسامة المستكرهة التي تتردد أحيانًا بين شفتيه.

وحسب الأدب العصري الحديث من روح الاستقلال في شعرائه أنهم رفعوه من مراغة الامتهان التي عفرت جبينه زمنًا، فلن تجد اليوم شاعرًا حديثًا يهنئ بالمولود، وما نفض

يديه من تراب الميت، ولن تراه يطري من هو أول ذاميه في خلوته، ويقذع في هجو من يكبره في سريرته، ولا واقفًا على المرافئ يودع الذاهب ويستقبل الآيب، وما بالقليل من هذه الروح الشماء في الأدب أنها استطاعت أن تُجهِز على آداب المواربة والتزلف بيننا، أو تردها إلى وراء الأستار، بعد إذ كانت تنشد في الأشعار، وينادى بها في ضحوة النهار.

ولا مكان للريب في أن القيود الصناعية التي أشرنا إليها ستجري عليها أحكام التغيير والتنقيح، فإن أوزاننا وقوافيَنا أضيق من أن تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه، وقرأ الشعر الغربي، فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة، وكيف تلين في أيديهم القوالب الشعرية، فيودعونها ما لا قدرة لشاعر عربي على وضعه في غير النثر، ألا يرى القارئ كيف سهل على العامة نظم القصص المسهبة، والملاحم الضافية الصعبة، في قوافيهم المطلقة؟ وليت شعري بم يفضل الشعر العامي الفصيح إلا بمثل هذه المزية؟

ولقد رأى القراء بالأمس في ديوان شكري مثالًا من القوافي المرسلة والمزدوجة، والمتقابلة، وهم يقرءون اليوم في ديوان المازني مثالًا من القافيتين المزدوجة والمتقابلة، ولا نقول إن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان والقوافي وتنقيحها، ولكنا نعده بمثابة تهييء المكان لاستقبال المذهب الجديد؛ إذ ليس بين الشعر العربي وبين التفرع والنماء إلا هذا الحائل، فإذا اتسعت القوافي لشتى المعاني والمقاصد، وانفرج مجال القول، بزغت المواهب الشعرية على اختلافها، ورأينا بيننا شعراء الرواية، وشعراء الوصف، وشعراء التمثيل، ولا تطول نفرة الآذان من هذه القوافي، ولا سيما في الشعر الذي يناجي الروح والخيال أكثر مما يخاطب الحس والآذان.

وما كانت العرب تنكر القافية المرسلة، فقد كان شعراؤهم يتساهلون في التزام القافية، كما في قول الشاعر:

ألا هل إن لم تكن أم مالك	بملك يدي أن الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جفاءً وغلظةً	إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل إنني	بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشري رحله قال قائل	لمن جمل رخو الملاط نجيب

وكقول غيره:

بنات وطاء على خد الليل لا يشتكين عنتًا ما أنضين

وكقول الآخر:

جارية من ضبة بن أد كأنها في درعها المنعط

وبعض هذه القوافي — كما تراها — قريبة مخارج الرَّوِيِّ، وبعضها تتباعد مخارجه، ولكنهم كانوا على حالة من البداوة والفطرة لا تسمح لغير الشعر الغنائي بالظهور والانتشار، وكانوا لا يعانون مشقة في صوغ هذه الأشعار في قوالبهم، فلم يلجَئُوا إلى إطلاق القافية، ولا سيما في شعر يعتمد في تأثيره على رنته الموسيقية، وجاء العُروضيون فعدوا ذلك عيبًا، وسموه تارة بالإكفاء، وتارة بالإجازة أو الإجارة؛ لقلة ما وجدوا منه في شعر العرب، فلما انتقلت اللغة العربية إلى أقوامٍ سلائقهم وحالهم أميل إلى ضروب الشعر الأخرى، اعتسروا القوافي على أداء أغراضهم، ولم تشعر آذانهم بهذا الذي عده العروضيون عيبًا في القافية، فاحتملت لغتهم المحرفة وقوافيهم المتقاربة ما لم تحتمله أوزان الجاهلية وقوافيها.

على أن مراعاة القافية والنغمة الموسيقية — في غير الشعر المعروف عند الإفرنج بشعر الغناء — فضول وتقيُّد لا فائدة منه، ولا بد أن ينقسم الشعر إلى أقسام، يكون الشعر في بعضها أكثر من الموسيقى، ومن بقايا الموسيقى الأولى في الشعر هذه القيود اللفظية، وقد ذهب سبنسر في مقاله عن الرقي إلى أن الشعر والموسيقى والرقص، كانت كلها أصلًا واحدًا، ثم انشق كلٌّ منها فنًّا على حدته، ومن قوله في ذلك: «إن الروي في الكلام، والروي في الصوت، والروي في الحركة، كانت في مبدئها أجزاءً من شيء واحد، ثم انشعبت واستقلت بعد توالي الزمن، ولا تزال ثلاثتها مرتبطة عند بعض القبائل الوحشية؛ فالرقص عند المتوحشين يصحبه دائمًا غناء من نغم واحد، وتصفيق بالأيدي، وقرع على الطبول، فهناك حركات موزونة، وكلمات موزونة، وأنغام موزونة … وفي الكتب العبرية أنهم كانوا يرتلون القصيدة التي نظمها موسى بعد قهر المصريين، وهم يرقصون على نقر الدفوف، وكان الإسرائيليون يرقصون ويتغنون بالشعر في وقت معًا عند الاحتفال بالعجل الذهبي …

على أن الشعر وإن لم ينفصل بعدُ عن الموسيقى، إلا أنهما قد انفصل كلاهما عن الرقص، فقد كانت قصائد الإغريق الدينية القديمة ترتَّل ولا تُتلى تلاوة، وكان ترتيل الشاعر مقرونًا برقص السامعين، فلما انقسم الشعر أخيرًا إلى شعر غنائي، وشعر قصصي، وأصبحوا يتلون الشعر القصصي، ولا يرتلون إلا الشعر الغنائي، وُلد الشعر المحض، وأصبح فنًّا مستقلًّا.»

ونحن لا نريد أن نفصل الشعر عن النغمة الموسيقية بتاتًا، ولكنا نريد أن يكون نصيب الشعر المحض في غير شعر الغناء أكبرَ من نصيب النغم، وأن نبقي أثر دقة الرجل — ونعني به القافية — في الشعر الذي كانوا يدقون الأرض بأرجلهم عند إنشاده، أي شعر النزوات النفسية، والعواطف المهتاجة.

والآن وقد أتينا على طرفٍ من رأْينا في تأثير العصر على أنساق الشعر وأغراضه نرى من تمام الكلام أن نقول كلمة عن تأثيره في روح الشعر، ونفوس الشعراء فنقول:

إن كان هذا العصر قد هز رواكد النفوس، وفتح أغلاقها كما قلنا، فلقد فتحها على ساحة من الألم تلفح المطل عليها بشواظها، فلا يملك نفسه من التراجع حينًا، والتوجع أحيانًا، وهو العصر، طبيعته القلق والتردد بين ماض عتيق، ومستقبل مريب، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون، وبين ما هو كائن، فغشِيَتهم الغاشية، ووجد كل ذي نظر فيما حوله عالمًا غير الذي صورتْه لنفسه حداثة العصر وتقدمه، والشاعر بجبلته أوسع من سائر الناس خيالًا؛ فالمثل الأعلى أرفع في ذهنه منه في أذهان عامة الناس، وهو ألطفهم حسًّا، فألمه أشد من ألمهم، وإنما يكون الألم على قدر بعد البون بين المنتظر وبين ما هو كائن، فلا جرم إن كان الشاعر أفطن الناس إلى النقص، وأكثرهم سخطًا عليه، ولا جرم إن كان ديوان شاعرنا على حد قوله:

كل بيت في قرارته   جثة خرساء مرنان
خارجًا من قلب قائله   مثلما يزفر بركان

أيقال: إننا بالغنا إذا قلنا: إننا في عهد لا نشاهد فيه إلا مسخًا في الطبائع، وارتكاسًا في الأخلاق، ونفاقًا في الأعمال والأقوال ...؟ لا والله بل يقال: إننا تغاضينا إذا لم نقل ذلك، وما يبالي متحرج في عهدنا أن يغمض عينيه، ثم يمضي على رأسه في الأسواق والنوادي، والمجامع والمعابد، فأي عاتق وقعت عليه يده، فيسأله ألا تعرف المعنى بهذه الأبيات:

يتلقاك بالطلاقة والبشـ	ـر وفي قلبه قطوب العداء
كالسراب الرقراق يحسبه الظمـ	ـآن ماء وما به من ماء
عاجز الرأي والمروءة والنفـ	ـس ضئيل الآمال والأهواء
ألف الذل فاستنام إليهِ	وتباهى به على الشرفاء
ينسج الزور والأباطيل نسجًا	والأكاذيب ملجأ الضعفاء
مستميت إلى المكاسب والربـ	ـح دنيء الإسفاف والكبرياء
فاسق يظهر العفاف ويخفي	تحته الخزي يا له من مراء
مظلم الحس والبصيرة كالتمـ	ـثال خلوٌ من الحجا والذكاء
قد زهاه الشموخ فاختال تيهًا	ولوى شدقه على الخلصاء

فإنه لا يخطئ مرة إلا أصاب ألفًا؛ فقد وصف المازني في هذه الأبيات نموذج الرجل العصري، فلم ينسَ صفة من صفاته، وأنى لرجل العصر أن يكون غير ذلك، وهو يبصر غير ما يسمع، ويسمع غير ما يعتقد، ويعتقد غير ما يجرأ على الجهر به، وذلك ديدن الناس في كل زمان تُحس في النفوس بالحاجة إلى الانتقال، فترسم مثال الكمال، ثم تكر إلى عالم الحقيقة، فلا تقابل إلا النقص والقصور، وإنها لتظل كذلك تتذبذب بين الباطن والظاهر؛ وهذا هو عين التصنُّع والرياء، وإن اشتد، فقل الخبث والصفاقة والكبرياء.

فإذا رأيت شاعرًا مطبوعًا في أمثال هذه الفترات المشئومة يبتهج ويضحك، فاعلم أن بين جنبيه قلبًا صدئ من نار الألم، أو حمأة الشهوات، وإلا فهو رجل مقلد ينظم بلسانه، ولا ينظم بوجدانه.

ألا ترى كيف كان حال الأدب في الفترة التي تقدمت الانقلاب الفرنسي؟ ألا تراهم كيف لعبت الحيرة بعقولهم؟ فمن داعٍ يدعو الناس إلى الطبيعة، ومن باحث يفكر في خلق مجتمع جديد، هذا ينحى على الدين، وهذا يسب الحياة ويلعن الوجود، وذلك تهوله فوضى الأخلاق، فيحسبها ضربة لازب، لا تنصلح ولا تتبدل، فيقوم في جنون الدهشة والذهول يحسن للناس التهتك والإباحة، أرأيت كيف استحكمت السآمة بشاتوبريان زعيم الأدب في تلك الفترة، فجعل يقول: «لقد سئمت الحياة حتى قتلتني السآمة، فلا شيء مما يحفل به الناس يعنيني، ولو أنني كنت راعيًا أو ملكًا، لما عرفت كيف أصنع بعصا الراعي، أو بتاج الملك، وما أظنني في الحالتين إلا كنت زاهدًا في المجد والعبقرية، ملولًا من العمل والبطالة، متبرمًا بالنعمة والشقاء؛ لقد أمضني الناس في أوروبة، وأسأمتني

الطبيعة في أميركا، فليس في هذه ولا في تلك ملاذٌ يهش إليه قلبي، وإنني لسليم القلب، طيب النحيزة، ولكن بغير غبطة، وإخالني لو خُلقت مجرمًا لكنت أكون كذلك بغير ندم، فليتني لم أُولد! ليت أن اسمي يعفي عليه النسيان فلا يُذكر أبدًا …»

وبعدُ، فهل ينبغي أن يحمد الناس كل زمان رأوه، وهل ثَمَّ ضرر عليهم في الشكوى من بعض الأزمنة، والنقمة عليها؟ كلا، ليس في الاستياء من الزمن السيئ ضرر، بل هذا هو الواجب الذي لا ينبغي سواه، وأولى أن يكون الضرر جد الضرر في الاطمئنان إلى زمان تتأهب كل بواطنه للتحوُّل والانتقال.

وما أهونَ التعليلَ السلبي! لقد سهل على بعض الكاتبين أن يعللوا هذا التذمر فحسبوا أنهم أدركوا الغاية، وأصابوا النتيجة.

نظروا إلى السخط الفاشي بين طبقات الناس، فلم يصعب عليهم أن يقولوا: إنه عرض من أعراض الحياة في المدن والحواضر، وهذا صحيح، وأي عجب في ذلك؟ إنما لحكمة كانت المدن مثار القلق والشكوى؛ لأن المدينة ربيئة المدنية، وحاملة أمانة الرقي الإنساني، ولئن كان التجاج الأصوات بالشكوى في هذه الأيام أشد وأجهز منه في الأيام القديمة؛ فذلك لأن الانتقال الوشيك أعظم من كل انتقال أحدثته الحياة المدنية إلى يومنا هذا.

ولو كان الناس كلهم على شاكلة الريفي في سكينته وقنوعه؛ لما بقي لهم بعد أن يفيض الماء، ويسلم الجو، وينجب الزرع مطلب في الحياة، وما برح أهل المدن بأيديهم زمام العلم والصناعة والفنون، والكفاح يدفعهم إلى الحركة وطلب الانتقال؛ فتتقدم على أيديهم هذه الفنون وتنشأ من تقلبهم المذاهب الاجتماعية المختلفة؛ فترتقي حقوق الناس وواجباتهم، وترتقي الحياة تبعًا لارتقاء هذه الحقوق والواجبات، وقد صدق «لاندور» حيث يقول على لسان بارو: «إن القانعين يجلسون ساكنين في أماكنهم، وأما الساخطون الناقمون فهم الذين يجني منهم العالم كل خير.»

ونظر أولئك الكُتَّاب هذه النظرة إلى رجال العبقرية في الأزمان المتأخرة، فوجدوهم لا يسلم أحدهم من علة في الجسم، فظنوا أنهم قد وقعوا على السر، وقالوا: لو لم يكن هؤلاء العبقريون مرضى لما عمت فلسفة السخط، كأنه ليس بين هذا العصر وبين أن يكون أقدم العصور أخلاقًا، وأرغدها عيشًا، وأتمها نظامًا، إلا أن يبرأ مائة رجل أو أكثر، أو أقل، من الداء!

بل لقد طاش بعضهم، فسمى عبقرية هؤلاء العظماء مسخًا راقيًا، وألحقهم بالمسوخين من زمنى الطبائع، ومرضى النفوس، الذين يخرج من بينهم القتلة والسرقة

والمخبولون، ولو أنهم كانوا ألحن للغة الطبيعية، لعرفوا أنها لا تجمع بين المرض والعبقرية عبثًا، وأن عظماء الأمم لو سلموا من الأدواء والعلل لوقفت الإنسانية اليوم عند حدود الآجام والكهوف.

ونحمد الله على أن ليست عقول هؤلاء الكُتَّاب في رأس الطبيعة! فكانت تبدلنا من كل نبي وحكيم وشاعر مصارعًا مضبور الخلق، عريض العنق، ولا ريب أن هذا العمل أريح لها من عناء تركيب الأمزجة، وتقسيم المواهب على قدر وحساب.

العبقري رجل أُرِيدَ به أن ينسى نفسه ليخلص نفعه لنوعه، فلو أنه خلق مكين المرة، قوي الأسر، لصرفته دواعي اللحم والدم عن المضي لوجهته، ولشغله ما يشغل سائر الناس من أمور المعاش والأبناء عما خُلق لأجله، ولا بد أن تضعف غريزة حفظ الذات فيه لتقوى بإزائها غريزته النوعية، ولن تضعف الغريزة الذاتية إلا بمرض في الجسد؛ أرأيت رجلًا معافى البدن ينسى نفسه ليعيش بعد موته في ذاكرة نوعه؟ أم أنت تراه قاصر الهم على حياته لا يعنيه من الدنيا سواها؟

وللنوع فرض عام يطلبه من جميع أفراده، وهو التكاثر بالتوالد، بَيْدَ أنه كلما سفل النوع وسفل الفرد، كان التوالد أكثر، ويطرد هذا الأمر في الإنسان؛ فإن أكثر الناس توالدًا هم أعجزهم عن حفظ النوع بغير وسيلة التوالد، وهم أحط الناس مداركَ وعقولًا، ثم ينشأ في بعض الأفراد قوًى أدبية ينفعون بها النوع، ويحفظونه من جهات شتى، فتعدو هذه القوى على غريزة النسل، حتى يبلغ الأمر نهايتيه في النابغة، فيكون أنفع الناس لنوعه بقواه الأدبية، وأقلهم نفعًا له بنسله؛ ولذلك لا يرغب النابغون في الزواج، وإن تزوجوا لا يلدون، وربما وُلد لهم، ولكن لا يعيش أبناؤهم، أو يعيشون ولكنهم يهملون في الغالب تربيتهم وإنباتهم، وتلك لعمري حكمة بالغة، وسر دقيق من أسرار الاقتصاد الطبيعي في تقسيم العمل.

إن كان للأمة جهاز عصبي، فإن الشاعر العبقري أدق هذه الأعصاب نسجًا، وأسرعها للمس تنبهًا، ولا غنًى لجسم الأمة عن هذه الأعصاب المفرطة في الإحساس، لتزعج الأمة لأخذ الحيطة بينما تجمد الأعصاب الصلبة في صمم البلادة والأنانية.

فلا يَنظرَنَّ الذين ينفقون فلسفة الرِّضَى عندنا إلى المسألة من جهة واحدة، ولا يقولُنَّ نحن في عصر العمل، فزخرفوا لنا الحياة وشوقونا إليها، كلا! لسنا يا قوم في عصر العمل، فكم من عمل يدعو العاملين ولا يجيبونه! وكم من عامل يفتأ يدعو العمل فلا يجيبه! بل نحن في عصر التردد والاستياء، ولا بد لهذا الاستياء أن يأخذ مداه، ويطلع على

كل نقص في أحوالنا، حتى إذا تمكن من النفوس فحركها إلى العمل، وعاد عليها العمل بالرِّضَى، فلا ينسَ الناس يومئذٍ فضل شعر الضجر والاستياء.

فلئن توسم القارئون في شعر هذا الديوان هذه السمة، فليذكروا أنهم يقرءون ديوان شاعر يترجم عن زمنه «والمرء في نفسه يرى زمنه» كما يقول.

ويُخيل إليَّ أن أخانا إبراهيم لو لم ينبغ في هذا العصر السوداوي، ونبغ في عصر فجر التاريخ، لكان هو واضع أسماء الجنة، عمار الغيران والجبال، وساقة السحب والرياح والأمواج، فإن به لَولعًا بوصفها، وإن أذنه لتتسمَّعها كأنها تنشد عندها خبرًا، وأظنه لو كان خلق الدنيا، لما خلقها إلا جبالًا عظيمة، وكهوفًا جوفاء، ورياحًا مدوية، وغمامًا مرزمًا رجاسًا، وبحرًا مصطخبًا عجاجًا، انظر كيف يصف الغار الذي يتمناه في قصيدة مناجاة الهاجر:

يا ليت لي والأماني إن تكن خدعًا	لكنهن على الأشجان أعوان
غارًا على جبل تجري الرياح به	حيرى يزافرها حيران لهفان
هل أنس ليلتنا والغيث منسكب	وللبروق بقلب السحب أثخان
وقوله ليَ من لي أن تظللني	من السحاب على الأطواد غيران
ريح تهب لنا من كل ناحية	وديمة كحلها نور ونيران
يلفنا الليل في طيات حندسه	كما يُغيِّب سِرَّ المرء كتمان
نكاد نلمس بالأيدي السماء ونجـ	ـتلي بها الرعد يطغى وهو غضبان
وللصدى حولنا حال مروعة	كأنما تسكن الغيران جنان
لكل صوت صدًى من كل منعطف	كما تجاوب عساس وأعيان
يطير كل صدًى عن كل شاهقة	كما يطير عن العقبان عقبان
تبدو لأعيننا البلدان كالحة	كالوجه غضنه سن وحدثان

ومثله قوله في أحلام الموتى:

أجنوني إذا ما مت رمسا	ينادمني به خضل الغمام
ترقرق عنده غدران ماء	على ضفاتها أثر الهوامي
تغنيني الحمائم في ذراها	وقد هب النسيم مع الظلام

أو قوله في ثورة النفس:

أبيت كأن القلب كهف مهدم   برأس منيف فيه للريح ملعب
أوَ انيَ في بحر الحوادث صخرة   تناطحها الأمواج وهْي تقلب

أو قوله من قصيدة أحلام اليقظة:

إني سمعت في الدجى اصطخابا
كأن في إهابه ذئابا
سيمت أذًى فطلبت وثابا
مستهولًا ينتزع الصوابا
يهتك من فؤادك الحجابا
مثل الصدى قد عمر الخرابا

أو قوله في مناجاة الملاح:

القلب يمٌّ لا قرار له   جم العواصف مزبد القنن

أو قوله من قصيدته الرهيبة «ثورة النفس في سكونها»:

وما لي كأني ظللتني سحابة   لها من مَخُوفات الأساود هيدب
وليل كأن الريح فيه نوائح   على أنجم قد غالها منه غيهب
تجاوبها من جانب اليم لجة   تزاءر فيها موجهًا المتوثب
كأن شياطين الدجى في إهابه   تغني على زمر الرياح وتغرب

إلى أن يقول:

سأصرخ أما هاجت الريح صرخة   تقول لها الموتى ألا أين نهرب

واقرأ له الدار المهجورة، أو فتًى في سياق الموت، أو الحياة حلم، تُحس في كلٍّ منها هذه الروعة والفخامة.

وللمازني أسلوب خاص، لا يدلك على أنه أسلوب السليقة والطبع أكثر من هذا التآلف الذي تجده بين قلمه ونفسه، فإن قلمه يتحرى الفخامة في اللفظ، والروعة في حوك الشعر، كما تتحرى نفسه — على لطافتها — الفخامة في المشاهد، والروعة في مظاهر الكون والطبيعة.

والتآلف بين الطبع والتعبير شأن كل شعر في هذا الديوان، اقرأ فيه بعد شعر الوصف الذي تقدم التمثيل له شعرَ الغزل، فإنك ترى عبارته أليق ما عبَّر به عن عاطفته؛ لأنها عاطفة لا تسعر بالوقود من الخارج، وليس الحب فيها حبًّا تضرمه عين المحبوب كما تضرمه نفس المحب، وهي عاطفة تحيا بغذاء من حرارتها، ومثل هذه العاطفة يحلو لها ترديد نفسها، وتقليب وجوه ماضيها وحاضرها، وأهواء النفس تختار الأسلوب الذي يلائمها، فلو أن الحب هنا حب تأخذ منه البواعث وتعطي لكان نعاماه إذا امتلأ به الصدر أن يصعد من القلب صرخة تفرج عن صاحبها ثم ينساها، ولا يعود إليها حتى يراجعه الوله والوجد، ولكن حب يطاول القلب، ويدور في جوانب النفس، فلا يوافقه إلا أسلوب يدور في الأذن، ويطن في جوانب الأسماع.

فلا غرو أن ينسجم هذا الهندام على ذلك القوام، وأن يستشف القارئ ألوان العواطف من هذا الأسلوب، على أحكام نسجه وتفصيله، فيعلم أن شعر الطبع والإخلاص غير شعر الصنعة والتقليد.

الإهداء

إلى الذي نام عن ليلي وأسهرني ومَن إليه على الأيام تحناني
ومن أكاتمهُ وجدي وأوهمه أن اقترابي وبُعدي عنه سيَّان
ومن غذائي ذكريه وإن بعدتْ أوطانه ونأتْ بي عنه أوطاني
أذكيتَ في الصدر نارًا لا خمودَ لها فاقبسْ ثوائرَ أنفاسي وأشجاني
هدية لك فيها الفضل أجمعه وليس لي غير إنصافي وعرفاني

إبراهيم عبد القادر المازني

الورد

خده أحسن أم ثغره — بل كلا الحسنين فتان
كل جزء من بدائعه — لفنون الحسن بستان
لي كئوس من مراشفه — ومن الأطيار ندمان
كلما قبَّلت وجنته — خِلت أن الورد خجلان
ظمئي ترويه قبلته — كيف ريِّي وهو ظمآن
رُبَّ طلٍّ بات يكلؤه — فكأن الطل غيران
وكأن الورد إذ سطعت — منه ريح الطيب نشوان
أنا أخشى أن أراعيَه — ما لهذا الورد جثمان
كيف لا تذوى غلالته — وهي للأعين ميدان

الماضي

مسافة الشمس دون أقربه وإن دعونا أعارنا أذنهْ
القلب قبرٌ وأنتَ ساكنه لا يبرح القبرَ ميتٌ سكنه
ما مرَّ يوم بما يصرِّفه إلا جعلناك فيه ممتحنه
أو راقنا ثوبه ونضرته إلا رأينا في ثوبه كفنه
آليتُ لا يستخفَّني أملٌ في الغد أو تسغرّني حسنه
الدهر لولا الآمال مشتبهٌ والمرء في نفسه يرى زمنه

الدَّار المهجورة

لـم يـدع مـنـه الـبـلـى إلا كـمـا   تترك التسعون من غضِّ الشباب

* * *

وهــي فــي سـكـونـهـا كـأنـمـا
فــارقـتـهـا روحــهـا إلا ذَمـا
حـكـم الـدهـرُ بـهـا فـاحـتـكـمـا
وكساها الـهـجـر ثوبًا مظلمًا   ما أضل الطرف في هذا الإهاب

* * *

مـا تـرى الـعـين بـهـا إلا رمـامـا
بـالـيـات تـمـلأ الـنـفـس ظـلامـا
وسعتها الريح دفعًا ولطاما
لـغـط الـيـمِّ إذا الـيـمُّ طـمـا   والتقت فيه هضابٌ بهضاب

* * *

ليس يلفى عندها الصوتُ قرارا
كـلـمـا أرسـلـتـه مـلَّ الـجـوارا
واسـتـردَّ المرءُ منـهـا مـا أعـارا
تـثـب الأصـداء عـنـهـا مـثـلـمـا   طارت العقبان طيرًا عن عقاب

* * *

إيه يا مهد مسرَّات الصبا

عجبًا أصبحت قبرًا عجبا

حاملًا عن هاجريك الوصبا

كنت للَّهو فقد صرت وما أنت إلا طيف أيام عِذاب

* * *

أوصدوا الأبواب بالله ولا

تدعوا العين ترى فعل البلى

وامنعوا دار الهوى أن تبذلا

إن للدار علينا ذممًا وقبيحٌ خونها بعد الخراب

الجمال إذا هوى

يا ليتني لو يصح لي أملُ أعمى له من كفافه شغلُ
أبيت لا مرهقًا ولا قلق الـ أحشاء مما تحرِّك الغلل
ولا فؤادي كالوكر مضطربا تجني عليه بلحظها المقل
كم نعم قد أصارها نقمًا على الليالي الخطوب والعلل
بذلتُ ودِّي لغير صائنه أين رماني العثار والزلل
يا حسرةً للجمال يسلبه روعتَه مصرعٌ له جلل
بيناه كالزهر مونقٌ أرج إذاه كالشوك حظه العطل
بيناه كالشمس في جلالتها تضيء ما حولها وتشتعل
إذا بها قد خبت لها شعلٌ أخلق من نور نارها الطفل
وإنما الحسن إن هوى جدثٌ عليه زهر من الندى خضل
إن راق عينيك روضة أنف منه لقد راع قلبك الثكل

الإخوان

سلِ الخلصاء ما صنعوا بعهدي أضاعوه وكم هزلوا بجدِّي
ركبت إليهمُ ظهرَ الأماني على ثقة فعدت أذمُّ وخدي
وصلت بحبلهم حبلي فلما نأوا عنِّي قطعت حبال ودي
وكانوا حليتي فعطلت منها وغمدي فالحسام بغير غمد
أذم العيش بعدهمُ ومن لي بمن يدري أذمُّوا العيش بعدي
وما راجعت صبري غير أني أكتِّم لوعتي في الشوق جهدي
ولو أطلقت شوقي بلَّ نحري وروَّى وبلُ غاديتيه خدي
جفاءٌ في مطاويه حفاظٌ كحسن القدِّ في أسمال برد
وكم من نزوة للقلب عندي وهجعة سلوةٍ وقيام وجد
على أني وإن أطرب لقرب ليعجبني عن المخفار بعدي
إذا ما ضن بالتسليم قومٌ فإن الجود بالتوديع ردي
لكلٍّ في احتمال الناس طبعٌ ولست على تملُّقهم بجلد

* * *

وغرٌّ ماضغ بالغيب لحمي خلاه الذمُّ إذ جدنا بحمد
صفوت له على العِلات دهرًا فرنَّق بالسفاهة ماء وردي
وكنت إذا هتفت به أتتني قوارضُ شر ما يحبو ويُهدي
وإني حين تغشاني أذاةٌ ليشفع للمسيء الودُّ عندي
فإن يسبق إلى كفر وظلم فقد سبقت يداي له برفد

ظلمتك أن تخذتك لي وليًّا ولو أنصفتُ كان سواك قصدي
غرورًا كان ما وعدتْ ظنوني وأشقى الناس مغرور بوعد
أيغضبه السكوت وقد سكتنا ولو قلنا لما أرضاه نقدي
وجهلٌ بيِّن في غير شاكٍ تعرُّضه لشاك مستعد
مضى زمن التسامح والتغاضي وذا زمن الترامي والتحدي
لئن أعلى خسيستهم سكوتي فسوف يحطها بدئي وعودي
وإن أثمر لهم ذمًّا كثيرًا فهم غرسوا بذور الذم عندي

فتًى في سياق الموت

نـعـد أنـفـاسـه ونـحـسـبـهـا　　والليل فيه الظلام يلتطمُ
إذا خـروج الـحـيـاة أجـهـده　　تساقطت عن جبينه الديم
صدر كصدر الخضمِّ مضطرب　　جحافل الموت فيه تزدحم
إن قـام مـلـنـا لـه بـمـسـمـعـنـا　　أو نام خفَّت بوطئنا القدم
يرتاع من طول نومه الأمل　　ويشتكيه الرخاء والسأم
كـأنـمـا الـخـوف مـن تـردُّده　　خيلٌ لها من رجائنا لجم
خلناه قد مات وهو في سِنة　　ونائم الجفن وهو مخترم
قـد قـلَّـصـت ثـغـرَه مـنـيـتُـه　　كـأنـه لـلـحـمـام يـبـتـسـم

المناجاة

إن وجهًا رأيته ليلة السبـ ـــت رماني بحبِّه وتولى
عجبٌ كيف يرتضي البعد عنا من عبدنا في حسنه الله جلا
هل حباك الإله بالحسن إلا لنرى فيك آيَهُ تتجلى
أنت أفسدتني وعلمتني الحـ ـبَّ فهلا أصلحت منيَ هلا
نظرةٌ منك لو رحمت تعيد الـ ـرُّوح فينا كالروض جيد وطلا
مالنا غير ذلك الصد مأوى أو معاذ وجلَّ ذاك وقلا
لم أكن أحسب الزمان يريني موضعًا لست فيه جنبيَ حِلَّا
أجدرُ الناس بانعطاف وأولى أنت إن تُتبع القطيعة وصلا
بَعُدَ العهد غير ذكرى ليالٍ قد تقضَّت وما شفت لي غلَّا
وقفةُ العيش بغيتي غير أني أجد الدهرَ ما يثقِّل رجلا
ليت شعري ما حجة الزمن الجا ئر أم كيف عذره حين زلا
ثقلتْ وطأة البعاد على كا هل صبري وآذنت أن تظلا
أتأنَّاك كي ترقَّ وما تز داد إلا على المؤمل بخلا
كان خيرًا من السهاد رقادي في حمى ظلِّك الوريف وأحلى
غير أني في الحب أقنع بالذكـ ـر إذا ما الحبيب لم يكُ سهلا
إن لي مهجةً يصدِّعها الشو قُ وما إن أخال إلا مبلَّا
لمْ تلمني أني هويتك لكن لمتَ أني رعيتُ عهدًا وإلَّا
لست تأبى عليَّ حبَّيك لكن أنت تأبى الحفاظَ ظلمًا ودلَّا

بأبي أنت مغضبًا ولعمري ما أقلَّ الفداء مني وأغلى
لكم الدلُّ والتجنِّي علينا وعلينا الحفاظُ أحسنت أم لا

* * *

ليت شعري متى تشق بنا النيـ ـلَ جوارٍ ويا عسى ولعلَّا
محْقبًا خمرةً لنطرب كالبحـ ـر وتغدو لصحبة البحر أهلا
أي شيء ألهاك عن مركب النيـ ـل وقد كنت لا تني عنه قبلا
ما برحنا نرجو قدومك حتى قد مللنا خلف الرجاء وملَّا
إن لي مجلسًا على النيل فيًّا حًا فألا وافيتني فيه ألا
متعة العين من ملاحة مرأًى ومنى النفس من صباحة مجلى
حيث لا نرهب الزمان ولا نر قب سحًّا من الملام ووبلا
وهي الراح لا نشعشع منها وعليَّ الإكثار نهلًا وعلَّا
نقطع الليل في احتساء شرابٍ ليس أنفى للهمِّ منه وأجلى
بين أقداحنا حديثٌ هو السحـ ـر يناجيك فيه قلب تملَّى
ليس تستعذب المدامة إلا بنديمٍ أرقَّ منها وأحلى
صاحبٌ مؤنسٌ وكأسٌ دهاق ذاك حسبي لو يجمل الدهر فعلا
هل أرى نجحَ ما وعدنَ ظنوني أم ترى باعها يعود أشلَّا
لستُ بالملحِف الملحِّ ولا بالـ ـطامع العين إن وهبت الأقلا
إن تجودوا سحبتُ ذيلًا رَفلَّا أو تضنوا فلستُ أعدم خلَّا

أحلام الموتى

أرسل إلينا صديقنا الشاعر الجليل عباس أفندي محمود العقاد قصيدة بهذا العنوان يقول في مطلعها:

ستغرب شمسُ هذا العمر يومًا	ويغمض ناظري ليلُ الحمام
فهل يسري إلى قبري خيالٌ	من الدنيا وأنباء الأنام
ويمسي طيفُ من أهوى سميري	ويؤنس وحشتي ترجيع هام

فأجبناه بهذه الأبيات:

لهان عليَّ أن ألقي حمامي	وأطوى تحت طيات الرغام
إذا ما الليل نام رأيتُ قلبي	كلوءًا مطعمًا مرَّ الفطام
وما طاف الكرى بالعين إلَّا	ليفتحها على الكرب العظام
وفي ظُلَم القبور لنا مجير	يجلِّي وحشة العيش الجهام
أجنُّوني إذا ما متُّ رمسًا	ينادمني به خضل الغمام
ترقرقُ عنده غدرانُ ماءٍ	على ضفَّاتها أثر الهوامي
تغنيني الحمائم في ذراها	وقد هب النسيم مع الظلام
تذكرني ليالينا وكانت	مسلسلة البشاشة في نظام
وما إن أرتجي شيئًا ولكن	هي الأحلامُ عونُ ذوي السقام
إذا ما الموت رنَّق في جفوني	وبات بكفه يومًا زمامي
فما يغني خيالٌ من حبيب	يزورك بالتحية والسلام
وكيف يصد عنك وأنت حيٌّ	ويمسي واصلًا لك في الرجام

أماني وذكر

يا حبذا أمسيَ من مفارقٍ وإن قصرْ
ما في الخوالي غيره يوم به العينُ تقر
نسيمُه إذا جرى يغضُّ من لفح الذكر
قضيت فيه وطرًا من مسمعٍ ومن نظر
والأفْقُ داجٍ مدجنٌ يكاد يهمي ويدر
والشمس تزوي وجهها أمِن حياءٍ وخفر؟
كم ليلةٍ صيفيةٍ أنساكها يومٌ خصر
وحبذا القهوة لا تأخذ منَّا وتذر
ما خيرُ راحٍ تقر الـ ـسمْعَ وتمضي بالبصر
ضل لعمري المحتسي للرَّاح أيامٌ أخر
أيام لا يلقى الفتى معاونًا على الفكر

* * *

يا يومُ جدَّدتَ لنا منًى فمن لي بالظَّفر
وكان جرحي قد أوى على الليالي فغفر
يا ليت حِبِّي وردةٌ تروق حسنًا مَن نظر
يومض فيها طلها مبتسمًا إلى الغدر
تُفاوحُ الغيثَ كما فاوحَ شعري مَن سحر
وليتني حمامةٌ أصدح في ضوءِ القمر

أبــكــي إذا ألــوت بــهــا	هــوج الــريــاح والــمــطــر
أبـكـي وأسـتـبـكـي لـهـا	بــمــعــزلٍ عــن الــبــشــر
حــتــى إذا عــاد الــربــيـــ	ـــع واكتسى الروض الحبر
غــنَّــيــتــهــا مــؤهــلًا	مــرحِّــبًــا بــيــن الــشــجــر
أو لـيـتـنـي لـؤلـؤةُ الـــ	ـــطل عليها في السحر
أنــعــمُ فــيــهــا لــيــلــتــي	بــطــيــب ذاك الــمــخــتــبــر
حتى إذا الصبح جلا الـــ	ـــظــلام عــنــا وحــســر
ركـبـتُ مـتـن الـريـح أر	جــو كــرة لــمــا غــبــر

ثورة النفس

أرسل إلينا صديقنا الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندي شكري قصيدة بهذا العنوان من القافية المزدوجة قال فيها:

هياج كما هاجت قطاة تعلقت ... بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب
أما في سكون الليل يا نفس واعظٌ ... أما في سكون الروض ملهى ومطرب

فأجبناه بهذه القصيدة:

أخا ثقتي كم ثارت النفس ثورة ... تكلفني ما لا أطيق من المض
وهل أنا إلا رب صدر إذا غلا ... شعرت بمثل السهم من شدة النبض

* * *

لبست رداء الدهر عشرين حجةً ... وثنتين يا شوقي إلى خلع ذا البرد
عزوفًا عن الدنيا ومن لم يجد بها ... مرادًا لآمال تعلل بالزهد

* * *

تراغمني الأحداث حتى كأنني ... وجدت على كره من الحدثان
فلا هي تصمي القلب منها إذا رمت ... ولا ترعوي يومًا عن الشنآن
أبيت كأن القلب كهفٌ مهدمٌ ... برأس منيف فيه للريح ملعب
أوَ انِّيَ في بحر الحوادث صخرةٌ ... تناطحها الأمواجُ وهي تقلب

* * *

أدور بعين حيَّر العيشُ لحظها وأرجعها محمرَّة كالشقائق
كأنَّ فؤادي بين سجوٍ وترحةٍ أديمٌ تفرِّيه أكفُّ الحوالق

* * *

أكنُّ غليلي في فؤادي ولا أرى سبيلًا إلى إطفاء حرِّ جوى الصدر
أعالج نفسًا أكبرُ الظن أنها ستذهب أنفاسًا حرارًا على الدهر

* * *

إذا اغتمضت عيناي فالقلب ساهرٌ يظلَّ طويلَ الليل يرعى ويرصد
وما إن تنام العين لكنْ إخالها تدير بقلبي نظرةً حين أرقد

* * *

وهل نافعي أن الرياض حليَّة منوَّرة النوار هادلةُ الطير
وما فرَحي أن الرياحَ رواقدٌ إذا كنت سهران الفؤاد مدى الدهر

* * *

نسيمٌ يردُّ النفس حينًا لناشق وأيُّ أوام بعده وأوارِ
تطول ظلالُ النبت والشمسُ طفلةٌ فإن هي جدَّت صرن جِد قصار

* * *

سأقضي حياتي ثائرَ النفس هائجًا ومن أين لي عن ذاك معدى ومذهبُ
على قدر إحساس الرجال شقاؤهم وللسعد جوٌّ بالبلادة مشرب

* * *

خليليَّ مهلًا بارك الله فيكما فما في سكون الليل مسلاةُ واجد
إذا ثار ما بين الحجابين والحشا فكلُّ سكون يستثير رواقدي

* * *

وإن سكنت نفسي فليس بضائري رياحٌ تجر الذيلَ حولي وتعصف
فليس يضير الحوتَ في البحر أنه يهيج وأن الموج يطغى ويعنف

ليلة وداع

ودعته والليل يخفرنا   والبدر يرمقني ويرمقهُ

والماءُ يجري في تدفقه   ويكاد ماءُ العين يسبقه

والدلُّ ينهاه تمنُّعه   والحب يأمره ترفُّقه

ولربَّ خدٍّ بتُّ ألثِمه   والدمع يطفئ ما أُحرِّقه

والورد أقطفه لوجنته   والشوك في قلبي مُفوقه

لما رأيت الليل زايلنا   وأذاع سرَّ الصبح مشرقه

طأطأتُ لا أرنو لرونقه   فالحسن يطغي الصبَّ رونقه

رقية حسناء

نمْ هنيئًا في ظليَ الفينانِ   وانس برح الهموم والأشجانِ

وانس ما كان من زفير على الهجـ   ـر ودمعٍ يجري بغير عنان

وانظر العيش في منامك والدهـ   ـرَ بعينٍ قريرة الإنسان

هذه راحتي على وجهك الغـ   ـضِّ وروحي وريفة الأفنان

وفؤادي مرفرف بجناحَيـ   ـهِ حنانًا فانشقْ نسيم الحنان

وبناني مخضبٌ كعصا السا   حر يجري الحياةَ في الأبدان

لك من أدمعي حياةٌ كما للـ   ـزهر من صيب الحيا الهتَّان

ورياضٌ من حسن وجهي حوالٍ   وجنانٌ من منظري الأضحيان

وأغانٍ خرساء ترصف في الأسـ   ـماع منثورَ مفرحات الأماني

ونسيم لنا يهبُّ على النفـ   ـسِ بعرف الريحان والأقحوان

وضياء يشيع في ساحة الصد   ر فيجلو مخيَّم الأدجان

ويردُّ الشابَ حتى كأن الـ   ـمرء يختال فى شباب ثان

الوردة الذابلة

أرج كـأنـفـاس الـحـبـيــ ـبة حين تُدني منك فاها
وغـلائـلٌ بـات الـغـمـا مُ يـجـودهـا حـتـى رواهـا
ذبـلـتْ وأخـلـق حـسـنـهـا يا ليت شعري ما دهاها
روَّيـتـهـا بـمـدامـعـي لو كان يحييها حياها
وضممتها ضم الحبيـ ـب عسى يعود لها صباها
وزفـرتُ عـلَّ زوافـري تجدي فزادت في ذواها
فـرمـيـتـهـا وبـرغـم أنــ ـفِي أنني مَن قد رماها
ولو استطعتُ حنيت أضـ ـلاعي على ذاوي سناها

لحظ الحبيب

ما أفصحَ اللحظَ يا حبيبي وأعذبَ البثَّ بالعيونِ

ما الشاعر الفحلُ حرَّكتْه على النوى هِزَّة الحنين

أخلب لي منطقًا وأحلى من نظرة الطرف في سكون

لحظٌ يضيء الذي توارى في ظلمة الغابر الدفين

له ضياء إذا ترامى على النجيَّات والشجون

أعارها نوره فعادت تندى على مهديَ الحزين

يا قرة العين أنت حسبي لولاك ما أثمرتْ غصوني

لولاك لم أحتمل حياتي ولم أطق صفقةَ الغبين

وددت لو تنفع الأماني لو كنتَ لدنًا من الغصون

وليتني صيدحٌ يغنِّي في ظلك الوارف الأمين

كن لي فإني إذا استهلَّت على الثرى ديمةُ الشئون

لينبتُ الورد والأقاحي وضَّاحة الثغر والجبين

وإنما سجعة القماري في الليل ترجيعةُ الأنين

بعد الموت

ترى يذكر الأحياءَ أهلُ المقابر … ويعتادهم فيها كشوق المسافرِ
وهل تظمأ الأمُّ العطوف إلى ابنها … إذا انتزعتها منه أيدي المقادر
تقول ألا يا ليته لصق أضلعي … كعهدي به والنومُ ملءُ المحاجر
أضم إلى صدري حشاشةَ نفسه … وأملأ قلبي منه بعد النواظر
وهل يحمل الصبُّ المشوق ولوعه … ويصبو إلى سحر العيون الزواهر
ويذكر أيام القطيعة والنوى … وأيام وصل الآنسات الغرائر
فإن جشأتْ في صدره غصص الجوى … وجلَّله وجد الحسان النوافر
بكى شجوه في ظلمة القبر وانثنى … يعالج إلمام الخيال المزاور
وما حال طفلٍ ضامر ظامئ الحشا … إذا غاله سهمُ المنايا الجوائر
أيذكر ثدي الأمِّ في كل لحظةٍ … ويبكي حجور المحصنات الحرائر
وهل يحلم المفلوك في رقدة الردى … بما كان يلقى في الليالي الغوابر
فيحلم بالإيسار طورًا وبالغنى … وبالفقر والإملاق في كل آخر
وهل يسع الملحودُ ريعان زفرة … ينفِّسها قلبٌ جريح الضمائر
على هرم هِمٍّ برى الدهرُ عظمه … وقوَّسه عبء السنين المواقر
قراه أسًى قد ضاق عنه احتماله … ومؤنسه في العيش سود الخواطر
وتحسبه مما تقيَّد دميةً … سوى حسراتٍ أردفت بزوافر
وتحسبه مما تقوَّس طائرًا … ولكنَّه عن عشِّه غيرُ طائر
ستخبرني نفسي إذا حان حينها … وصرتُ كمن بادوا رهينَ حفائر

لفظ الحبيب

لـذيـذٌ إذا درَّ قـطـرُ الـرهـام   وأضمرت البدر سجفُ الغمام

هبوبُ النسيم بعرف الرياض   يرقرقه في حواشـي الظلام

لـذيـذٌ تـحـدر مـاء الـغـديـر   وقد أنطق الليل خرس الحمام

لذيذٌ دبيب الكرى في الجفون   بـعـد الـكـلال وطـول الـقـيـام

ولـكنَّ لفظك من ذاك أحلـى   وأوقـع فـي قـلـبـيَ الـمـسـتـهـام

أظلُّ إذا استكَّ في مسمعي   يـرف عـلـيَّ جـنـاح الـغـرام

كـأن فـؤاديَ مـسـحـورة   من الفلك في موجه المتسامي

تـعـانـقـهـا نـفـحـات الـنـسـيـم   ويـرقـصـهـا زجلٌ ذو الـتـطـام

شـفـاه يـؤجـجـن أنـفـاسـه   ويـلـثـمـن ألـفـاظـهـنَّ الظوامي

تـمـهِّـل ألـفـاظـه عـلَّـهـا   تـبـرِّد فـي فـيـه حـر الأوام

وتـقـرع أذْنـي فـتـهـتـاجـنـي   كـأنَّ لـهـا نـشـوات الـمُـدام

إذا قـيَّـد الـهـمُّ خـطـو الـرجـا   ءِ أيـطـلـقـه لـيَ سـحـر الـكـلام

مناجاة شاعر

يا شاعر النفس كم أبكاك مصرعها ... لقد بكيت على خرقاء مضياع

أسبلت آذيَّ عينٍ ما تركت لها ... دمعًا يراق على رُزءٍ وأوجاع

آذاك دهرك حتى لست تحفله ... فما تبالي بإخماص وإشباع

واستطعمتْك الليالي كلَّ حاذقة ... فما رأت منك إلَّا غير مجزاع

إنَّا شبيهان في شجوٍ وفي ظلع ... وراء نجمٍ من الأحلام لمَّاع

كذبتُ نفسي كما كذبتَ بارقها ... وكان بالرغم تصديقي لأطماعي

يسلك صوت المنى سمعي وتومض لي ... ثغورُها عن بديع جِدٍّ خداع

فأنثني غير مخدوع وكم فتنت ... لبي الأماني بإيماءٍ وتلماع

لله صرخة وجدٍ أنت مرسلها ... ضاعت عليك بوادٍ غير ممراع

وما بهم صممٌ لكنهم جهلوا ... معنى النداء فضلُّوا وجهة الداعي

إلَّا تجبك نفوسٌ لا تعي أبدًا ... فقد أجابك قلب السامع الواعي

تدعو المعاني فتأتي وهْي طائعةٌ ... إذا التوين على فدمٍ وجعجاع

يعنو لك اللفظُ والمعنى كما امتثلت ... هذي العوالمُ أمر الخالق الراعي

إلى صديق قديم

كان لنا صديق أخلصنا له الولاء، وصدقناه الإخاء، فما زال يوهن من حبلنا، ويفصم من عرى ودنا، حتى انفرجت الحال، ووقعت النبوة، وجرى بيننا كلام، فبعثنا له بهذه القصيدة:

بعض بغضائكم أولى البغضاء ... إنما الشتم شيمة السفهاء
ليس يشفي السبابُ غلَّ حسود ... قد طوى صدره على الشحناء
إن داء القلوب داءٌ عياء ... مثل داء المنون للأحياء
فاستر الضغن إن تشأ أو فجاهر ... قد عرفناك فاسد الأهواء
أنت كالذئب خدنُ غدر ولؤم ... ليس للذئب في الورى من وفاء
ما رأيناك بالإخاء خليقًا ... ورأيناك أهل هذا الجفاء
قد تكلفت أن أعارض طبعي ... وأجاريك مرة في الهجاء
فرأيت الكريم يعجز عنه ... عجز برد الشتاء عن إدفاء
ورأيت الهجاء يرفع منكم ... إنَّ ذمَّ الوضيع كالإطراء
ما يبالي مستهتكٌ نلتَ منه ... أم عليهِ وقَّفت كلَّ ثناء
لا تغضُّ العيوبُ طرفَ بغيٍّ ... نشأتْ بين بيئة شنعاء
كيف يندى جبينُ من غاض منه ... كل ماء وغار كل حياء
رُبَّ قول لو كان في الصمِّ بضت ... لم يؤثر في أنفس اللؤماء
ومقال تسوخ منه جبالٌ ... عاد كالسيف نابيًا عن مضاء

* * *

يا حماة الآداب نمتم طويلًا نومة نبَّهت جيوش البلاء
من لستر الحياء يهتكه الغـ ـرُّ ويفري في جوفه كالداء
من لوجه الأحساب يخدشه الغـ ـرُّ ويُنعي بالخدشة النكراء
ولقلب الأخلاق يطعنه الغـ ـرُّ ويجري دماءه كالماء
ولروض الآداب جف وأمسى ظاهر الجدب لابسًا من عفاء
ذهب الود والحياء جميعًا لهفَ أرضي عليهما وسمائي
وتبدلتُ من رجالِ وفاءٍ كل غر مماذق في الوفاء
يتلقاك بالطلاقة والبِشـ ـرِ وفي قلبه قطوبُ العداء
كالسراب الرقراق يحسبه الظمـ ـآن ماءً وما به من ماء
عاجز الرأي والمروءة والنفـ ـس ضئيل الآمال والأهواء
أَلِف الذلَّ فاستنام إليهِ وتباهى به على الشرفاء
ينسج الزور والأباطيل نسجًا والأكاذيب ملجأ الضعفاء
لو تراه بالليل يخطر عجبًا في مسوك الفرنجة السوداء
قلت قردٌ من آل «دروين» ناشٍ أخذت منه سورة الصهباء
مستميت إلى المكاسب والربـ ـح دنيء الأسفاف والكبرياء
فاسق يُظهر العفاف ويُخفي تحته الخزي يا له من مراء
مظلم الحسِّ والبصيرة كالتمـ ـثال خلوٌ من الحجا والذكاء
قد زهاه الشموخ فاختال تيهًا ولوى شدقه على الخلصاء
وعدا طوره فأركبه الجهـ ـل جموحًا ألقته في عوصاء
فغدا كالحمار أوهمه الشيـ ـطان أمرًا فصاح من خيلاء
هو حمَّى الجليس يدفع في الصد رِ ثقيل الكلام والإيماء
أعجميُّ اللسان فهٌّ عييٌّ يدَّعي أنه من الفصحاء
يملأ السمعَ والقلوب كما يز عم رطب اللسان عذب الأداء
يا قطيع اللسان مالك والشعـ ـر وصوغ الكلام جم العناء
أنت في الأرض نقمة الله للنا سِ جميعًا قريبهم والنائي
قد لعمري نكبتَ عن جدد الرُّشـ ـد وأوغلتَ في شعاب الرياء
أنت في الزهو والسفاهة واللؤ مِ عديم المثال دون مراء

لو علـى قدر بطء حسِّك يومًا كـنـت كـيـسًـا ذا أربـة وذكـاء
لبلغت السنام من قلل المجـ ـد وجـاوزت رتـبـة الأنـبـيـاء
ضجَّ من لؤمك الخلائق في الأر ضِ وعاذوا من شرِّه في السماء
صار إبليسُ عند ربك مقبو لًا وقد كان قبلُ في الأشقياء
عشَّش اللؤم في فؤادك وارتا ش فيا رحمة على الأحياء

* * *

لا أقال الإلهُ من خانني الغيـ ـب وجازى الحفاظ شر جزاء
ظنَّ أني على التحلم ماضٍ فمضى ضلَّةً على الغُلواء
وغلا في الضلال فاشتبه الأمـ ـر عليه وبات في عشواء
وأراه الغرورُ أنَّا سواءٌ فتباهى وليس من نظرائي
كيف تعطو وليس عندك نَوطٌ وتُسامي وأنت في البوغاء
أسفًا للعقول ضلت وزاغت عن سبيل الهدى ووضْح السواء
كنتَ في ظلِّنا الوريف مقيمًا آمن البال وادع الأحشاء
فاستثرت المنسيَّ من فارط الذنـ ـب وأوغرت صدرنا بالبذاء
أنت أسخطتنا عليك فحلنا عنك لمَّا جهلت وجهَ الرضاء
أنت وثَّبتنا عليك وقد كنـ ـت موقًّى في غرَّة ورخاء
أنت ضاغنتنا وخشَّنت صدرًا كان يحنو عليك في البأساء
أنت قطَّعت حبل خلِّك بالغدْ رِ وأيبست ثديَ هذا الإخاء
أنت ناوأتنا وعلمتنا الثلـ ـب فرشنا لكم سهام الهجاء
حزت ذمي وللرياح السوافي مثل ذم التراب والحصباء
لا يغرَّنْك ما ترى من أناتي واحتبائي بالحلم والإغضاء
ربما استُنزل الحليم عن الرفـ ـقِ وثارت سكينة الحكماء
قد أذقناك حين أصفيتنا الوُ دَّ وفاءً أعذِب به من وفاء
كان ودِّي مصفَّقًا لم أعكِّرْ ه برنقٍ من القلى والرياء
ولقد أينع الودادُ على الأ يَّام واستحصفت حبالُ الإخاء
كم ركضنا إلى المسرة واللهـ ـوِ برغم الهموم والبرحاء
واغتبقنا الشراب حتى اصطحبنا لم نشعشع صراحهُ بالماء

لم أطع فيك واشيًا يزرع الحِقـ ـدَ ويجني ثمارهُ في الخفاء
ضمَّنا عاطفُ المودة دهرًا وافترقنا على القلى والجفاء
فلك اليوم في المحافل ذمي ولماضيك عُنفوانُ الثناء
لستُ أبكي على فراقك ما عشـ ـت فإن البكا على الأوفياء
لن ترى البين فاجعي أبد الدَّهـ ـرِ فما كل خلة بسواء
كان شأني الحفاظ والرعيُ فالآ نَ أرى الرعيَ أعظم الأرزاء
فيك أبصرتُ كيف يكدر صفوي بصنوف الأكدار والأقذاء
كنت أرجوك للزمان فأنت الـ ـيوم دائي في البعد منك شفائي
ربَّ قُربٍ أفضى إليَّ بضرًّا ءَ وبُعدٍ أفضى إلى السرَّاء
طبتُ نفسًا عن ذكركم وشفا السلـ ـوان قلبي من لاعج العرواء
كنتَ بالذكر بين عيني وقلبي فجررنا عليك ذيلَ العفاء
قد كبا بيننا الوداد فلا قا م وغضَّ الهوى بماء الهجاء
خلت جهلًا أن الفؤاد هواءٌ ليس يصميه كثرة الإيذاء
لا أرتني الأيام وجهك ما عشْـ ـتُ ولا قرَّبتْك بعد التنائي
وتنائي الدارين خيرٌ وأحرى من تدانيهما على البغضاء
قد مضينا كما مضيتَ وما دمـ ـتَ ودمنا فما لنا من إخاء
لن تراني بالباب بابك أستغـ ـزر فيضَ الدُّجُنَّة الوطفاء
أقرع السنَّ نادمًا وأذم الـ ـدَّهر ذمًّا ولات حين عزاء
علَّ ماء الشئون يطفئ نارًا قد أذابت لفائف الأحشاء
واقفًا أندب اعتدال زمان طال فيهِ بين الكرام ثوائي
بين أهل اللَّيان والخلق السكـ ـب الشآبيب والحجا والذكاء
حيث عز الوقارُ والجانب السهـ ـل وذلت طيرورة الضرساء
يا خليلي قد صرت جلدًا على الهجـ ـر متين العرى وسيع الفناء
ولئن قدَّر الزمانُ اجتماعًا فبكرهي يكون لا برضائي
بأبي أنت. أنت أوَّل إلفٍ ردَّني من بلابلي للعراء
كنتُ لا أملك الدموع فقد صر تُ ألاقي النوى بالاستهزاء
حبَّذا أنت غير أنك تبغي أن تداني أهل السنا والسناء

تـلـك أحـلام نـائـم وأحـاديـ ـثُ لمستمسك بحبل الهباء
وغـبـيٌّ الأنـام مـن ظـن أن الـ ـزرعَ يزكو في التربة المِظماء
كل ماضيك قد وسعت بحملي غير ما جئت ليلة الأربعاء
قـضـي الأمـرُ بـيـنـنـا فـسـلامٌ وسـقـى الـلـه عـهـدَ ذاك الإخـاء

الذكرى

تقبس النارَ وإن طال القدمْ　　من ينابيع الزمان المنصرم

كم لنا من ليلة مطوية　　نشرتها فكأنَّا في حلم

ربما عاد بها اليومُ وفي　　وجهه الطلق من الأمس غمم

ربما اهتزَّ بها ذاوي المنى　　ولقد توقظ شيطانَ الندم

ربَّ صوتٍ نبهت نائمه　　يسمع السامعُ منه كالنغم

بذل الماضي لها طاعته　　وابتنت دارًا لها بين الرمم

مناجاة حسناء

لا أنسَ منظرها وقد طلعتْ   للعين بين خمائل الورد

* * *

والماء يرقصه تدفقه

والبدر أشحبه تأرقه

والليل طفلٌ شاب مفرقه

والغصن ميَّادٌ وقد عبقت   حللُ النسيم بنفحة الرند

* * *

العين تناجيها

هل تعرف الحسناء وا عجبي

لشحوب لون الورد من سبب

وذبول جفن النرجس العجب

وصدودها عنِّي وقد علمت   أني ليطرفني قذى الصدِّ

* * *

القلب يناجيها

لون الربيع بوجنة الزهر

والرَّوض مشرق صفحة البشر

وبحبتي يا أنفس الذخر

برد الشتاء فهل ترى سمعت   عصفَ الهوى وتهزُّم الوجد

قبر الشعر

ليت ديواني يكون له   من بديع الزهر تيجان
فكأن الشعر في جدثٍ   فـوقـه وردٌ وريـحـان
يا لها من حفرة عجب   كلُّ ما تطويه أشجان
كل بيت في قرارته   جثةٌ خرساء مرنان
خارجًا من قلب قائله   مثل ما يزفر بركان

عتاب

ذهب الوفاءُ فما أُحسّ وفاءَ ... وأرى الحفاظ تكلفًا ورياءَ

الذنب لي أني وثقتُ وأنني ... أصفي الوداد وأتبع الغلواء

أحبابيَ الأدنين مهلًا واعلموا ... أن الوشاةَ تفرق القرباء

إلا يكن عطف فردوا ودنا ... ردًّا يكون على المصاب عزاء

إلا يكن عطف فربَّ مقالة ... تسلي المشوقَ وتكشف الغمَّاء

إلا يكن عطف فلا تحقر جوًى ... بين الضلوع يمزق الأحشاء

هب لي وحسبي منك أن تك فرقةٌ ... لفظًا يخفف في النوى البرحاء

فإذا ذكرتُ لياليًا سلفت لنا ... حنَّ الفؤاد ونفَّس الصُّعَداء

دعني أقول إذا النوى عصفت بنا ... وأجدَّ لي ذكر الهوى أهواء

ما كان أسلس عهده وأرقَّه ... ولَّى وألهج بالثنا الشعراء

لا تبخلوا بالبشر وهو سجيةٌ ... فيكم كما حبس السحابُ الماء

لا يحسن التعبيس أبلجُ واضحٌ ... ضحك الجمال بوجهه وأضاء

قد كنتُ آمل منك أن سيكون لي ... قلبٌ يشاطرني الوفاءَ سواء

فإذا بكم كالشمس يأبى نورها ... أبد الزمان تلبُّثًا وبقاء

مناجاة ملَّاح

يا قرة العينين يا سكني ... بلِّلْ غليل الموجع الضمن

بيني وبينك زاخرٌ هزجٌ ... تمشي به الأجبال في قرن

لو شئتَ أدنتنا وإن بعدت ... طرق الفراق طوائرُ السفن

تجوى وقد لزَّت بما ركبت ... فكأنها رأسٌ على بدن

لا تخشَ أشجاني إذا اعتلجت ... أوَلستَ تركب هائل الشجن

القلب يمٌّ لا قرار له ... جمٌّ العواصف مزبد القنن

لكنَّ في أغواره دررًا ... ولآلئًا أبقى من الزمن

السُّلُوُّ

أبليت فيك العمر وهو جديدُ ... وعرفت فيك الصبر كيف يبيدُ
وغدوتَ أجلك في الحياة محسدًا ... تغلي عليَّ ضغائنٌ وحقود
وتركتني مثلًا شرودًا في الهوى ... يُومي إلي الأصبعُ الممدود
لي كلَّ يوم منك موقفُ ذلة ... صعبٌ على الطبع الحميِّ شديد
وأراك تلقاني ووجهك عابس ... وبناظريك بوارقٌ ورعود
مهلًا حبيبي إنَّ فيَّ لَعزةً ... أبدًا عليَّ لواؤها معقود
لا يخدعنَّك ما ترى من حبنا ... فكأنه مع يومه ملحود
إن الهوى كالنار يخمد جمره ... والحسن ليس له كذاك خلود
ولقد تكون غدًا وما في قربكم ... ريٌّ ولا في بعدكم تصريد
ولسوف يطوي اليأسُ صفحة ذكركم ... ويصد نثرٌ عنكمُ وقصيد
ما أنت أول من سلوتُ وردَّني ... عن حبه شممٌ بنا محمود
إن الشتاء وإن تطاول عهده ... للأرض بعد ذهابه تجديد
يمضي بأدمعه التي ما إنْ تني ... تهمي ويحلو بعده التغريد
فابسط غضونًا في جبينك إنني ... قد ذدت عنك القلب قبل تذود

حالة

ثورة النفس في سكونها

فؤادي من الآمال في العيش مجدبُ   وجوِّيَ مسودُّ الحواشي مقَطب

تمر بيَ الأيام وهْي كأنها   صحائف بيضٌ للعيون تقلَّب

كأن لم يخط الدهر فيهن أسطرًا   يبيت لها الإنسان يطفو ويرسب

شغلت بماضي العيش عن كل حاضر   كأنيَ أدركت الذي كنت أطلب

وما كلت الأيام من فرط عَدْوها   ولا عطَّل الأفلاك خطبٌ عصبصب

وما فتئ المقدار يمضي قضاءه   وما انفك صرف الدهر يعطي ويسلب

وما زال ظهر الأرض في جنباته   مراحٌ لمن يبغي المراحَ وملعب

ولكنَّ قلبًا خالجته همومه   ترى أي ملهًى طيبٍ ليس يجنب

وكيف يسري عنه ملهًى ومطرب   وما يَطَّبيه غير ما بات يندب

لقد كان للدنيا بنفسي حلاوةٌ   فأضجرني منها الأذى والتقلب

وقد كان يصبيني النسيمُ إذا هفا   ويعجبني سجع الحمام ويطرب

ويفتنني نوم الضياء عشيَّةً   على صفحة الغدران وهي تسبسب

فما لي سقى اللهُ الشبابَ وجهله   أراني كأني من دمائي أشرب

وما لي كأني ظلَّلتني سحابة   لها من مخوفات الأساود هيدب

وليل كأن الريح فيه نوائحٌ   على أنجم قد غالها منه غيهب

تجاوبها من جانب اليم لجةٌ   تزاءر فيها موجها المتوثب

كأن شياطين الدجى في إهابه ... تغني على رمز الرياح وتغرب
لقيتُ به ذا جنةٍ وتدلُّهٍ ... له مقلةٌ عبرى وقلب معذب
فقلت له ويلي عليك ولهفتي ... ترى أين يرميك السرى والتغرُّب
ركبتَ الدجى والليل أخشن مركب ... فهل لك عند الليل ويبك مطلب
فقال وفي عينيه لمعٌ مروع ... وفي شفتيه رجفة وتذبذب
ليهنَ تراب ضم حسنك أنه ... سيرويه منه عارض متصبب
سقاها وروَّاني من المزن سمحة ... فإنيَ في ملحودها سأُغَيب
كفاني إذا ما ضم صدريَ صدرها ... تحيةُ سحب قلبها يتلهب
أأنت معيني إن قضيتُ بدمعة ... يحدِّرها عطف علينا ويسكب
فقلت له ما لي لدى الخطب عَبرة ... تراق ولا قلب يرقُّ ويحدب
سكنت فما أدري الفتى كيف يغتدي ... تجدُّ به الأشجان طورًا وتلعب
ولكنني إن لم ُتعنك مدامعي ... سأستهول الموت الذي بت تخطب
سأصرخ أمَّا هاجت الريح صرخة ... تقول لها الموتى ألا أين نهرب

ليلة

أشيع أني غرقت فجاءني صديق قديم يبكي ويستفسر عن صحة الخبر.

زارنـا واصـلًا عـلـى غـيـر وعـد ‏ وانثنى هاجرًا على غير ذنب

* * *

من غديري من الذي يبكيني ‏ قبل يوم الردى بدمع هتونِ
لعبٌ ما أرقتَ من ذلك الدمـ ‏ ـع ودلٌّ أم أنت جدٌّ حزين
كم بكينا كما بكيت فلم تَرْ ‏ ثِ ولم تكترث لدمعي السخين
لم تكن عَبرتي أفيكة أفًّا ‏ كٍ ولا وجه حبنا بظنين
يا أخا الحسن والملاحة بالله ‏ ترفَّق بجفنك المحزون
أزجر العينَ عن بكاها ففيما انـ ‏ ـهلَّ منها وفاء دين العيون
حسنت ليلةُ الخميس وطابت ‏ فهْي حسبي من الزمان الضَّنين
صرَّحت رغوة البعاد عن القر ‏ ب وباحت بودك المكنون
فوجدنا بك السرورَ كما يفـ ‏ ـرح بالزاد ناظرُ المسكين
كم مُعَزٍّ عنِّي ولو كان يدري ‏ ما أفاد النعاة هنَّى لحيني
عاد نعيُ النعاة بالفرح الشا ‏ مل والوصل من خليلٍ أمين
أتراك الغداة ترجع للصد ‏ وتغضي عن لوعتي وحنيني
ابق أنسي فليس يحلو ليَ العَيـ ‏ ـشُ إذا لم تكن عليه قريني
دع مؤاخاةَ معشرٍ وسعوا حسـ ‏ ـنك جهلًا وعدْ لهذا الفطين
إنني عائذٌ بعطفك فاخفض ‏ لي جناحًا من رحمةٍ يُئْويني

* * *

عم مساءً، لا بل تمهَّل قليلًا تعست ساعةُ الفراق الطحون
لشجينا بمن يُحيي ويمضي فارغ القلب لا يُحس شجوني
زدتني فتنةً وليس جميلًا منك هجرانُ والهٍ مفتون
حاجة النفس كلها ومنى النفـ ـس جميعًا في سحر هذي الجفون
أتراني ألذُّ شيئًا إذا ما غبتَ عن ناظري وقلبي الحزين
إنما يحسن المساء ويحلو بك فاقعد — أولا وهذي يميني!
قد ظفرنا من اللقاء بحظٍّ فاقض حظي من الفراق الشطون
حسبيَ الله في كفاية ما يعـ ـتادني منك وهو خير معين

هيهات بابل من نجد

هل من معين على نجوى ووسواس … أو من سبيل إلى تبريد أنفاسي
أكرُّ طرفيَ في الماضي فيبسم لي … وأنثنى وأمامي جد عباس
ليس الذي فات أيامًا أُعدِّدها … لكنه العمر وا لهفي ويا ياسي
والدهر لا فلتاتُ السعد يرجعها … ولا يجدِّد ما يبلى من الناس
لو كان في مقبلٍ من مدبرٍ عوض … لم أودع الذم للأيام أطراسي
قضى ليَ الدهر بلوى في تصرُّفه … لا بُرءَ منها وعافى غير ذي باس
قد كنت أمرح في روضٍ مطارفه … مطرز طرفها بالورد والآس
أرضي مفضَّضة رُبًى مذهبةٌ … وفي سمائي نجومٌ هنَّ إيناسي
إن شئت غنتنيَ الأطيار ساجعةً … أو شئت كانت ثغور الورد أكواس
أو شئت في ظل أغصان مهدلة … تحنو عليَّ بألوان وأجناس
ملأت عينيَّ حسنًا لا مخالسةً … لكنْ مرامقة ملآى بإحساسي
فالآن قد ذهب العيش الرقيق وما … بُدِّلت منه سوى جدب وإيباس
وأصبح الورد يخفي حر وجنته … عن العيون ويبدي شوكه القاسي
عهدٌ تصرَّم لم أظفر بمأربتي … منه ولا أورقتْ أعوادُ أغراسي
ما للحمام يغنِّيني على فننٍ … غض التثني منير النور ميَّاس
والروض كيف اكتسى بالوشي محتفلًا … وراح فيه وقلبي واجدٌ آس
دنيا تغيض من بشري وتبسم لي … كالعضب مؤتلقًا يهوي إلى الراس
هيهات ما تحفل الدنيا بملتهفٍ … ولا تبالي بإسعادٍ وإنحاس

لن يخلع الروض أبراد الحيا جزعًا ويكتسي دارس الأفواف للناس
أو يعبس النوْر من شجو يُهضِّمني أو يخرس الطيرَ بلبالي ووسواسي
إن يسلب الدهرُ ما أولاه من هبة فشيمة الدهر إعراء الفتى الكاسي
أو يشعب الصبرُ أكبادًا فيذهلها عن ذكرنا ففؤادي ليس بالناسي
وكيف أنساهمُ والقلب يتبعهم على جديد لبانات وأدراس

استقبال صديق

كيف به والجفاءُ يبعد بهْ ... وفرقةُ الصب منتهى أربهْ
تالله ما أن يني يباعدنا ... بالغدر في جده وفي لعبه
إن يصغ للشوق بعد ذاك فقد ... أسرف في كبره وفي غضبه
وكيف يرجو البقاء من رجل ... لم يبقِ من وصلةٍ إلى سببه
إن مرَّ لم يكترث لخطرته ... أو قال لم يلتفت إلى خطبه
قد قلَّ من يصدق الوداد فما ... أحس من ودهم سوى كذبه
أعطشني الناس بعد أن «رويوا» ... من مستهلِّ الوفاء منسكبه
جفوا كما جفَّت الحياة فما ... أعرف من عودهم سوى حطبه
ما لي وما للزمان وا عجبي ... وا عجب أن يكفَّ عن عجبه
غاض غدير الوفاء في زمنٍ ... فاض بما لا يجفُّ من نوبه
ما جوُّ هذا الزمان من أربي ... رجال هذا الزمان أخلق به
أصحب من لا أودُّ صحبته ... ومن أذوق البعادَ في قربه
لم يبقَ عندي من الرجاء سوى الـ ... ـقنوط من برقه ومن صببه
وزفرةٍ تحطم الضلوع لها ... على زمان عريت من قشبه
وحسرةٍ إثرَ غلمةٍ ذهبوا ... عنِّي فلجَّ الزمانُ في حربه
يسرع دمعي إذا ذكرتهمُ ... إسراع فيض الغمام في صببه
أما فتًى صادق الهوى كأخي ... «شكري» يردُّ الزمان عن نوبه
أوثقُ من تصطفي وأكرم من ... تأخذ من عقله ومن أدبه

خــلائــقٌ ســـهــلـــة مــوطــأة كالبارد العذب غب منسكبه
كـم مـجـلـسٍ الـودادُ ثـالـثـنـا والراحُ تجلى كالحق من حجبه
ذاك قـريبـي ولـيس مـن رحـمـي وهـو نـسـيبـي ولـستُ مـن نـسبـه
إن ضـرب الـدهـر بيـنـنـا فـلـقـد لُفَّ كمـا كـان قـبـل شـمـلـيَ بـه

حلم اليقظة

الحياة حُلم

وسم الربيعُ الأرض فهي كأختها قبل العيون وأختها كالتوأم
بأبي جلالٌ راعني فنشدته وأصبت معنًى فيه يخطئه العمي
فطفقت أرمق وردةً فتَّانةً ضحك الندى في ثغرها المتكمم
فرأيت أني ناظرٌ حسانة يقظى اللحاظ جليلة المتوسم
رفعتْ يدًا فإذا الغصون كواعبٌ يرشقنني بنواظر المتهكم
وإذا بساط الروض لجٌّ زاخر لله روعة موجه المتحطِّم
وكأنما الورق النضير حمائمٌ كخواطرٍ طافت برأس مهوِّم
ووجدت صوتًا مثل أنفاس الصبا عذب الورود كأنه من مغرم
صوت من البحر العميق كأنه همس النسيم أو الحيا المترنم
عجبًا لمعنًى في مطاوي لفظه يذر الخليَّ رهين شجو مضرم
يا من تأوبه الهموم حياته والهول يغشى كلَّ كهف مظلم
قد طال ما قطَّبت وجهك للدُّنا حتى نسيت بشاشة المتبسم
لا تحسب الزمن النضير براجعٍ إن السعادة فذَّةٌ لم تتئم
هل كنت دهرك غير طيف حائر أو كان عيشك غير حلم مبهم
ولهذه الآن التي تزهى بها من طيبها حلمٌ بحلم أدوم

* * *

ولَّى الظلام وأجفلت أحلامه فرجعت أرمق غضة المتنسم
فإذا مكان الطل دودٌ فاتك يا للحياة من الأذى المتحتم

الكتمان

يـا وردةً عَـرفـهـا جـزيـلُ وبـثُّ عـشـاقـهـا طـويـلُ

يستوقد الصدر مجتلاها والنفس يهتاجها الجميل

آهِ عــلــى حــســنــهــا وآه لـو يـنـفـع الـواجدَ الـغـلـيـل

وكيف يجدي الإعجابُ صبًّا والـيـأس فـي قـلـبـه دخـيـل

لـكـن حـرام عـلـى عـيـون تـشـهـد حـسـنًـا ولا تـمـيـل

ألـم يـخـبِّـرْك يـا حـبـيـبـي تـهـضُّـم الـوجـه والـنـحـول

بـأنــنــي عــاشــقٌ كــتــوم يُـبـطـن غـيـر الـذي يـقـول

أم تبتغي أن يضيق ذرعي فـيـشـتـكـي قـلـبـيَ الـحـمـول

وليس بدعًا إن استجار الـ ـطعين واستوصف العليل

لـكـنَّ فـي مـقـولـي إبـاءً والـنـاس أخـلاقـهـم شـكـول

لم يخلق الله «في» لغير الـ ـزفـيـر فـلـيـفـرح الـعـذول

النظر

غُضَّ عني بالله طرفك إني | ليس لي طاقة بسحر فتوره
كيف لي أن أقص أمري إذا أنـ | ـت عقلت اللسان عن تحريره
والقوافي إلى الشرود سريعا | تٌ وللنظم ناثرٌ من مثيره
وقليلٌ أن أكبرتك القوافي | يا جميلًا بحورها من مطيره
إنَّ للبدر دولة يخضع البحـ | ـر ويعنو لحكمها في أموره
ما عسى طاقة الجليد على الشمـ | ـس إذا مسه اللظى بسعيره

إلى صديق

وهي أبيات قافيتها غربية

لا تزر إن قضيت قبري ولا تبك عـلـيـه كـسـائـر الأصـحـاب
خل عنك الوفاءَ واسمع لداعي الـ ـغـدر فـيـنـا فـلات حـيـن وفـاء
وقبيحٌ أن تسحب الذيل مختا لًا وتمشي على رقاب الصحاب
مـزعـجًـا بـالـسـلام روحَ كـريـم أنـت غـيـبـتـه بـجـوف الـعـراء
قـضـت مـنـكـم الـلـيـالـي هـوانًـا ونـفـضـنـا أكـفـنـا مـن غـرامـك
فدع السحب تسحب الذيلَ فينا وتـروِّي ثـرايَ وامـضِ لـشـانـك

الخمر والحب

لا تـذرهـا فـإنـنـي غـيـر صـاحِ　　ربَّ راح شـربـت مـن غـيـر راحِ
كم صريعٍ لم يرشف الكأس يومًا　　صـرعتـه كـأس الـهـوى الـسـفـاح
فـأجـزهـاً عـن مـغـرم مـسـتـهـام　　تـبـلـت قـلـبـه عـيـونُ الـمـلاح
ما صدفنا عن ودها علم الله　　ولـسـنـا لـهـجـرهـا فـي ارتـيـاح
غـيـر أنـي لـثـمـت ثـغـرَ مـلـيـح　　أيـن مـنـه مـراشـفُ الأقـداح
ذا كذوب النضار والتبر لكن　　ذاك أروى لـغـلَّـة الـمـلـتـاح

وصية

كفِّنوني إن مت في ورق الزهــ ـــرِ ورشـوا ثـرايَ بـالـصـهـبـاء
واذكروني والوجه منطلق البشــ ـــر كـأنـي مـا زلـت فـي الأحـيـاء
وإذا مـا أديـرت الـكـأس يـومًـا فاشربوا لي من صرف ما في الإناء
إنـمـا يـهـرب الـرجـال من الـذكــ ـــر لـمـا قـد يـثـيـر فـي الأحـشـاء

الخمر والحب

طاف بالراح علينا واضحٌ سبط القوام
فسقانا من سلاف وسقانا من غرام
وتمشَّى الحب قبل الـ ـخمر مشيًا في العظام
فشفى منا سقامًا ورمانا بسقام

إلى عاتب

ما أضعت الهوى ولا خنتك الغيـ ـبَ وحاشا لمثلنا أن يخونا

حاربتني الأقدار فأعتب عليها ودهتني وما وجدت معينا

ما حمدنا ما كان قبل ذميما أو رضينا ما كان لا يرضينا

ليس برحُ الهموم ما رحت تبديـ ـه ولكن ما بات فيك دفينا

الإسكندرية

لِيَ نفس موصولة بك ما عشـ ـتُ وكالنجم أنت منِّيَ بعدا
هل تعيد الأيام فيك ليالـ ـيَّ وعيشًا قضيته كان رغدا
بين نور الربيع والنرجس الغـ ـضِّ وبحرٍ يروع جزرًا ومدا
ومدامٍ لم نقذها بمزاج ونديم يسبيك لعبًا وجدا
ما حننَّا إلا إليها ولا ها ج سواها لنا ادِّكارًا ووجدا
إن تعد أغتفر لدهريَ ما فا ت وإلا فقد ترى الحرَّ جلدا

حلم اليقظة

الحروب

سيل همومي قد طغى عبابا
وجُـنَّ حـتـى مـلأ الـشـعـابـا
يا ليتني لو تدفع المصابا
ليت وتحلى الصبر المذابا
أدري لـداء مـنـهـكـي طـبـابـا
يـبـلِّـد الإحـسـاس والألـبـابـا
يـفـلُّ حـد الـخـطـب إن أصـابـا
ويـذهـب الأشـجـان والأوصـابـا

* * *

إني سمعت في الدجى اصطخابا
كـأن فـي إهـابـه ذئـابـا
سـيـمـتْ أذى فـطـلـبـت وثـابـا
مـسـتـهـولاً يـنـتـزع الـصـوابـا
يـهـتـك من فـؤادك الـحـجـابـا
مثل الصدى قد عمر الخرابا

كأن حولي رممًا أسلابا
تفصل في مسامعي خطابا
وخلت أني ناظرٌ شبابا
تخالهم على الثرى ثيابا
بيضًا وطورًا تجتلي ضبابا
منهم يغطِّي الأفق والرحابا
ويحجب الأطواد والسحابا
تنكره إذا بدا أو غابا
فقمت أسعى نحوهم مرتابا
منجفلًا ومرة وثَّابا
يا ليتني لم أبتغِ اقترابا
وليتني جانبتهم جنابا
أي قضاء قد مضى غلّابا
وأي خطب قد رمى فصابا
وبزَّ هذي الأنفس الصعابا
أرواحها وأولغ الذئابا
في دمعها ووسَّد الترابا
خدودها النواضرَ الرطابا
وبذر الرءوس والرقابا
ونثل الكبود والعيابا
وفرَّق الخلَّان والأحبابا
وجمع الوحوش والعقابا
يا ويح أيدٍ جنت المصابا
وهاجت السيوف والحرابا
وتخذت من الردى أسبابا
يا ممطرًا على الورى عذابا
وراعيًا جماجمًا صلابا

ومـجـريًـا دمـاءَهـا عـبـابـا
وظـالـمًـا لا يـتَّـقـي حـسـابـا
أجلك يبكي الحضَّرُ الغيابا
وتـألـف الـوجـوه الاكـتـئـابـا
وتـركـب الأرامـل الـصـعـابـا
وتـحـمـل الـكـواهـلُ الـهـضـابـا
ليت الذي سن لنا القرضابا
يسمع لو يستطيع ذا الخطابا
مـن ذاهـبٍ لا يـرتـجـي إيـابـا
وسـائـل لا يـحـفـل الـجـوابـا
يـلـبـس مـن دمـائـه جـلـبـابـا
مـتـخـذًا جـراحـه أكـوابـا
بـكـرهـه ودمـه شـرابـا
يـا مـلـكًـا أجـبـتُ إذ أهـابـا
خـال الـدمـاء ذهـبًـا مـذابـا
فـسـاقـنـا إلـى الـردى أغـصـابـا
أجـرْ ولـيـدي واحـتـقـب ثـوابـا
وكـن مـعـيـنًـا لأبٍ قـد شـابـا
يبكي ويستبكي ليَ السحابا
وزوجـةٍ ألـبـسـتَـهـا الـمـصـابـا
تسفي على واضحها الترابا
لا تـجـعـلـن ظـلـم الـعـبـاد دابـا
بل أنت لا تسمع لي خطابا
هل يرحم الضعيف والمصابا
ملك يرى الرحمة فيه عابا
أدعـو الـذي إن أدعـه أجـابـا
ثـم ارتـمـى وافـتـرش الـصـحـابـا

مناجاة الهاجر

غذائيَ الحبُّ يا من فيه حرمانُ   مني له أبدًا ما عشت نشدان

وهل غذائيَ إلا أن أراك وأن   يمر بالسمع لفظٌ منك فتان

وما أقلَّ الذي أبغي وأيسره   لو كنتَ تنصف إن الحق عُريان

ذنبي إليك هوى ينفك يعلنه   شعري وإحسانكم صدٌّ وحرمان

يا ليت أن ذنوب الناس قاطبةً   شعرٌ عفيف وأشواق وتحتان

عجبت ممن براه الحبُّ كيف غدا   يقلى الهوى والهوى والحسن أخدان

لأي أمرِ طويتَ الكشح عن رجل   عف الأديم لفضل فيه برهان

أخفتَ أن تأخذ العينان منقصة   في حسنك الغض والإنسان إنسان

فقلت أعشى مآقيه بأدمعها   حتى أبيت وكل النقص رجحان

كذلك الشمس يعشى طرفها أبدًا   والكون جهمٌ ووجه الجو غيمان

كلا لعمري لقد جلَّت محاسنه   عن أن يكون بها عيبٌ ونقصان

أرق من دمعة التوديع طلعته   وقد تحمَّل للتوديع خُلصان

وما ابتسامة ولهانين لفهما   بعد النوى وانصداع الشمل لقيان

يومًا بأعذب من حسن تسربله   عليه منه على الأيام ريعان

عبدتُ فيه إلهًا كنتُ أكفره   دهرًا فأعقب نكرانيه عرفان

هذا نبيٌّ ولم يُبعث وليس له   إلا الجمال وآي الحسن قرآن

آمنت بالعين عن طوعٍ وفي سعة   وآمنتْ من نفوس الناس آذان

لو أنه كان في وسعي ومقدرتي   أن ترسم اللحظَ ألفاظٌ لها شان

وأن أصوِّر في القرطاس فتنته ... لقالت الناسُ هذا منك بهتان
سحرٌ لعمرك لم يمنحه من أحدٍ ... إلا الملائك لا إنسٌ ولا جان
وشاعرٌ لبق التصوير يحكمه ... أحكامه وخيالُ الفحل معوان
يكسوه من شعره ثوبًا يخلده ... وليس يُبلي جديدَ الشعر أزمان
فما يعطل شيءٌ من محاسنه ... إلا غدا وهو بالأشعار حليان
وربَّ مسودِّ سطرٍ أنت تحقره ... تألَّق الحسن فيه فهو ضحيان
وعاش فيه جمالٌ طاح لابسه ... وماس فيه وربُّ الحسن ذبلان
والشعر حصنٌ عزيز ليس تقهره ... هذي الليالي وغيرُ الشعر وهنان
كم قلت لما رأيت الدهر أيديَه ... مطاعناتٍ وللأيام تطعان
مُقوضاتٍ حصونًا وهي من ضرعٍ ... لها على ذلة التقويض إذعان
يذوي تعاقبها الغصن الرطيب ولا ... يبقى على الغصن أنَّ الغصن فينان
وجائعَ اليمِّ لا ينفكُّ من سغبٍ ... له على الأرض عدوان وطغيان
كلاهما أبدًا ربحٌ لصاحبه ... لا غنمَ فيه وبعضُ الربيح خسران
يا ليت شعري ألا شيء نصون به ... هذا الجمالَ فلا يعروه نقصان
أما يثقِّل هذا الدهرُ أرجله ... أليس في الدهر إروادٌ وإمعان
وكيف نصرف عنه لحظَ طالبه؟ ... أنَّى ونائمُ هذا الدهر يقظان؟!
وهل تغالب هوج الريح رجسةٌ ... ما إنْ لها غير فرط الحسن إمكان
إلا تكن هذه الأشعار خالدةً ... فلن يدوم لهذا الحسن ريعان
يبلى مع الحسن عشقُ العاشقيه ولا ... يبلى جمالُ فتًى بالشعر يزدان
لا بدَّ من هرمٍ للمرء غير فتى ... يصونه الشعر إن الشعر صوَّان
وإنما الناس كالأمواج بعضهمُ ... في بعضهم غائبٌ والعيش مَيدان
إذا الفتى ائتلفت ألوانُ رونقه ... وراح وهْو بماء الحسن ريَّان
عدتْ على حسنه الأيام فاختلفت ... بعد التناسب أصباغٌ وألوان
ما يسمن الدهرُ إنسانًا ليشبعه ... لكن يعجفه والدهر سغبان
وكل ما تزرع الأيامُ تحصده ... وللجمال كما للزرع إبَّان
أظافر الذئب أحرى أن يقلِّمها ... لو كان في الدهر إنصافٌ وعرفان
لكنَّ شعري برغم الدهر يكلؤه ... وهل لذي الحسن غير الشعر أكنان

ما ضرَّ ذا الحسن أن الحسن عاريةٌ تبقى له الروح إما رث جثمان
كالورد إما ذوت يومًا غلائله ذكى فصار به عنهن غُنيان

* * *

أراه في الزهر مخضلًّا وأسمعه في هادل الطير هاجتهنَّ أشجان
وأجتلي نفسه في الماء حفَّ به على الجوانب ريحان وحوذان
لكنني كسجين مرهقٍ تعبٍ تسكُّ مسمعه في السجن ألحان
تضيئه الشمس من قضبان محبسه ودونَ أن يجتليها الدهر قضبان
يا ليت شعري وهل في ليت من فرجٍ من أزم ما أنا عانٍ منه أسوان
ماذا أراد بنا حتى نأى ودنا طيف يخادع طرفي وهو وسنان
إخال أنِّي إذا استوحشت آنسني على النوى منه أشباهٌ وأقران
يبدي ودادي ويحمي العينَ رؤيته لو كان ينصف ساوى ذاك ميزان
عجبت من مائل عنا وإنَّ لنا شعرًا كما سجعت في الروض مرنان
لكل روضٍ نضيرٍ طائرٌ غرد كذاك نحن حماماتٌ وبستان
أما يرى غايتي في الشعر واحدةً وإن تباين أوزانٌ وأوزان
فما أحوك على الأيام قافيةً إلا وفيها على حبِّيه عنوان
أكسو قديميَ أفوافًا تجدده وبعض ما تكتسي الأشعارُ أكفان
كالشمس غاربة طورًا وطالعة عودًا لبدءٍ وما للشمس إيهان
مسبِّحًا باسمه في كل آونة كما يسبح باسم الله رهبان
كأن ذكريه آياتٌ أرتلها كما يرتل إنجيلٌ وفرقان
لي من ملاحته وحيٌ يساعفني إذا أعان على الأشعار شيطان
قليل ذكريه في شعري يزيِّنه كأنما ذكره درٌّ ومرجان
أراك تجرحني باللفظ تبعثه يا ليتني جرحتني منك أجفان
قتلتَ بعضي فأتمم ما بدأت به فالقتل إمَّا استحال البرءُ إحسان
وكن كما أنت قاس كيِّسًا فطنًا فللجفاء كما للرفق أحيان
أذقتني النارَ في الدنيا فأحرِ بأن يذيقني منك طعمَ الخلد رضوان
آمنتُ بالحب فاجزِ المؤمنين كما يجزي على طاعة المخلوق ديَّان
ضننتُ باسمك حتى لا تدنسه أفواه ذي الناس إن الناس ديدان

من ذا كرهت فلم أنبذ مودته ... حتى كأنْ لم يكن ودٌّ وتحتان

أما تراني إذا هاجرت من غضب ... يقتصُّ مني لكم وجدٌ وأشجان

إني أعيذك من ظلمي وأنت فتًى ... يحميه أن يفعل الأسواءَ وجدان

لا تحسب البعد يسيليني فتهجرني ... فليس في البعد للمشغوف سلوان

هل ينفع الصبر ملتاحًا تدافعه ... عن الورود فيروى وهو غلَّان

ما لذة القلب خلوًا من دخيل هوًى ... ما الليل إن لم يكن بالصبح إيقان

هل تمرع الأرض لم تنسج مناسجها ... فيها سوارٍ لها سحٌّ وتهتان

ما لي بغير الهوى في العيش من أرب ... ولا بقلبيَ أحقاد وأضغان

محا الهوى من فؤادي كلَّ مقلية ... فاعجب لقلبٍ خليٍّ وهو ملآن

كأنما ليس في الدنيا سواه فتًى ... أحبه وكأن الناس ما كانوا

أنسانيَ الحب ما قد كنت أحمله ... على الليالي فلي بالذكر نسيان

فعدت أطلب أن أحيا له أبدًا ... وكان للموت منى مني الدهر نشدان

أحيا وأزهق آمالًا شقيتُ بها ... فالحال واحدةٌ والطعم ألوان

* * *

يا ليت لي والأماني إن تكن خدعًا ... لكنهن على الأشجان أعوان

غارًا على جبل تجري الرياح به ... حيرى يزافرها حيرانُ لهفان

والبحرُ مصطفق الأمواج تحسبه ... يهيجه طربٌ مثلي وأشجان

إذا تلفَّت في خضرائه اعتلجت ... آذيُّه فلسرِّي منه إعلان

خلِّ القصور لخالي الذرع يسكنها ... وخير ما سكن المعمودُ غيران

حسبي إذا استوحشت نفسي لبعدكُم ... بالبحر أنسٌ وبالأرواح جيران

لا كالرياح سميرٌ حين ثورتها ... إذا ما لأسرارها في الصدر إجنان

تفضي إليك بنجواها زمازمها ... نمَّ الصباح بما يطويه أدجان

إذا الفتى كان ذا شجوٍ يميد به ... معذَّبًا بالمنى من معشر خانوا

فنعم مسكنه غارٌ له أبدًا ... من السحاب قلادات وتيجان

ونعم أقرانه بحرٌ له زجلٌ ... وساقياتٌ لها سجع وإرنان

وما أبالي وقد أصبحتُ مطَّرحًا ... إذا خلت لي من الإنسان أوطان

ما بي إلى الناس أطرابٌ فأفقدهم ... إذا اعتزلت وهل للداء فقدان

بيني وبين الورى بون فأحجِ بأن ... يكون بيني وبين الناس وديان
إني شغلتُ بمعراض أخى مللٍ ... فلست أدري أفوقَ الأرض سكان
سيَّان عندي إذا ما ازورَّ عن نظرى ... وأظلم الجوُّ؛ إنسانٌ وعيران
وما عليَّ وليس الناس من أربي ... إن قطعت بيننا بيدٌ وغدران
هيهات آنسُ بالإنسان ثانيةً ... من يألفِ الكأس يألمْ وهو صديان
خلِّ الرياح تناجيني وتعزف لي ... فللرياح كما للناس ألحان
إن يستخفَّ بما ألقى أخو عنفٍ ... لا رفق فيه فإن البحر حنَّان
تسليك منه وإن أشجتك روعته ... وقد تسرِّي من الأشجان أشجان
والبحر للنفس مرآة ترى صورًا ... منها بها ولعجم الموج تبيان
يا حبذا الغارُ والأرواحُ نائحةً ... والبحر مصطخب والليل طخيان
ومرحبًا بهموم لا ارتحال لها ... وجونِ ليلٍ له كالهم إيطان
وأنت بين أبابيلٍ مغردة ... كأنهن على الأغصان قنوان
حمائمٌ في نواحي الروض هادلة ... وأقحوانٌ على الحافات نعسان
ونرجس كاسف والعين ضاحكة ... يا حبذا نرجس لهفانُ جذلان
والماءُ كالفضة البيضاء سائلةً ... طورًا وطورًا تراه وهو عقيان
بمعزل عن هموم أنت موقدها ... أرعى وأنت على الأيام غفلان
لك الرياض عليها الدهر أوشيةٌ ... خضر يضاحك فيها الوردَ ريحان
إن شئتَ حياك فيها النورُ مبتسمًا ... أو شئت ألهاك مسجاع ومرنان
أو شئت في ظل أغصان موسوسة ... تنأى وتدنو كما يختال نشوان
جريت في حلْبة السرَّاء منتصفًا ... من الزمان كمن ضرَّته أزمان
ولي الجبال عرايا غير كاسية ... والبحر والريح سمَّار وندمان
إن فاتني من ذكيِّ الورد نفحته ... فلي بذكرك ريحان وسوسان
وإنما حبب الأجبال أنكمُ ... كنتم تحبونها والوصل فينان
هل أنس ليلتنا والغيث منسكبٌ ... وللبروق بقلب السحب أثخان
وقوله ليَ من لي أن تظللني ... من السحاب على الأطواد غيران
ريح تهب لنا من كل ناحية ... وديمة كحلها نور ونيران
يلفنا الليلُ في طيات حندسه ... كما يغيِّب سرَّ المرء كتمان

نكاد نلمس بالأيدي السماء ونجـ ـتلي بها الرعد يطغى وهو غضبان
وللصدى حولنا حال مروِّعة كأنما تسكن الغيران جنَّان
لكل صوت صدًى من كل منعطف كما تجاوب عسَّاسٌ وأعيان
يطير كل صدًى عن كل شاهقة كما تطير عن العقبان عقبان
تبدو لأعيننا البلدان كالحةً كالوجه غضَّنه سنٌّ وحدثان

* * *

حاشا لمثليَ أن ينسى وإن بعدت مسافة الذكر إن الذكر ديدان
هيهات ما تطفئُ الأيام حرَّ جوى وقد يسعِّر نارَ الذكر هجران
كالنهر عمَّق مجراه تحدُّره والنار ألعجها ريح وعيدان
لنا بما قد مضى عن غيره شغلٌ كأنما عطَّل الأفلاكَ خطبان
وصرتُ لا أنا من ضراءَ مبتئسٌ يومًا ولا أنا بالسرَّاء فرحان
أعطيتك العهد أن أحيا لكم أبدا فهل ترى أنني للعهد خوَّان
ما لي سوى طيفِ أيامي التي غبرت خِدنٌ إذا شئت وافى وهو مذعان
كأنني حين أدعوه وأنشره عيسى بن مريمَ يحيى معشرًا حانوا
هذا نديمي أناجيه ويترع لي كئوس ذكر لمن لي منه نسيان
كم ليلة بات يحييها معي سهرًا يا حبذا هو سمِّيرٌ ومِلسان
يطوف بى بين أطلالي ويطرفني فيها بأيامنا والعيش زهران

* * *

عاد الربيع فهل في ظل بردته ألفى مقيلًا لقلبي وهو حرَّان
واخضرت الأرض واستحيا الموات فهل يخضرُّ لي بربيع الوصل موتان
حتى الطيور لضم الله ألفتها فهل لنا بعد طول النأي لُقيان
وهل أقول له والسنُّ ضاحكةٌ والعين باكيةٌ والقلب هيمان
يا مرحبًا بربيعَيْ جنةٍ وهوًى وحبذا من شهور الحول نيسان
قد كانت السُّحْب تبكي عند فرقتنا فالآن تبسم للقيان قيعان
وكان يؤنسني ريح مزفزفةٌ فالآن لي بالنسيم الغضِّ قنعان
أرمي بظني وأخلق أن يطيش وفي عيني ضبابٌ وفي الآفاق إدجان
طامنْ رجاءَك لا الآمال نافعة يومًا ولا لربيع الحب غشيان

وقل لمسود يأسٍ كنت تألفه ... عمرَ الزمان لنحن العمرَ إخوان
إنا عشيرًا مصافاة مصفقة ... وقد وشَّجت بيننا قرى قربي وألبان
لو أنَّ ما بيننا رثَّتْ مرائره ... لكان خيرًا وبعض الغوث خذلان
لكنني سأرد النفس مكرهة ... على الذي تتقي والله معوان
يا يأس فاجعل بساط الروض مرقدنا ... والسروَ كلَّتنا فالسروُ محزان
واجعل ذراعيَّ إمَّا نمتَ أوسدة ... واعذرْ إذا لام فقرَ الحر ضيفان
«إلَّا يكن وجدُ حرٍّ ملءَ همته ... فقد يمد وعاءٌ وهو نصفان»
يا من به اصفرَّ لون العيش وانفصمت ... عُرى الرجاء ودُّكت منه أحصان
ومن توسط مجلى الأفق فاحتجبت ... به البدور وضلت ثَمَّ شهبان
ومن أساله والنفسُ عالمة ... بأنه حربها إن طاش حسبان
ومن بكرهي جعلت القلبَ مسكنه ... كما تُواري نصالَ البيض غمدان
إني لأهوى على ذا أن تلابسني ... عسى تبرِّد قلبي وهو هيمان
عسى إذا ما تلابسنا تغيبني ... بعض الظلال لها في البعض إجنان
عسى ترنق في قلبي فتقصده ... فطالما نام جفني وهو سهران
إني اجتويت مذاق العيش وانتفخت ... مساحري منه إن العيش ذيفان
وحنَّ قلبي إلى نومٍ تخادعني ... أضغاثُ أحلامه والليل نعسان
حتى إخال بأني في بَلَهنيةٍ ... وأنَّ عينيَ لم يدمع لها شان
وأنني لست مَن لِيعت جوانحُه ... وبات فيها من الأشجان جولان
حتى إذا دبَّ بعد النوم صاحبُه ... فالجفن من سكرات الموت سكران
وشارف الحينُ واستروحتُ نشقته ... والعينُ شاخصة والوجه بردان
وكَلَّ ذهنيَ حتى ما يحركه ... شيءٌ وأعيا لساني وهو سحبان
والتفَّ حوليَ خلَّاني وآصِرَتي ... وكلهم شرقٌ بالدمع غصَّان
مصغين حتى كأنَّ الموت يخطبهم ... فالكلُّ حوليَ آذان وأعيان
طورًا وطورًا يهي بالخطب صبرُهمُ ... فيعولون كأنَّ القوم غيلان
وأضمرتنيَ أرضٌ لست أعذرها ... إنْ عاودتنيَ تحت التُّرب أديان
وغيَّبوني بملحود ينادمني ... به من السُّحْب هطَّال وهتان
نضوت عني همومًا كنت ألبسها ... مع الحياة فلي بالموت سلوان

واستروح القلب من شوق يلذِّده ... ومن دموعٍ لها في العين عينان
في ظلمة القبر للثاوي به فرج ... وفي الترابِ توافي الهمَّ أحيان
من لم تسعْ نفسه الدنيا بما رحبت ... فلن تضيق بها في القبر أعطان
دين عليَّ سأقضيه إلى زمن ... في دينه ليَ تسويفٌ وليان
يا ليت شعري إذا بُوِّئْت في جدثي ... هل يرهق القلب ضرًّا منه عدوان
لسوف أسخر منه وهو يطلبني ... ودون ذلك صفَّاح وكثبان

* * *

ما كان ذلك ظني بالحياة ولا ... قدَّرت أن تجلب الآفات أذهان
ولا تخيَّلت أن الناس كلهم ... في السر والجهر غيلان وذؤبان
ولا توهَّمت أن الكون وَاحرَ بي ... حلمٌ يراه من الأرباب سكران
وأنني موجةٌ في زاخرٍ لجب ... من الورى ما له كالبحر شطآن
بحرٌ كما شاءت الأقدار مصطخبٌ ... أصمُّ ليس له باللين إيذان
ما كنت آمل أن أحيا بمنتزح ... عن الهموم وهل عنهنَّ حيدان
أعددت للدهر درعًا كنت أحسبها ... متينة فإذا بالدرع كتَّان
وكنت أنظر في قلبي وأحسب في ... بطنانه لقلوب الناس ظهران
فشدَّ ما موهت نفسي وجوههمُ ... حتى تشابه عقيان وصيدان
وأنما النفس مرآة إذا كرمت ... فكل ما تبصر العينان حسَّان

* * *

بين الرجاء وبين اليأس يا أسفي ... عليك يا قلبُ أنت الدهرَ حيران
لا بل عليَّ وصدري مَوْكِنٌ خرع ... كبرت يا طير عنه فهو تعبان
إني وإن أطلقت نفسي مُعَتقةٌ ... حينًا وسرَّى من الأشجان إخوان
ففي فؤادي ظلام لا يزحزحه ... فجر يزوِّره كأسٌ وخلان
هيهات يؤنسني قوم نكرتهمُ ... لا هم عداةٌ ولا صحبٌ وخلصان
تضمنا صدف قد كنت أحمدها ... لو فرقتنا وبعضُ المنع إحسان
مخاوفُ القلب شتى غير واحدة ... كأنما ما لها إلَّاه إيوان
حتى السحاب وحتى الريح تفزعني ... والنبت أن مرحت منه أغيصان
قسا عليَّ رفيق القلب ليِّنُه ... فكل شيء تراه العين صوَّان

رفـقًـا بـنـا إنـنـا طـيـف سـيـخـلـجـنـا عـنـكـم وإن طـالـت الأيـام مـوتـان
ما طال عمري ولكن طال ما حملت نـفـسـي فـسـنـي وإن لـم تـعـلُ أسـنـان
كـأنـنـي عـشـتُ أدهـارًا وأزمـنـة ولـم أعـش غـيـر أيـام لـهـا شـان
وأكـبـر الـظـنِّ أن الـحـين يـعـجـلـني فـإنَّ مـرَّ الـريـاح الـهـوج عـجـلان
طـول الـبـقـاء لـكـم إنَّـا عـلـى سـفـر يـريـغـنـا آكـلٌ لـلـنـاس مِـبـطـان
أصـاب حـبـك مـنـا شـبـعـه أبـدا وسـوف تـأكـل مـا أ بـقـاه ديـدان
أعزز علينا بأن يشجيك مصرعنا وأن تـروح بـجـفـن وهـو عـبـران
قـد كـنـت أشـفـق حـيًّـا إن يـصـيـبـكـمُ سـوءٌ وأحـذر أن يـهـمـي لـكـم شـان

العتاب

خليليَّ ما يغني العتاب إذا انطوى   على البغض قلب كالزمان حئُول

إذا لم يكن صدقي الودادَ بنافعي   فكل مقالات العتاب فضول

الملل من الحياة

أكلما عشت يومًا   أحسست أنيَ مُتُّه
وكلما خلت أني   وجدت خلصًا فقدته
لا أعرف الأمن عمري   كأنني قد رُزِئته
ما تأخذ العينُ إلا   ما ملني ومللته
كأن عينيَ مدلو   لةٌ على ما كرهته
تضيئني الشمس لكن   لأجتلي ما أجمته
ثوب الحياة بغيضٌ   يا ليتني ما لبسته

الخاتمة

إلى صديق

دعني خليلي إذا استوفيتُ أيامي ... وقرَّ ثائرُ أشجاني وآلامي
وصرتُ لا الصيف يؤذيني بوقدته ... ولا الشتاءُ بتوكافٍ وإرزام
ولا يحركني بغضٌ ولا مِقةٌ ... ولا تريق همومي دمعَ أقلامي
ولا يسهِّدني ضيم يراد بنا ... ولا أبالي بأرزاقٍ وأقسام
أحيا بقلبك إن ضاق الزمانُ بنا ... وطأطأ الموتُ من إشراف أحلامي
وإن تقدَّمني في الشعر قالتُه ... وفاتني كل عنَّان وأمَّام
فاحفظ قصيدهم من أجل جودته ... واحفظ قصيدي لحبي لا لأحكامي

الجزء الثانى

سبق طبع هذا الجزء في حياة الشاعر — رحمه الله — وهو مشروح بقلمه.

الإهداء

ذهنـي مـحـراب حـسـنـكـم وبـه　　صـورتـكـم دون سـائـر الـبـشـر
وخـاطـري لا ينـي يرتِّل كـالــ　　ــراهـب آيـاتِ حـسـنـك الـعـطـر
لأبـتـيـن مـذبـحًـا وأجـعـل قـر　　باني فؤادي وما انقضى وطري
إذا خَـبـتْ نـاره وقَـصْـتُ لـهـا　　عودَ المُنى فـهـو غير ذي ثمر
فاقبل فؤادي لحسن وجهك قر　　بانًـا فـقـد كـان خـيـر مدَّخـري

إبراهيم عبد القادر المازني

المقدمة

بقلم صاحب الديوان

الشعر في أصله فن ذاتي يحاول الشاعر أن يرضي نفسه به، ويتعلل ويتلهى، إلا أن هذه الحال التي ليس للشعر فيها إلا غرض ذاتي، ولا غاية إلا الترفيه عن أعصاب الشاعر وإراحته من ثقل الفكرة التي تتحول إلى عاطفة؛ هذه الحال لا وجود لها إلا في العصور الأولى من تاريخ الإنسان، أيام كان يأوي إلى الكهوف والغيران، وينقش على جدرانها صور الحيوان الماثلة في الذهن المتشبثة بأهداب الذاكرة والوجدان؛ أولئك المستوحشون الذين كانوا يزينون كهوفهم بصور الحيوان والأعداء والنساء، ويوقظون الصدى في مخارم الجبال ومنعطفات الأودية بأنغامهم الشاكية الهافية، ويطفئون وقدة الوجد بالرقص في ليالي الربيع على ضوء القمر، ويترجمون عن إحساسهم بظواهر الكون في أغانيهم وأساطيرهم، هؤلاء هم أول — وآخر — من عالج فنًّا لذاته.

ثم لم يلبث الشاعر أن أحس فرق ما بينه وبين سائر الناس، وأدرك أن إحساساته أدق، وأداءه عنها أبلغ وأوقع، وأنه في الجملة أبعد منهم مرمى، وأرفع مصعدًا، وأرقى قدرًا، وأن له شأنًا غير شأنهم، وأنهم يلتذون كلامه ويشجعونه على إمتاعهم بمثله، ويزفون إليه ثناءً لا يلبث أن يصير إعجابًا، وخليق أن تُحدث هذه الحال الجديدة الناشئة عن شعوره الجديد تطورًا في أغراضه وبواعثه، فيصبح ما كان ضرورة جسمية ذاتية — كالطعام — فنًّا عمليًّا يزاوَل ويعالَج، ويُتعهد بالتهذيب والتنقيح والتجويد، ويصبح ما كان في أصله وحيًا لا حيلة له فيه عادةً وأسلوبًا؛ وسرعان ما يصبح الشاعر يقلد نفسه!

فإذا كرت الأيام، ودار الزمن، وجاء وقت التفكير الهادئ، والعمل المرتب المنظم ذكر الشاعر ساعة تملكته حمى الوحي والإلهام، ودفعته قسرًا في طريق الأدب، وإن غريزته ما زالت تلهمه وتوحي إليه، ولكن عمله في الواقع قد صار صناعة تقسره عليها الإرادة الذكية، والرغبة الملتهبة، وما زال يطلب إرضاء نفسه وهو يعالج عمله، ويبغي الترفيه عنها من ضغط عواطفه، ولكنه قد أصبح طماح المعين كثير المراغب يفكر في جمهور قرائه وعشاقه، ويحلم بما يمني به نفسه من النجاح.

وواضح من ذلك أن الشعر كان يعالَج لذاته، أو بعبارة أخرى: ليريح المرء نفسه من ثقل الحاجات الجسمية، ثم صار الشاعر يطلب أن يرضي غيره فضلًا عن نفسه، وامتزجت فكرة النجاح والتأثير بعواطفه المنتجة، ولكن الشعر الذي يقع من قلوب الناس ويبتعثهم لا يمكن أن يكون تقليديًّا مكذوبًا؛ فإن القلب لا يخطئ في التمييز بين الشعر الكاذب والشاعر الصادق، وللنفوس معايير حساسة لا يجوز عليها التزييف والتمويه والتزوير.

بَيْدَ أني لست أنكر أنك قد تبلغ بالكذب ما لا يبلغه الصدق، وتنال بالتمويه والخديعة ما لا تنال بالحق، غير أن الأديب أكبر من ذلك وأرفع، وغايته أسمى وأبعد، وللشعراء ضمائر شاهدة غير نائمة، والحق أحق أن يستولي على هوى النفس، وينال الحظ الأوفر من ميل القلب؛ وكيف يطبيك رجل يمسك على ما في نفسه ويستر ما يناله حسه، ويفر من شخصيته، أو رجل لا ينظر بقلبه ولا يستعين بفكره ولا يستنجد فهمه، أو آخر يأبى أن يبرز معانيه من ضميره، وأن تدين لتبيينه وتصويره، وأن ترى سافرة بغير نقاب، بادية دون حجاب؟

لقد طال استخفاف المتأدبين بضرورة الصدق والإخلاص حتى استخف بهم الناس، واشتد غلوهم في إنكار مكان الحاجة إليهما، حتى أنكرنا عليهم ما تكلفوه من فضول القول ونفاية الكلام، وما تجشموه من ضروب الأغراب الذي لا يغني من الأدب شيئًا، وأنواع المعاياة التي لا تعود بطائل، ولا ترجع بفائدة؛ ولعمري لست أعرف شيئًا هو أحلى جنًى وأعذب وردًا من الشعر إذا صدقَنا أهلُه المقالَ، وترفَّعوا عن التقليد الذي لا حاجة بنا إليه ولا ضرورة تحملنا عليه، وتنزهوا عن مجاراة الناس ومشايعة العامة وتوخي مرضاتهم؛ فإن لنا أعينًا كأسلافنا وقوة حاسة كقواهم، ومادة الشعر لا تفنى ولا تذهب؛ لأنه ليس شيئًا محدودًا معلومًا.

ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب.

وما الشعر إلا معانٍ لا يزال الإنسان ينشئها في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، والمعاني لها في كل ساعة تجديد، وفي كل لحظة تردد وتوليد، والكلام يفتح بعضه بعضًا، وكلما اتسع الناس في الدنيا اتسعت المعاني كذلك، والصدق في الترجمة عن النفس والكشف عن دخيلتها أبلغ في التأثير وأنجح، والأصل في الشعر وسائر الفنون الأدبية على اختلافها وتباين مراميها وغاياتها، النظر بمعناه الشامل المحيط، وإذا كان هذا كذلك أفليس من العبث تقليد السلف والاقتصار على احتذائهم والاقتياس بهم، فإن وصفوا النياق والحمير وصفنا القاطرة والعربات؟ ألا ترى أن العرب الذين وصفوا النياق والحمير والخيول وأشباهها قد أضاعوا أعمارهم؟ لا ريب أن وصفهم ذلك طبيعي، ولكن هذه اللفظة غامضة كل الغموض؛ فإن الحمير طبيعية، والعواطف والانفعالات النفسية طبيعية، بَيْدَ أنه لا يجوز الخلط بينها؛ لأنها جميعًا مختلفات، والحقائق الطبيعية فيها الضئيل والعظيم والحقير والجليل، وفيها ما هو أخشن من أن يحتمله نسج الشعر الرقيق، وهناك حقائق يخطئها الإحصاء عدا النياق والحمير، وللحياة غايات وآمال أكبر مما يشغل النظر، ويستغرقه من ذاك. وقد يدل وصفها على براعة وإبداع، ولكنه حقيق أن يدل على عجز عن التفطن للحقائق الفنية الجليلة التي ينبغي أن تكون العناية بها أشد من العناية بالحمير والنياق.

إن الشعر ديوان يقيد فيه أهل العقول الراجحة ما يجيش في خواطرهم في أسعد الساعات، وهو الذي ينقذ من الفناء والعدم خواطر الإلهام، وهو يحلق بالمرء فوق الحياة، ويرغمه أن يُحس ما يرى وأن يرى ما يُحس، وأن يتخيل ما يعلم وأن يعلم ما يتخيل، وهو يجعل القبح جمالًا ويزيد الجمال نضرة وجلالًا، ويفجر في النفس ينابيع الأمن والفزع والسرور والألم، ويُذهب مياه الموت المسمومة المتدفقة في عروق الحياة، فلا جرم كان الشاعر أحس الناس، وأعمقهم حكمة وأجمعهم لخلال الخير وخصال الفضل، نقول الفضيلة والخير ولا نخشى أن يهز القراء رءوسهم إنكارًا؛ فإن الشعر أساسه صحة الإدراك الأخلاقي والأدبي، ولست بواجد شعرًا إلا وفي مطاويه مبدأ أخلاقي أدبي صحيح، وعلى قدر نصيب الشاعر من صحة هذا الإدراك الأدبي تكون قيمة شعره.

ولا يتعجل القارئ فيحسب أنا نقصد إلى إظهار الإحساس الديني في الشعر، فليس كلامنا على مادة الشعر، بل على مصادره وينابيعه، ولا ينبغي كذلك أن يستخلص أن الشاعر يجب أن يكون صاحب مبدأ عملي لا يتحول عنه، فقد كان بيرنز الشاعر الإنجليزي، وأبو نواس، وامرؤ القيس متقلبي وجوه الحياة ومظاهرها، ولكن نصيبهم مع ذلك من صحة الإدراك الأخلاقي والأدبي عظيم.

ولئن كان لهم معايب نؤاخذهم بها فقد أحالها الزمن هباءً لا قيمة له ولا وزن، وأنت خليق أن تنظر إلى ما وراء ذلك، فإن أبا نواس أصح مبادئ وأنقى ضميرًا من البحتري على كثرة ما تقرؤه للأول مما يروع ويخجل، وكذلك امرؤ القيس أفطن إلى معاني الفضيلة وأعظم رجولة من أبي تمام وابن المعتز، ولم يكن الأعشى على حبه الخمر واستهتاره بها وتخلعه فيها بالرجل الناصب الفضيلة.

وكأني بهذه المعايب والمظاهر الخادعة من لوازم الحياة، والشر بعد لا ينفي الخير، بل قد يُنتج هذا ذاك، فإن مما لا شبهة فيه ولا ريب، أن النفس الإنسانية ليست كخزانة الكتب ترى فيها الفضائل والرذائل مرصوفة مرتبة لا تعدو واحدة مكانها ولا تتجاوزه إلى سواه، وإنما هي ميدان لتلاقيها وتلاحمها، وعالم صغير تتصادم فيه الغرائز والملكات، وتقتتل على الحياة والبقاء كما يحترب الناس في هذا العالم الكبير، ويتنازعون البقاء فيما بينهم، وبحر تتسرب فيه الطبائع بعضها في خلال بعض كما تتسرب الموجة في خلال الموجة وتغيب.

ولكن جمهور الناس وعامتهم لا يفقهون شيئًا من ذلك، وهم إنما يقدرون الرجل بما يبدو لهم منه في فعاله أو كلامه؛ إذ كانوا لا يستطيعون أن يوفقوا بين مظاهر الشر والخير، ولا يعلمون أن السكير مثلًا قد يكون أصح مبادئ ممن لا يعاقر الخمر ولا يني عن التسبيح في السر والعلانية، ولست أريد أن أدفع عمن يتنزى إلى المقابح، ويتسور إلى المعايب، وإنما أريد أن أقول: إن القارئ ينبغي أن ينظر من شعر الشاعر إلى نفسه، وأن يتلمس من معاريض كلامه ويستشف من وراء لفظه نصيبه من صحة الإدراك الأخلاقي، وأن يجعل ما يستبين له من ذلك مقياسًا للشاعر لا ما يقرؤه من ذكر الخمر والتشبيب وغير ذلك.

وبعد، فإن القراء لا ريب ينتظرون منا كلمة فيما قيل عنا من انتحال معاني شعراء الغرب، والإغارة على قصائدهم وادعائها. ولقد كنا نحب أن نغضي عن هذه التهم اكتفاءً بإظهار الجزء الثاني من ديواننا؛ فإنه وحده خير رد على ما رمينا به، ولكن الضجة التي قامت حول هذا الموضوع والشماتة الحقيرة التي لم يخفها قتلى المذهب العتيق، لا تجعلان السكوت من الحزامة في شيء، ولقد كان الإنصاف ألا يلام غيري إذا صح ما نسب إليَّ، ولكن الناس تجاوزوني إلى غيري، واتهموا سواي قياسًا عليَّ، وإن كنت لم أرمِ أحدًا ممن نقدوا شعري بالسرقة! وهذا عنت ظاهر يريك مبلغ الناس من الفهم والعدل.

أما ما قيل إني سرقته فقصائد بعضها — وهو الأقل — مطبوع في الجزء الأول، والبعض لم يكن قد نُشر بعد، ولست أدري كيف استحل الناس لأنفسهم أن يجزموا

أنى إذا طبعت الجزء الثاني لا محالة منتحل هذه القصائد؟ وهي «الراعي المعبود»، و«الوردة الرسول»، و«الغزال الأعمى»، و«إكليل الشوك»، وخمسة أبيات من قصيدة «الشاعر المحتضر»، وكلها منشورة في هذا الجزء منسوبة إلى أصحابها.

أما ما اتُّهمنا بسرقته مما ورد في الجزء الأول من ديواننا، فقصيدة «فتًى في سياق الموت» وهي ثمانية أبيات، ولقد راجعنا قصيدة الشاعر «هود» فوجدنا في قصيدتنا أبياتًا ليست له، ونحن ننزل عن القصيدة كلها راضين، ونبرأ إلى الله من تعمُّد أخذها والإغارة عليها، وقصيدة «قبر الشعر» وهي خمسة أبيات نكلها إلى حظ أختها.

ولقد راجعنا الجزء الأول قصيدة قصيدة لنميط عنه هذا الأذى، وراجعنا دواوين الشعراء التي عندنا زهادة منا فيما عسى أن يكون قد علق بخاطرنا من شعرهم ونحن لا نعلم، فلم نعثر على شيء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقة إلا أبيات في «رقية حسناء»، وهي لـ «شلي»، والجزء الأخير من قصيدة «أماني وذكر»، وهو لـ «بيرنز»، وأول هذا الجزء «يا ليت حبي وردة».

ولو أن ما أخذ علينا في الجزء الأول، وما نبهنا القراء إليه من تلقاء أنفسنا حُذف، لما أنقص ذلك من قيمة شعرنا؛ فإن في ديواننا الأول نحو ألف بيت، وليس ما أخذ علينا خيرها.

ولئن كان هذا دليلًا على شيء، فهو دليل على سعة الاطلاع وسرعة النسيان، وهو ما يعرفه عنا إخواننا جميعًا.

هذا ولا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكري أن نبهنا إلى مآخذ شعرنا والسلام.

الراعي المعبود

هي قصة قديمة، ول «جيمس رسل لويل» قصيدة فيها، وقد نظمتها بتصرف كثير ما بين حذف وزيادة.

غشى الأرض في شباب الزمان … رائع الحسن من بني الإنسان
وجهه كالربيع روَّضه القطـ … ـر وكفَّاه كالنسيم الواني
ما له بالطعان والحرث والزر … ع ولا السعي والدءوب يدان
يقطع العمر بالغناء فتعطو … مصغياتٍ سوانحُ الغزلان
وتحط العقبانُ بين قمار … آمناتٍ من وثبة العقبان
وترى الأفعوان ينصت للصو … ت وتصغى الذؤبان في الوديان
كل عين من حسنه تتلقَّا … هُ بوبلٍ من دمعها هتان
وله روعة تبيت لها النفـ … ـس تَنزَّى كألسن النيران

* * *

زعموا أنه اصطفاه مليكٌ … أخذت منه روعةُ الألحان
فهو ندمانه إذا الكأس دارت … ومغنِّيه والعشير الداني
وأمين على خزائنه طـ … ـرًّا وراعيه سيد الرعيان
نعمة أرمضت قلوب أعاديـ … ـه وأورت حزازة الإخوان
فمضوا يسخرون منه وينحو … ن عليهِ بألسن الأضغان
لا رعاه الإله من باهلٍ كـ … ـلٍّ يُزجِّي الزمان بالإرنان
يرسل الصوت ضاجعًا فيميد الـ … ـسامعوهُ تمايد النشوان

كيف لا يحسن الغناء وقد فا   ز بعيش النوامة المبطان
مسمع معجب ولكنه الآ   لُ تراءى للَّاغب الظمآن
عبث كله وإن سحر القلـ   ـب بروعات حسنه الفتان

* * *

كلهم فيه حائر ليس يدري   أمن الإنس أم من الجنَّان
يسمع الناس صوته فيخرو   ن سجودًا لفاتنات الأغاني
فإذا ما رأوه عادوا فقالوا   إنها خدعة من الآذان
يكتسي منه كلُّ لفظ جمالًا   بارعَ الأخذ مونق الألوان
قصدوا قصده على الرغم منهم   وجروا خلفه بغير عنان
فلهم قول كافرٍ ذي كنود   ولهم فعل راسخ الإيمان
وهو عنهم في غفلة معرض الوجـ   ـه كأن ليس من بني الإنسان
يلحظ الأرض والسماوات والنا   س بعين جِنِّيةِ الإنسان
وكأن الوجود يوحي إليهِ   بمعاني الجمال والإحسان
ثم وافاه حينهُ فمضى غيـ   ـر مَرُوعٍ من المنايا الدواني
ترك الأرض ذات حسن جديد   وشباب مخلد الريعان
وغدت بعده مواطئ نعليـ   ـهِ حرامًا يزورها المشرقان
أكبرت شأنه الخلائق حتى   عبدوه في غابر الأزمان
ليتهم أنصفوه حيًّا فلما   أن قضى شيَّعوه بالنكران

الوردة الرسول

مترجمة عن «ولر» بتصرف

تضحك عن طلها غلائلها ودمعها في الخدود مزدحم
تهزها نشوة الجمال وللـ ـحسن حميًّا كالخمر تحتكم
تحسبها لافترارها أبدًا قد سرَّها في منامها حلم
أهديتها شبهها وقلت لها قولي له لو تساعف الكلم
أما ترى رونقي وزهرته كأنني بالنجوم ألتئم
فكيف تجفو إن شبهوك بنا وثوب حسني عليَّ منسجم
يا مانع اللحظ أن يجول بهِ كأنما حسن وجهه حرم
يعجبني المرء ذو الحزامة والـ ـفهم ومن لا يغره الوهم
ولا أحب الجمال متهمًا في رأيه تستخفه النعم
هبني ببعض القفار نابتة في حيث لا تهتدي لِيَ القدم
إذًا لما حسَّ رونقي أحد ولا بكى إن دهانِيَ العدم
يا ظالمًا حسنه رُويدك ما أرخص حسنًا تجنه الظلم
فاسمح بأن تُشتهى ويطمع في ودك قلبٌ عليك مضطرم

* * *

ثم إذ بلى كي تريه مصرعه فكل حسن بالترب يلتطم

نهر الحياة

مترجمة بالحرف عن قصيدة لـ «موريس» اسمها «النهر المتعب».

ماض على غُلوائه يجري أبدًا إلى بحر بلا عبر
مترقرق لا شيء يحبسه متزاحم كتزاحم الشعر
متضاحك سلس وآونة متوثب عن نزوة الشر
زَجِل له لحن يذكرنا همس المنى في رونق العمر
ومزمجر طورًا كأن له رعد الجحيم تثور بالجمر
كم قد أقل عبابه سفنًا وأجن من غرقى ومن كسر
ورمى بكلٍّ غير متئد في قعر بحر هائل القعر
سيظل هذا النهر منجردًا يهوي براكبه إلى البحر
حتى يمل الدهر دورته وتنام عين الشمس والبدر
ويْلي عليه وويل راكبه منه ومن بحر الردى القفر!

لشاكسبير

أبعدوا عنيَ الشفاه اللواتي كن يطفئن من أوار الصادي
أغمضوا دونيَ الجفون اللواتي هن فجر يضل صبح العباد
واستردوا إن استطعتم مردا لثماتي من الخدود النوادي
كن للحب خاتمًا وأراها عبثًا ما طبعن في الأجياد

حواء والمرأة

من الفردوس المفقود لـ «ملتون»

وما أنسَ ذاك اليوم لا أنسَ طيبه   وقد بعثتني من منامي المقادر

فألفيتني وسنانة تحت وارف   من الظل في أكنافه الزهر يبسم

أسائل نفسي أين كنت ومن أنا   وأعجب مما أجتلي وأشاهد

وغارٍ برود الريح جاشت ضمائره   وفاضت برقراق المياه سرائره

نديٍّ رنين الصوت في أُذْن سامع   وفتان تلماع الحباب لناظر

تحدَّر حتى قلت ليس بمنته   وأقصر حتى قلت جفت مصادره

جرى ما جرى ثم استقر أتيُّه   وشن جمالًا بارعًا وجلالًا

فلله ما أصفى وأصقل ماءه   كأن سماءً رُكبت بثراه

رميت بلحظي في صقال أديمه   فأفصح عن قدٍّ نقي المحاسر

يصد ويدنو ما دنوت وينثني   يصوب مثلى طرفه ويصعد

ومن عجب أني بعينيه أجتلي   نظائر ما أبدي له وأعالن

فلولا رحيم لم أجد غير صوته   لقد ظل هذا القد قيد عياني

يقول رويدًا ربة الحسن والصبا   فما ذاك إلا صورة من جمالك

تعالي إلى من لا يعنِّي طلابه   ومن لا يحول الماء دون عناقه

ومن أنت منه صورة هو أصلها   وهل كنت إلا بعض ما ضم جنبه

من رباعيات عمر الخيام

مترجمة عن «فتزجرالد»

١

يا أسفا للربيع يذهب بالـ ـورد فلا تجتليه أعيننا
وللصبا تنطوي صحائفه ولم يزل نشرها يفاوحنا
وأين لا أين بلبلٌ غردْ كان يغني على الغصون لنا
غاب فهل عند بعضكم خبر وهل ترى ينقضي تساؤلنا

٢

يا رب باب لم أجد مفتاحَهْ
ورب ستر رمت أن أباحه
فذاد لحظي وثنى طماحه
قد خضن فينا ألسن جراحه
إذا غد راح بنا مراحه
كسر كل طاعن رماحه

٣

أترع الكأس يا حبيبي ودعني من أمور يشقى بها الفطن
ليس يغني يا قرة العين شيئًا علمنا كيف ينطوي الزمن
لم تلد هذه الليالي الحبالى الـ ـغدَ والأمسُ لفه الكفن
فاسقنيها وحسبنا اليومُ ما دا م غريرًا ووجهه حسن

كل يوم لي شكاة

كل يوم لي شكاة	بكلام العبرات
أطمع القلب وما ز	وَّد غير الحسرات
من ذوي الحسن غريرٌ	متناهي الغفلات
غرس الوجد وأجنى الـ	ـشوق ممرور الجناة
معرضًا في غير صد	دانيًا غير مؤات
نافرًا وهو قريب	وهو جم اللفتات
أتمناه ولكن	كيف لي بالأهبات
ضعف الصائد عن ظبـ	ـي كثير الوثبات
لقطفناه لوَ انّ الـ	ـحسن داني الثمرات
آهِ من قلبٍ إلى الحسـ	ـن كثير الصبوات
يا صحابًا أقصدتهم	أعينٌ غير ثقات
يتشاكون غرامًا	غير كابي الجمرات
في زمان يقظ الآ	لام موفور الأذاة
أنا بالشكوى خليق	فدعوني وشكاتي
واهنَئُوا أنتم بقرب	من غزال أو مهاة

وإلَّا

ألا ليت شعري فيك هل أنت ذاكري ... فذكراك في الدنيا إليَّ حبيب
ويا ليت شعري هل تزورن مرة ... فتعفو كلوم للهوى وندوب
لقد طال تحناني إليك ولهفتي ... وأنت ضحوك لا تُحس؛ طروب
بلى كل حب ليس يخلو من الجوى ... ولكن جرحي من هواك رغيب
لقد كنت أدري أن للحب أسهمًا ... ولكنني لم أدرِ كيف تصيب
نشدتكِ يا طير القلوب تجنبي ... شراك الهوى؛ إن الفضاء رحيب
فإنكِ إن تحدقْ بكن شراكه ... يَطلْ بك عيش بالشقاء خضيب
لقد كنتُ حرًّا مثلكن ممتعًا ... أروح ومالي فكرة وأءُوب
فلله أيام إذا ما ادَّكرتها ... جننت جنون اليمِّ وهو غضوب
تحدثني الأحلام أنك مسعدي ... وتلك ظنون برقهن خلوب
وكيف وقد جفت حياتي وصوَّح الـ ... ـرجاء فما بين الغصون رطيب
ذبلت ذبول الزهر أخطأه الحيا ... وقد ذبتُ مثل الشمع وهو لهيب
فيا نور عيشي إن في القلب ظلمةً ... فلُحْ لي فقد أدجى السماءَ مغيب
ويا نور عيشي فيم صدك والقلى ... وفيم ارتداد الطرف وهو طبيب
ويا طير حبي هل تخاف ودادتي ... وتكره أن يصبو إليك أديب
ويا طير حبي إن لحنًا تقوله ... يرد إليَّ العيش وهو خصيب
دمي في عروقي ليس يهدا فأنجني ... فإنيَ من خطب الجنون قريب
وإلا فصب السم في الكأس واسقني ... فإن حياة اليأس ليس تطيب

ألحان بنات البحر

انظر إلى عبابي — وصدره الرحيبِ
ورقصه العجاب — وشدوه الخلوب
وحوره الطراب — وحسنها الرطيب
تدعوك للتصابي — يا غرض الخطوب
في جوفه الرحيب

هل من فتًى لبيبِ — موفَّق سعيدِ
قد ضاق بالخطوب — ذرعًا وبالوجود
يفوز في شعوبي — باللؤلؤ المنضود
هل من فتًى سعيد؟

يمرح في الظلام — مع الحسان الحورِ
محسورة اللثام — مهدولة الشعور
كأنها أحلامي — أو صورة الحرير
تشدو إلى الأفهام — بالنغم النضير
تفرح بالغرام — كالروض بالغدير
والبحر بالصخور

البحر والظلام

بنات الدجى هذا الذي لم يزل له
فؤادٌ يناجيكن عن كل نائمِ

أناخ على الدنيا الظلامُ بكلكلٍ
وأغرقها في زاخر متلاطم

وأغمض أجفان النجوم بكرهها
وأطلق أشباحًا كحيرى الأراقم

لها لغط مستهول الوقع مُزئدٌ
يجاوبه يمٌّ رهيب الهماهم

يغادر سوَّار الخيال مرَنقًا
يئن من الإعياء أنَّ الكوالم

فيا لك من ليل بهيم كأنه
حداد السماوات على نسل آدم

ويا لك من ريح كأن زفيفها
نواقيس دقت للمنايا الهواجم

ويا لك من بحر كأن ضجيجه
صراخ اليتامى في وجوه المآتم

أحقَّت على الأرضين لعنة ربها
فصب عليها سخطه غير راحم؟

وإلا فما لليل مرًّا كأنني
بقبة قبر حافل بالرمائم

فليست تُحسُّ العين إلا حنادسًا
تضيء مجالي هوله المتفاقم

ولا الأُذْن إلا ما تقص رياحه
على الموج في هبَّاتهن الغواشم

فيضحك منها ساخرًا غير أنه
إذا جلدته ثار ثورة ظالم

ورائي وقدامي وفي القلب ظلمة
فكيف فراري من ظلام ملازمي

ومهوًى سحيق الغور من تحت أخمصي
يحلل من بأس القوي الضُّبارم

يرد عُرام الريح حتى يعيدها
تلوذ بآناف الصخور القدائم

وتصدمه الأمواج في وثباتها
فترفض عنه كالغمام السواجم

لها زأرة الآساد إن هي أقلبت
وخشخشة الأشجار عند الهزائم

جحيم من الأمواه يغلي عبابه ويعوي عواء الذئب بين المخارم
ويزبد كالمجهود حتى كأنما أشابته أحداث الليالي الظوالم

في المناجاة

اللـه فـي كلـف الأحشـاء مـفـتـون   يهتاجه الشوق من بادٍ ومكنونِ
يـقـوى ويـضـعـف كـالآذيِّ آونـة   يـطـغـى وآونـة يـهـدا إلـى حـيـن
يمزق الشوق أحشاه كما فتكت   بالغيم عجرفة الهوج المجانين
مـقـطِّـب فـإذا مـا افـتـر عـابـسـه   فذاك سخر أسًى في القلب مدفون
قد طارد القلق المضني سكينته   فـبـات نـهـزة خـوف غـيـر مـأمـون
بـاع الـرجـاء ولـم يـبـتـع بـه بـدلًا   سوى قنوط طرير الغرب مسنون
في صدره من زمان الصيف وقدته   لـكـنـه مـطـلـخـمٌّ جـد مـدجـون
حـنـادسٌ كـظـلام الـمـوت بـاردة   وهمس يأس كألحان الشياطين
ماضيه أسحم مرهوب وحاضره   كظته مثل شظيَّات البراكين
يستقطر الألم الدامي مساربه   كأن في كل عضو نصل سكين
إن نـام نـغَّـصـت الأحـلام رقـدتـه   أو قـام نـاجـاه همٌّ غـيـر مـظـنـون

* * *

هيهات يحنو على قلبي معذبهُ   أو يحفل السهم إن أصمى بمطعون
وددت لـو لان لـي لـفـظ فـأودعـه   ما ضاق عن بعضه شرحي وتبييني
أستحمل الريح معناه لتنهيَه   إلى الذي ليس يدري ما يُعنِّيني
إذًا لـفـاجـأه مـن حـيـث يـأمـنـه   برق يضيء له قلبي ويبديني

* * *

لا يخصب الظن في جدب الزمان ولا يضوع في قفره عرفُ الرياحين
ولا تهش فراديس الجمال إلى نار الجوى وجراحات المساكين
ألفتُ شجويَ حتى صرت أحسب في غير التلهف أخلاقًا تنافيني
قوتي همومي، على أن الفؤاد لها قوت، فدأبيَ أُفنِيها وتُفنيني
أبكي حياتيَ في الدنيا وأندبها من ذا عساه إذا ما مت يبكيني
لو كان يجري الهوى كالنهر مطَّردًا لكنه البحر يغريني ليرديني
أو كان في الحب هلكٌ لاغتبطت به لكنْ لأمر رهيب ما يباقيني
يكوي الفؤاد ويشفيه ليكويَه عودًا لبدء ويخليني ليشجوني
هذي الجحيم التي قد حدثوك بها يا رحمة الله آوي كل مفتون

الماضي الحي

ما أنسَ لا أنسَ أيامًا نعمت بها ... في ظله وكلانا ضاحك الجذل
وقوله ليَ في دل ومعتبة ... وقد رآني عن السمار في شغل
يا قاتل الله وسواس الغرام وما ... كساك من صنعة الأشجان والغلل
أنصب حبائلك اللاتي عُرفت بها ... فإن شعرك سحر نافذ العمل
ماذا تريد بإطراق وقد ضحكت ... وجوه ليلتنا عن غرة الأمل
هذا الشراب وهذي الكأس مترعة ... فاشرب وهات اسقنيها غير محتفل
أما نهيتك عن هذا؟ أما وأبي ... لأوسعنك تأديبًا عن الزلل!
نفسي فداؤك من جافٍ كلفت به ... سقانيَ الشهد في أيامنا الأول

* * *

وليلة كظلام اليأس طاخية ... بلا نجوم ولا بدر ولا شعل
مضيت فيها إليه غير متئد ... يحدونيَ الشوق حدوًا غير ذي مهل
وقلت إنيَ ضيف لا يريد قرى ... إلا الحديث وما أنتم ذوي بخل
وظَلْتُ أروي خرافات وأسمعه ... حديث قلبيَ منحولًا إلى الأول
وسرَّني أنني فيما رويت له ... عنهم أقول له في غير ما وجل
إني أحبك حبًّا طاغيًا فزعًا ... عفًّا وما لي بهذا الحب من قِبل
وليس فدمًا ولا غرًّا فأخدعه ... لكن نصيباه من فهم ومن خجل
فقال ويحك إما أنت مختبل ... أو أنت تلهو بأصناف من الخطل
فقلت لم تخط بي خبل وبي عبث ... مما دهاني من الأوجاع والعلل

وفـي الـفـؤاد ضـرام لا دخـان لـه وأخبث النار ما تخفى عن المقل
وفي العروق سموم لا طبيب لها وفي المحاجر دمع غير منهمل
فلا يغرَّنْك ضحكي حين تبصرني فذاك سخر فؤادٍ ضيق الحيل
والمرء يضحك من يأس ومن جذل وقد ترى الوشي في الأكفان والحلل
كم همَّ قلبي بإفصاحٍ ولم يقلِ وهم دمعي بتسكاب ولم يسلِ
صب الزمان بقلبي النار سائلة وجف دمعي فيا لهفي على البلل
فإن تطق فأسل دمعًا شقيت به إن الشفاء مسيل المدمع الخضل
فلم يطق وبكى عني فوا حزني ليت الذي سحَّ من عينيه يُقسم لي

* * *

إنـي لأذكر يومًا صالحًا معه ما زلت من حسنه كالشارب الثمل
والشمس جانحة حتى لتحسبها لاذت أمام جيوش الليل بالجفل
والنيل يجري كما نجري لغايتنا وكل شيء من الدنيا إلى أجل
فقلت ألهو به، والجد متعبة وأحسن القول ما ألهى عن الملل
لقد سبت قبلك الشمس التي غربت ربَّ البحار ذوات الغارب الزجل
ألست تعلم أن الشمس زوجته تبغيه تحت ستار الليل والطفل؟
فقال لا تهذِ يا هذا لتضحكنا لقد عرتك وربي لوثة الدخل
أما تزال فتيَّ العقل طائشه كهل المجانة وثابًا إلى الخبل
أما يجلُّ حديث عن مهازلة ولا يردك عنها قحمة العقل
فقلت والله ما إن أفتري كذبًا لكنما أنت في ليل من الجهل
سل عنهما صادةَ الأسماك هل سمعوا في فحمة الليل مثلي رنة القبل
وربما هاجه صيفًا تلكؤها فأمطر السخط شؤبوبًا من العذل
وظَلتُ أضحك منه وهو ينهرني حتى انقضى الليل لم يقصر ولم يطلِ
ليت المحبين مثل الشمس كلهم قد زوَّجوا النار ماء القرب والغزل

* * *

ويوم قلت له والسن ضاحكة والعين شاخصة والقلب في ثكل
أزمعت عنك رحيلًا لا إياب له فقال بل أنت ظل غير منتقل
فقلت بشرى، ولكني على سفر من ذا أقام كنجم القطب لم يحل

فقال ألشَّام؟ قلت الشام فاتنةٌ جنَّاتها وسماء الأعين النجل
لكنَّني لست طيَّاشًا ولا رهقًا ولست أحسن لعن الدين والملل
فقال بئس لعمري أنت من دَعِب في كل أمر وبئس الخلق في الرجل
فقلت ويحيَ إني لا أريد ردًى لكن حياة وإني لست بالبطل
وفي الشآم لحاظ لا أمان لها يحوطها كل مِقدام على الأجل
لكن تأمل نجوم الليل قاطبة وأين نجميَ بين الأنجم الحلل
أظنه ضلَّ بين الشهب غايته مثلي على الأرض بين الوُهد والقلل

* * *

يا معرضًا أنت نجمي غبت عن نظري وما ضللتَ ولكن شيمة الملل
وأنت في العين أنوارُ ملمعة وأنت في القلب برد العارض الهطل
وأنت تاج خلود لي أتيهُ به وقد غنيت عن النِّسرين والنفل
وأنت بالليل حلم غير منقطع وأنت في الصبح عزم غير متصل
وأنت جبريل توحي لي وأنظم ما توحيه من غرر الآيات والجمل
وأنت فينا نبيُّ الحسن لا كذبًا وللهوى مرسل من أفصح الرسل
إن كنت فكَّرت في هجر وفي بعد فأنت في القلب ثاوٍ غير مرتحل
لا يخدعنَّك حسن أنت لابسه فلابس الحلي في الدنيا إلى عطل
يا زهرة الحسن لا يخدعْكِ رونقها إن الربيع قصير العمر والأجل
إن الندى لحياة الزهر يضربه والحب للحسن طلٌّ ليس بالوشل
فصن جمالك إمَّا شئت في كلل وادفنه إن شئت في قبر من الجهل
ليس اختيارًا رضانا ما يكلفنا صرْف الغرام فلا تكثر من العذل

فلسفة المُحب

يا حبيبي وأنت جم الهجودِ لا تدعني فريسة التسهيد
إن دائي الهوى وإن دوائي نظر منك ليس بالمردود
كل شيء إلى فناء حبيبي فاغتنم ظل حبنا الموجود
إنما الحسن روضة جمة الور د وعدلٌ في الروض شم الورود
ما ترى لذة الجمال إذا ما لم تجلْ فيه أعين المعمود
لذة الصب في الحبيب ونعمى الـ ـحب في نظرة المحب الودود
أيبست وقدة الحياة ضلوعي فأغثني بوبلِ حسنٍ برود
وأثر في الفؤاد نارًا تلظَّى فحياتي في غير هذا الخمود
أنا كالموج ليس يحييه إلا ثورة الريح وانتفاء الركود
أنت للعين وردة بضة الحسـ ـن على فرع غصنها الأملود
كلما صافحت لحاظيَ دق الـ ـقلب عطفًا على رقاق الخدود
وتشوَّقت أن أصلي لربي ويدي فوق حسنها المعبود
داعيًا أن تظل رَفَّافة الثغـ ـر على الدهر ذات حسنٍ جديد
في أمان من المخاوف لو أ نَّ خلودًا في الأرض غير بعيد
ما أحيلى بنانك الرخص يا حـ ـبُّ وأحلى إيماءه في وعيد
أهوِه اليوم نحو قلبي وقل يا طائرًا ما يقر كالمزءود
قرَّ بين الضلوع واسكن، وإني ضامن أن يموت جدَّ سعيد

الصدق في الكذب

(قيلت ردًا على قصيدة كتب بها إلينا صديقنا الشاعر الجليل عباس أفندي محمود العقاد بعد أن اطلع على القصيدة السالفة.)

لـذة الـعـيـش فـي مـدامٍ رخـد	يا صديقي فعدْ لماضي العهد
لستُ إبليس يا صديقي ولا بعـ	ـض شياطينه فتنكر قصدي
لكنِ الحسنُ روضة وسبيلي	شـم وردٍ بـهـا وتـقـبـيـل ورد
وقديمًا كانت سبيلك هذي	فمتى حلتَ أو تغيَّرت بعدي
قد وجدتُ الخلوَّ صحراء قفرًا	ووجـدت الـغـرام جـنَّـات خـلـد
هيِّنٌ جنْب ما تفوز به النفـ	ـس من السعد سورةٌ للوجد

* * *

لا تـلـمـنـي أنـي أُنـقِّـل قـلـبـي	ناسيًا عهدَ غير ذاكر عهدي
إن خيرًا من التصنع في القر	ب بـعـادٌ عـلـى جـفـاء وصـد
ضمَّنا الود فاتصلنا وعدنا	مـثـل ضـديـن يـدنـوان لـرد
لم يدع بيننا الجفاء ولا البعـ	ـد سوى زورة على غير ود
ضعُف القلب عن هواه وما القلـ	ـب على كل ذي جمال بجلد
سـنَّـة الـلـه لا تـجـيـز وقـوفًـا	يا أخي أو تمهُّلًا عند حد
يـكـمـل الـبـدر لـيـلـة وتـراهُ	بعدها ناقصًا لطلعة سعد

* * *

لا لعًا للذي كبا بيَ في الحـ ـبِّ وأهلًا بحبيَ المستجد
قد تصابيت فاعذروا أو فلوموا ليس شيء على الغرام بمجد
وتداويت من غرام ملول بهوًى مُسعد على العيش نجد
مسكري إن شربت منه بلحظي بشهيٍّ من خمر خديه صرد
إنْ أخسَّ القديم حظي فهذا مجزلٌ قسمتي ومورٍ زندي
وحديثي نفسي بأنْ سوف يُنسيـ ـني شقائي بما يؤاتي ويسدي

* * *

لا تصدق مقالتي يا صديقي واغتفر كذبة على غير عمد
أنا من مصر في فلاة وإن كا نت رياضًا أعالج العيش وحدي
لابسًا ثوب وحشة لا أرى الأخـ ـلاق يبلى من خلقها المسود
دائم الصمت مفرد الرأي والفكـ ـرة لا أتقي الهموم بحد
مقبلًا مدبرًا كما حار في الصحـ ـراء من ضل عن طريق الرشد
عالمًا أن كل يوم سيأتيـ ـني بأمر خافي المعارف نكد
وسفاهًا أرى فراريَ مما هو حتمٌ ما إن له من مرد
تلك حالي على الحقيقة لا ما أتسلَّى به من الزور جهدي
عبثٌ كلها الحياة وزور ومحال وباطل ليس يجدي

القطيعة

تناءت على قرب الديار السرائرُ فليس لما بيني وبينك آخر
لقد كان ظني أنَّ لي منك وامقًا على حين حفَّت بي الحقود النوائر
فلما بدت لي نفرةُ الغدر منكُمُ رضيت بما تقضي به وهْو جائر
فلا تعذلوني في الجفاء فإنني أنزِّه قلبي أن يرى وهْو صاغر
هويتك بالقلب البريء من الحجا وإنِّيَ بالعقل السليم لهاجر
تقلَّص ظل الحب بعد امتداده وجفَّ هوانًا بعد إذ هو ناضر
أحالته أخلاقُ العقوق وغدره عهودًا تبكِّيها القلوب الذواكر
كأن الجوى واليأس والسهد والضنى ديونٌ على من ضاءه منك ناظر
على أنه سيان كربٌ وفرحة فكلٌّ تعفِّيه الليالي الدوائر
ستعلم أن الحسن ليس بدائم وأنَّ العيون الزهر يومًا غوائر
ويصرف عنك الشيقون قلوبهم وتُغضى غدًا عنك اللحاظ الغوادر
كأني بهذا الحسن قد جف ماؤه وباخ ضياءٌ في المحاجر باهر
يحاول أن يسبي القلوبَ كعهده ويطلب أن تصبو وهن نوافر
ستبصرني جلدًا على الدهر عارفًا فليتك مثلي إن تقاضاك صابر
وليتك إذ هُنَّا على القلب لم يهن علينا ولكني على ذاك شاكر
فإن تنحرف فالحسن جم وجوده وأهون بما منه لدينا نظائر
طوى الدهر ما بيني وبينك من هوًى وليس لما يطوي زمانك ناشر
وما ندمي إلا على كلفي بكم فهل ليَ من تلك الجناية عاذر

نبذتك نبذ النعل رثَّ أديمها وإني على أمثال ذاك لقادر
إذا ما أراد الله بالمرء رحمة فسهم الأذى عن مرشق الحظ جائر
لقد حاطت الأقدار نفسي من الذي تكيد وقد دارت عليك الدوائر
رويدك لا يهلكَّ جهلك إنني رضيٌّ ولكنِّي على الشر قادر
وإني لصلٌّ لينَ مسٍّ وإن لي لأنياب سوء ساندتها أظافر
وحسبك إمَّا شئتُ ضرك شردٌ يباديك منها حيثما كنت ناحر
ولكنني أغضيتُ عنك تكرمًا وإن كثرت أوزاركم والجرائر
فرُحْ غانمًا بالصفح ممن إذا رمى فلا تجبر الأيام ما هو كاسر
ومن عجب تأبى النسيب ضلالة وما ذاك للأحرار غيرك ضائر
فيا ليت شعري والعجائب جمة أيرضيك أن يُغرى بذمك شاعر؟
أغرَّك مني أنني أُظهر الهوى؟ أبى الزهو أن يبقى بعشك طائر؟
فرُحت تبثُّ الناس أخبار صبوتي وتزعم أني عاشق وتُفاخر
رويدك لا تجعل هواي ذريعة لشيء ترجِّيه كأنك تاجر
فجرتَ عيونَ الدمع فابك بأربع على حين يفترُّ العدو المناكر
أدرتَ رحى حرب عليك — طحينها عفافك — فانظرْ أي خطب تحاذر
وقل يرحم الله السكينة والمنى وخفضًا وريفًا أعجلته المقادر

الربح والخسارة

أهـواك والـحـب داءٌ أيـمـا داءِ يـا مـسـبـلًا حـولـه أذيـال لألاء
خـلـقـتُ لـلـحـسـن عـبَّادًا أواجـهـه كعابد الشمس في صبح وإمساء
يـا لـيـت أنـيَ أعـمـى لا دلـيـل لـه أو ليت ما في الورى ما يفتن الرائي
عـيـنـيَّ عـيـنـيَّ لا بـوركـتـمـا أبـدًا أطـفـتـمـا بـالـحـشـا أنـيـاب رقـشـاء
ولـو عـمـيـتُ إذًا لاشـتـقـت نـوركـمـا بـقـلـب راع وفـيٍّ غـيـر نـسَّـاء

* * *

أهـبـتُ وهـنًـا بـذكـراكـم فـمـا عـبـأت شـيـئًـا بـصـبٍّ بـجـنـح الـلـيـل دعَّـاء
وسـلـمـتـنـي إلـى الآمـال قـائـلـة عـنـي إلـى أمـل لـلـروح غـذاء
مـا لـي ولـلـزمـن الآنـي وأقـربـه مني إذا استثبتت عيناني كاللاء
سلني إذا شئت عن ماضيك مبتدئًا أُروِّ قـلـبـك مـنـه أي إرواء
عـنـد الأمـانـيِّ مـا تـبـغـي فـإنَّ لـهـا عـيـنًـا مـوكَّـلـة بـالـمـقـبـل الـنـائـي
قد استوت فوق عرش الوهم حاكمة مـثـل الـمـقـاديـر فـي مـنـح وإكـداء
وما لـهـا دون راجي عرفـهـا حـجـب ولا مـطـال ولا إعـراض أبَّـاء
مـن لا تـكـلـفُـهُ شـيـئًـا عـوارفـه فـلـيـس يـبـخـل عـن بـذل وإيـتـاء
وخـلَّـفـتـنـي عـلـى الأجـداث أحـرسـهـا كـالـكـلـب يـحـرس لـيـلًا عـزَّ أحـيـاء
فـلـيـس يـذكـرنـي إلا أخـو عـدم قد صار من ظنه في جدب صحراء
والـمـرء مـا بـيـنـنـا حـيـران مـضـطـرب مـن لـهـو وهْـمٍ إلـى أشـبـاح جـوفـاء
هـذي تـضـاحـكـه طـورًا وتـخـدعـه وتـلـك تـبـكـيـه فـي صـبـح وإمـسـاء

قد أوسعتكم بني حوَّاء عيشتكم وطول غفلتكم من كل إزراء

* * *

أين الحقيقة؟ ألأمارس موطنها؟ فذاك قلبيَ رمس بين أحنائي
ماضي حياتيَ أحلام ومقبلها غيبٌ، وحاضرها في كف خرقاء
كم حدثتنيَ نفسي وهْي باكية عن الشباب وبسَّامين أكفاء
وأذكرتنيَ أيامًا مسلسلة في ظل وارفة الأظلال لفَّاء
حيث الزمان ربيع والهوى أنفٌ والأرض صادحة بالعود والنَّاء
تُجنى الكرومُ إذا آنتْ مقاطفها سمرَ العناقيد في لفاء خضراء
يجري النسيم بأنفاس الورود كما يجري الرسول ببشرى القرب للنائي
يا حبذا عرفها والريح ساجية والنجم يلحظنا لحظات هوجاء
والنيل أجراه مجريه للذتنا من حولنا فلنا عرشٌ على الماء
مطرزٌ بنجوم الليل قاطبة ومزبدٍ في سماء الليل وضَّاء
أطنابه حُفل الأثمار يانعة جلَّت عن الوصف في حسن وإغراء
خمري الحسان ولا حسنٌ كحسنهم ونقليَ اللحظُ يشفي علة الداء
غبوقنا بين أغصان مهدَّلة ومن صبوحيَ تقبيل الأحباء
إذا نشاء احتسيناها مصفقة تُسنى لشاربها من كل سراء
أو لم نشأ لم نبع بالسكر لذتنا في الصحو ما بين بيضاء وحمراء
فأين أين لياليَّ التي سلفت صارت حديثًا كأخبار ابن ديحاء
لا تدرك النفس منها حين تطلبها إلا التفجُّعَ أو لدغًا بأحشاء
أضحت حياتيَ ربعًا مقفرًا خربًا من بعد ما عُمرت للفرح أفنائي
يا سوء منقلب عن حسن مختبر كالصبح يعقبه إدجان ظلماء

* * *

بقيتَ يا كوكب الأيام مؤتلقًا يزيدك الدهر ضوءًا فوق أضواء
ويا ربيع الهوى لا زلت في حلل خضر تباكرها سحبٌ بأنداء
تنضو وتلبس أفوافًا محبرة مستبدلًا جُددًا من بعد أنضاء
فأنت لي ولآمالي وإن بعدت قوس الغمائم في آفاق غمَّائي
اقرأ كلاميَ وابسم حين تقرؤه وإن يكن لك تحبيري وإنشائي

ولا تُـرع لـدمـوع بـتُّ أنـظـمـهـا وإن تكن عن ضرام بين أحنائي

ولستُ فاعلم أرجِّي منك مرحمة يندى لها القلب في أعقاب رمضاء

أحـبـكـم ولـوَ انِّـي أسـتـطـيـع إذًا بدلتكم بالهوى والحب بغضائي

كما تبدِّلني من صحتي ألمًا مرًّا وتوسعني من كل ضراء

قد كنتُ أطرب للدنيا ويعجبني في رونق الحسن ماءٌ ليس كالماء

وكـان يـفـتـنـنـي تـهـديـلُ ورقـاء تسمو إلى الغصن أو تهزيج حسناء

فالآن قد صوَّح الغصنُ الذي صدحت عليه أطيارُ نفسي يوم نعمائي

وصرت لا شيء في الدنيا أسرُّ به ولا يـفـزِّعـنـي دهـري بـأرزاء

وصـرت أنـكـر أيـامـي ويـنـكـرنـي صفو اللذاذات من قصف وإصباء

إذا سمعتُ لريح الليل زمزمةً حسبتها نادبًا ألحان سرَّائي

كالبحر نفسيَ لا مأوًى ولا سكنٌ ولا قرار لها من فرط ضوضاء

أقول في الصيف ويلي من سمائمه وفي الشتاء ألا بعدًا لمشتائي

تمضي الليالي ولكن لا أُحسُّ لها ما كنت أعهد من نور وظلماء

فلا ندًى فوق خد الزهر يلثمه ولا يـفـوح لـه مـسـكـي بـوغـاء

قد مات مثليَ إلا صورة ثبتت نفسٌ قضت وهْي في جثمان أحياء

خطَّ اسمَها الدهرُ في قيد الردى فغدت لا تنفع الناس إلا يوم إحصاء

كأنما الشجر المخضرُّ في نظري إذا دلـفـت لـه عـيـدان قـصـبـاء

ولـلـنـجـوم بـريـق لا أفـرِّقـه عن لحظ ميِّتة حسناء عذراء

في أبحر من زجاج لا بهاء لها ما بين سوداء أو خضراء زرقاء

حتى النهار وحتى الشمس أنكرها كـأنَّ فـي نـورهـا ديـدانَ غـبـراء

طُردت في الأرض من فردوس نعمائي طـرْد الـتـي غـرَّرت قـدمًـا بـحـواء

فما أطيق نعيمًا إن ظفرت به بعد الذي بُزَّ عني يوم إثرائي

أخاف حسنك يومًا أن يذكِّرني عهدًا مضى فيُهِيج الذكر سودائي

تغلغل السهم في قلبي فإنْ نزعت كفٌّ قضيتُ فدع سهمي بأحشائي

هذي حياتي فقل لي كيف أندبها قد جلَّ ما بيَ عن سلوى وتأساء

* * *

لـكـل شـيء سـكـونٌ بـعـد فـورتـه وكـل عـيـن إلـى غـمـض وإغـفـاء

ألا ترى اليمَّ تطغى فيه موجته تَقطُّع القلب من هم وبأساء
حتى إذا بلغتْ مجهودَها فنيت من بعد جلجلة منها وضوضاء
كذاك للنفس في بحر الردى سكن تلفى به راحةً من بعد إعياء

ظمأ النفس إلى المعرفة

أُحسُّ كأن الدهرَ عمري وأنني ... أخو مغرق الأرضين بالفيضان

أقلِّب طرفي في السماء كطرفه ... وأرصد ما راعاه قبل زماني

كلانا على بُعد المسافة بيننا ... تلاقى على ألحاظه القمران

وأقرأ في صحف السماوات أسطرًا ... بهن دنًا خفاقة اللمعان

تخذتُ فضاء الله مثوًى لخاطري ... ليشرد في الدنيا بغير عنان

يمر به مرَّ البروق وينثني ... وقد جهدته حدَّةُ الطيران

أعالج سرًّا لا يماط حجابه ... ومأربُ قلبي ذلكم وجناني

وسعتُ لغات الريح والبحر خبرة ... وكل شهاب لامع الخفقان

ولكنه ما خير علمي وكلها ... ضمومٌ على السر المغيَّب حاني

سئمت شرودَ الفكر في غامض الفضا ... وهيض جناحاه من النهضان

وعادت إليَّ النفس مهدودة القوى ... تئن من الإسفاف والشولان

تحن إلى ظلٍّ من الرخو وارف ... وطول جمامٍ رافه وليان

ومن لي بأن لا ترفع العينُ لحظها ... ولا تجتلي في الناس أي هوان

غرضتُ بملك واسع لا يحده ... سوى أفق دانٍ وليس بدان

أرونيَ قيدًا يُعرقُ الجسمَ مسُّه ... ويُضوى كأضلاع عليَّ حوان

على لسان الأقدار

بـأيـديـنـا قـلـوبـكـم لـنـا مـنـهـا ألاعـيـبُ
وفـيـنـا الـخـيـر موجـود ومـنـا الـشـر مـجـلـوب
وما عن صرفنا معدى ولا في الأرض محجوب
نـصـرِّف أمـر دنـيـاكـم بـمـا فـيـه الأعـاجـيـب
ولو شئنا لكان النصـ ـف لكنْ فيه تصعيب

الأقدار

دعوت بنات الليل في أخرياته فلبَّتنيَ الأقدار وهي غضاب
وإني لأدري أنكن ظوالم وأنك ظفر للزمان وناب
وأنَّ الورى عبدانكن جزاؤهم على الصبر والشكر الجزيل عذاب
ألا ربَّ مُلكٍ قد أقمتن ضلة وللظلم فيه زخرة وعباب
وكم وادع وثَّبته وتركته حشاشته للحادثات نهاب
ومنتصف أندمتهِ بعد حفزه وذي أرْبة قد ضاع منه صواب
وفدم غبي قد رفعت على الورى فسالت عليهم بالبلاء شعاب
وألجمتِ أفواه الأباة لأنهم لهم في فكاك المرهقين طلاب
فعني فإني قد وسعتك خبرةً وما دوننا لو تعلمين حجاب
ولكنه ما ينفع المرء علمه وعلم الفتى بالحادثات عقاب
عفا الله عن جدٍّ شقينا بذنبه ولم يغنِ منه عندكن متاب
يقولون في الأقدار عدل ورحمة ومن أين علمي أنَّ ذاك صواب
أمن أجل أن المرء أقدر قادر يكون رحيمًا؟ طاش ثم حساب
بني آدمٍ ذوقوا النكال لأنكم بنو من أتى ما ليس فيه معاب
ولا تفتَئُوا تثنون بالمين والهوى على رحمة الأقدار وهي كذاب

شفاعة الحب

ألا ليت شعري هل لِما فات مرجع ألا زورة تروي الغليل وتنقع
ألا سلوة تشفي الفؤاد من الجوى وتبرئه إني من الوجد موجع
ألا لب لي إلا تجلده برهة ألا حال لي إلا الأسى والتفجع
نشدتك بالحسن الذي راع سحرُه فؤادي وبالعقل الذي ليس يرجع
يمين يطير اللب عند سماعها ويثني إلى الطرف بالدم يدمع
وبالدم يغلي في عروقي وبالجوى وباليأس والنفس التي ليس تطمع
وبالشجن المضني وبالسهد والأسى وبالأمل الذاوي الذي ليس ينفع
وبالحب إلا ما كبتَّ حواسدي وأخرستَ عذَّالًا لهم فيك مطمع
وعدت إلى العهد الحميد، لوَ انَّه إذا ما دعاك الشيِّقُ الصب تسمع
ولا تك مبكًى للفؤاد ومجزعًا وأنت له حالٍ من الروض ممرع
أرى ورق الآمال يذوى فَرَوِّه بقربك إن القرب لليأس مصرع
ومرني إذا ما شئت أحيا وإن تشأ فمرني أمت إني لما اخترت طيِّع
ألا واسقني خمرًا بعينك إنها وإن أسقمت أشفى لدائي وأنجع
وإلا فقبِّل كأس خمر وعاطني لأشرب فيها قبلةً حين أكرع

مراجعة الحب

لا اليأس مجد ولا الآمال نافعة
أخبثْ بعيش على الحالين مذمومِ

يا درة غصتُ في لج الحياة لها
أأنفض اليوم منها كف محروم؟

ما لي على الحب مسئومًا ألا رحموا
دون الضلوع وجيبًا غير مسئوم

ما لي كأنيَ أعمى لا دليل له
إلا عصاه وسمع غير معصوم

نفسي تأبَّى لكم إلا طواعية
وأنت تأبى سوى ظلم وتجذيم

أحبكم و«تحبوني» فما لكُمُ
تجفون حتى يثير الظلم منظومي

إن كنت ذا عنف فالدهر ذو عنف
لا رفق فيه ولا يصغي لمظلوم

يأتي الزمان على حبي وحسنكمُ
وهل على الدهر ناج غير محطوم

كن كيف شئت وفيًّا أو أخا ملل
لا بد لي منك مثل الماء للهيم

فعُدْ إليَّ يَعُدْ للعيش رونقه
وتشرق الشمس في أحناء حيزومي

أنت الطبيب لداءٍ قد بُليت به
فداوِه باقتراب غير مفصوم

وذاك أحسن من ليل لبثت به
شرابيَ المهل في بستان زقُّوم

لا ملام ولا عتاب

ألومك لو أرى لوميك يجدي ... ولكن لا ملام ولا عتابا
وإن مزايل الصحب اختصارًا ... لصنو للذي صبر احتسابا
دعوتك لا إلى الرعيا ولكن ... إلى نأيٍ يماطلنا الإيابا
وإني من يرد عليك ودي ... إذا أركبته الشوس الصعابا
فقم صافق على التوديع كفي ... كما صافقتني تبغي اقترابا
وإن هزتك عاطفة إلينا ... وجاذبك الحنين لنا جذابا
فلا تأكل على ودي بنانًا ... ولا تقرع على ما فات نابا
وإن شعب الزمان لنا انصداعًا ... على كرهي وكرهك الانشعابا
وقدرت المقادير اجتماعًا ... على إيثار كلٍّ الاغترابا
فلا تظهر لهذا الناس أنا ... قديمًا قد تلابسنا صحابا
ولا تدع العيون إذا تلاقت ... تمزق عن تجاهلنا الحجابا
ومد إليَّ كفك في فتور ... كأنك حاملٌ فيها هضابا
ولا تعبس ولا تبسم للقيا ... سألقاها وأحتقب الثوابا
لقد أودى الهوى أو كاد منا ... ولا عطفًا ولا رفقًا أصابا
وجاد بنفسه أو كاد لولا ... وفاء لا يحب له الترابا
فإن تدركْه لا يهلك ويحيا ... وإلا لا ملام ولا عتابا

العاشق المعشوق

أعيذك أن تمنى بتبريح لوعة وأن تعرف الوسواس كيف يكون
ويحزنني أن تسند القلب راحة كأنك بالقلب الشجي ضنين
ويؤلمني أن تقطع الليل ساهرًا تسهدك الأشجان وهي جنون
إذا هزك الشوق اضطربت ولم تفه ونهنهت غرب الدمع وهو خئُون
وليل سهرناه سميرين تشتكي هواك وأصغي والحديث شجون
تمر بنا الساعات تعدو كما عدا على الصخر سيل ما حواه وجين
فيا لك من ليل قصير وليته تطاول لو أن الزمان يعين
ويا ليتني الشاكي وليتك سامعي ولكن همي في الفؤاد دفين
أذعت لنا سرًّا شقينا بمثله زمانًا وفي غصن الشبيبة لين
فيا ليتني لما ذوى العود وانحنى برئت ولكن الشقاء فنون
إذا شئت روَّيت المسامع بالذي لقيت ولكنَّ الفؤاد ضمين
وكنتُ، وقد بتنا سميرين في الدجى، أرقَّهما لكن أخاف أبين
ولو شئت أطربت الصحاب عشية ولكن قلبي يا سمير طعين
ومن لي بأن تشتاق ما أنا كاتم ولكنَّ سري في الضلوع حصين
وما كل أيام الشباب حميدة ولا كل جرح إن نكأت يهون
إذا ما تحدى الشوق يومًا لما مضى فؤادي استهلت بالدموع شئون
أساكت هذا الناس والقول حاضر ولي من غليلي زفرة وأنين
أنام على سري ووجديَ ساهر فما لشجوني الثائرات سكون

كلانا إذًا يا خِلُّ ضامن لوعة ... وكلٌّ على سر الفؤاد أمين
كلانا محب ليس يدري حبيبه ... هواه وكلٌّ يا سمير غبين
كلانا له داء يداويه بالمنى ... وهل تنفع الآمال وهْي ظنون
كلانا احتسى كأس الغرام بكرهه ... وكلٌّ عراه من هواه جنون
ولكنَّني شر الرفيقين قسمة ... وأشقاهما لولا تقول يمين
شبابك ريَّان وروضك ضاحك ... وأنت بتحقيق الرجاء قمين
ولكنَّني ماذا أرجي ولم يدع ... ليَ الدهر إلا مهجة ستحين
ثقلت بأعباء الهموم وهضنني ... مسالك عيش كلهن حزون
وما نظميَ الأشعار إلا علالة ... لوَ ان سلوًّا بالقريض يكون
وما هي إلا برهة ثم ينثني ... يكر مضيض في الحشا وحنين
فصبرًا طويلًا إنما هي رقدة ... وتذهلني عما لقيت منون
وصبرًا جميلًا يا سمير ففي غد ... تسليك عن سحر الجفون جفون
تهيم بهذي ثم تسلو بغيرها ... ويصبيك من بعد الجبين جبين
فوطِّن على السلوان نفسك إنني ... خبير بأدواء القلوب طبين
ستعلم أن العيش حلم وأننا ... نيام ولو مد الرقاد سنون
وأنَّا كأهل الكهف نصحو وما نعي ... فتيلًا ولو أن الرقاد قرون
كأنْ لم يمر السعد والنحس بالفتى ... ولا كر بيض في الزمان وجون
ويركد صرف الدهر حتى كأنما ... له أجل تعدو عليه منون

الإنسان والغرور

أقم وادعًا واصبر على الضيم والأذى فــإنــك إنــســان وجــدك آدم

وهبك على الدنيا سخطت وظلمها أتملك دفع الظلم والظلم لازم؟

بـنـي آدم مـا لـلـغـرور رمـى بـكـم مـرامِـيَـه حـتـى غـدا وهْـو حـاكـم

تظنون أنّ الأرض قد بسطت لكم ومن أجلكم تجري الغمام الروائم

وأن الـنـجـوم الـزهـر عُـلِّـقـن زيـنـةً تـقـرُّ بـهـا الألـحـاظ وهْـي هـوائـم

فـمـا لـكـمُ لا تـنـظـمـون نـثـيـرهـا فيصبح منها حليكم والتمائم؟

أشباح الماضي على جثة الأمس

١

أوشك الإصباح أن يمحو الدجى ورفـات الأمـس لـمَّـا تـدفـن
فاركبو الريح اركبوها ما عسى صـبـرنـا عـلـى الـنـهـار الـبـيـن
إننـا كالليل يفنينا الضحى ثم نحيا في الظلام المدجن

٢

أمطروا الدمع عليه لا الندى وانثروا الشعر عليه لا الزهور
وأجـنُّـوه وإن كـان صـدى فسحة الآباد لا ضيق القبور

٣

ألوحي قد كان مولود الصباح ينـسـخ الـلـيـل بـآيات فـصـاح
فاحملوا النعش وشقوا بالرياح كـبـد الـلـيـل إلـى قـبـر الأبـد

سحر الحب

أيا ساعة مُلِّيت فيها بحسنه　　نشدتك إلا كرَّ منك نظائر

وإني لأدري أن في البعد راحة　　لما تتصبَّاه العيون السواحر

ولكنني جربت قربك والنوى　　فما قر لي بال ولا جف حاجر

ولا التذَّ طعم القرب قلبي ولا النوى　　ولا رقدت في الحالتين الخواطر

وما أنا إلا كالمخادع نفسه　　وقد يخدع النفس الفتى وهو شاعر

تمر بنا كالحلم قصر طوله　　لذاذته حتى كأنك طائر

أأهواك أم أقلاك والله إنني　　لأجهل ما تطوى عليه الضمائر

وإني لتعروني لمرآك رجفة　　كما انتفض المذعور والخطب فاغر

وإني لتعروني لذكرك حنة　　كما حنَّ للأهل الغريب المسافر

فأنت جحيمي في الحياة وجنَّتي　　وأنت عدوي والحبيب المؤازر

وأول شيء أنت يجري بخاطري　　وآخر شيء أنت يُجريه خاطر

ملأتَ شعاب النفس حتى كظظتها　　وأخليتها فالنفس صحراء غامر

فواها على عهد السلو وطيبه　　وواها له ما أنَّ أو حنَّ ذاكر

حقيبةُ شر ذلك الحب بئس ما　　تحمِّلنيهِ في الحياة المقادر

أراه على لذاته ونعيمه　　يفاجئنا منه رميض وناعر

وهل تُشترى اللذات إلا بضعفها　　من الألم الدامي ومما نحاذر

وما مطلبي سحر العيون كأنها　　— إذا لامحت عيني — النجوم الزواهر

ولا نضرة الخد الأسيل كأنما　　غذته على الدهر الورود النواضر

ولا الثغر إمَّا يستدير كأنما تهيَّأ للتقبيل والشوق ثائر
فقد يحرق اللحظ المضيء ويخنق الـ أريج وترديك الثغور الدوائر
ولكنما أبغي إذا ثار ثائري فؤادًا أناجيه وعقلًا أسامر
وقلبًا إليه أستريح بدُخلتي وأفضي إليه بالأسى وأشاور
كما خفقت يومًا على الزهر نحلة وظلت تشاكيه الهوى وتسارر
قضيتُ حياتي بين آثار من مضوا ففي حيثما سرَّحت طرفي مقابر
أولئك إخواني الذين اصطفيتهم وآثرتهم بالود والقلب حائر
فيا بؤس للحي الذي لا يروقه من الناس إلا من تضم الحفائر
أخادع نفسي فيهمُ وأغشُّها ويخدعني منهم نصيح وماكر
وما ليَ شغلٌ فيهمُ غير أنه تُشابه حالي حالهم وتناظر
فيا زائرًا أفديه بالنفس لو درى أغثني وكن عوني إذا خان ناصر
وأدت حياتي في شبابيَ مكرها وما امتلأتْ مما تحب النواظر
ولكنما بيني وبين مواردي حجاز وقد سُدَّت عليَّ المصادر
فعد لي فإني لست أملك مذهبي وكن لي فإني صادق العهد شاكر
وهبني إذا ما شئت ميتًا تزوره أليس لمن يقضي من الناس زائر؟

الشوكة الجديدة

يا وردة الحسن القديـ ـم وشوكة القبح الجديد
كنا وكنتِ فما عدلـ ـت ولا ظلمتك بالصدود
قد كنت أهوى أن أرا ك وأن أشمك كالورود
فيذودني شوك شرعـ ـت شباته دون الخدود
ظلمًا كما قَتل الحسيـ ـنَ على ظمًى جندُ اليزيد
فالآن إذ ذهب الجما ل وصوح الزمن الحميد
وسلا الفؤاد فلا حنيـ ـن ولا بكاء ولا هجود
وارتدَّ طرفي عن ذرا ك وأقصر الأمل المديد
أُدعى «العزيز المازنـ ـي» ولا أُلام على القصيد
ذهب الغرام مع الجما ل برغم قولي لا يبيد
ليس الخلود لذي الحيا ة بل الفناء هو الخلود
ويل لذي الحسن النضيـ ـر من الزمان وما يكيد
إما استزاد من الجما ل أصاب في القبح المزيد
كاد الزمان لكم كما كدتم لذي القلب العميد
فاهنأ بشعر في الخدو د كأنه السهم السديد
يا جاحدًا فضل الإلـ ـه عليه ويحك من كنود
اشكر له أن صرت لَيـ ـثًا ساكنًا غاب الخدود

مخلوق الخيال

توددت لا أني إليك فقير ... ولا أن بعدًا عن ذراك عسير

ولا تحسبَنْ منحيك ودي لحاجة ... ولا أن سحرًا في العيون يمور

رويدك ليس الحسن وقفًا عليكمُ ... وأكثر ما تملي الظنون غرور

وما كل حسن يشعف القلب سحره ... ولا كل ماء نافع وطهور

ولست بمعدوم النظير فتنثني ... تدل بما منه النظير كثير

كذلك ليس البدر في الكون واحدًا ... فثَمَّ شموس غيره وبدور

ولكنني مثَّلت للحسن صورة ... وأنت لها دون الأنام نظير

فلا تحسبَنْ أنِّي لبعدك موجَع ... ولا أن قربي منك فيه سرور

بحسبيَ حسنٌ صوَّرتْه خواطري ... له دون أحناء الضلوع سفور

إذا استوحش القلب الكليم فإنه ... أنيس إذا عز الأنيس سمير

فإن كنت قد فكرت في الهجر والقلى ... فإني على غدر الصحاب صبور

ستبقى لكم مني يد الدهر حنة ... وذلك إفك لو علمت وزور

فكل نضير في الحياة إلى ذوى ... وكلٌّ عليه الدائرات تدور

ستنسينيَ الأيام ما أنا واجد ... وتعفو كلوم للهوى وبثور

وأنساه حتى لست أذكر ما اسمه ... ويقفر من نور الوداد ضمير

بلى ربما حن الفؤاد إليكُمُ ... وهاجت بصدري أنَّة وزفير

ولكنها ذكرى تمر وتنقضي ... وتذهلني عما تثير دهور

كذلك تنسانا وتنسى غرامنا ... إذا ما استرد العارياتِ معير

ولـكنَّ حـسـنًـا بـزَّ عـنـك نـضـيـر وأبـدلـت مـنـه الـقـبـح وهْـو سـطـور
ستذكر هذا ما حييت وفي الحشا مضيض وفي القلب الكسير سعير

الشاعر المحتضر

فتى مزَّق الحب المبرح قلبه … كما مزَّق الظلَّ الضياءُ أياديا
قضى نحبه كالمزن فضنَ مدامعًا … وخلَّفن آثارًا لهن بواديا
ولما دنا منه الحمام ورنَّقت … منيتُه نادى الصفي المصافيا
وكاشفه والعين ينهل ماؤها … بما كان يخفي من هوًى ليس خافيا
وقال وضم الراحتين على يد … كساها شآبيب الدموع الجواريا
بقيتَ وبلغت الذي بت راجيًا … وإن كنتُ ما أعطيت منك مراديا
سيسقي الردى قلبي عن الحسن سلوةً … فلا بتَّ حران الجوانح صاديا
ولا عجبٌ أن يطفئ الموت غلَّتي … ويصبح داء العالمين دوائيا
كتمتك حبي خشية الصد والقلى … وحصَّنته حتى رمى بي المراميا
بعدت كماضي الأمس عنيَ غاية … وأقرب شيء أنت مثوًى وثاويا
أضرَّ بيَ الكتمان حتى عددتني … خليلًا من التبريح والوجد خاليا
كأنيَ لم أحمل هواك ولم أبت … أخا شغل يغري بصدى القوافيا
كأن قريضي لم تكن أنت سره … وموحي معانيه العذاب البواقيا
مضى ما مضى لم أدر ما لذة الهوى … ولا ذقتها إلا بطرف خياليا
إذا لج بي شوقي قنيت حيائيا … وظلَّت تباريح النزاع كما هيا
نجيي الصخورُ الصمُّ أركب ظهرها … وأفرغ في أُذْن الظلام شكاتيا
وما بيَ حب الصخر والريح والدجى … ولكنَّ حالاتٍ لهن كحاليا
أرى في أديم الطود عاث برأسه الــ … ــخرابُ وواراه الضباب مثاليا

وفي الظلمة الطخياء من ظلمة الأسى مشابه تدريها القلوب صواليا
إذا الليل واراني اطَّرحت الأمانيا وكاد جمود الموت يصبي فؤاديا
وما كنت آبى الموت سهلًا مذاقه لوَ انِّي إذا استأويته كان آويا
أرى الموتَ ظلَّ العيش يبسط تحته فيغشي أدانيه ويخطي الأعاليا
ألم تر للأشجار تمتد تحتها الـ ـظلال وتكسو الشمس منها النواصيا
فإنْ تحتطب يومًا تولِّ ظلالها وما إن يزيل الموت إلا الدياجيا
كذاك حياة الأفضلين فلا تلح إلى الظل وانظر نورها المتراميا
فيا مرحبًا بالموت يثلج بردُه فؤادي وينسيني طويل عنائيا
تموت مع المرء الهموم ولن ترى ككأس الردى من علة العيش شافيا
ولست على شيء بآسٍ وإنني لأهجر ظهر الأرض جذلان راضيا
وما طال عمري غير أن لواعجًا أطلن عنائي فاجتويت مقاميا
أهاب بنا داعي الردى فترحموا وقولوا سقى الله القلوب الظواميا
وقم ودِّع الأرضين عني فإنني بقيد الردى المحتوم إلا لسانيا
وقل لجبال عاريات مخوفة تخال مواميهنَّ للجن واديا
ألا أطلقي لي صوته والأغانيا وغذِّي بذكراها الشجونَ النواميا
ألم تعِ عنه جنَّةٌ عبقرية فقد كان يغشى مثلهن الفيافيا
وكيف تؤدي ما وعاه سماعها وما تحسن الجنان إلا التعاويا
وقل يا عيون الزهر غضي وأطرقي قضى عاشقٌ، أجلي، العيون الروانيا
لقد كان في روض الجمال خميلة سقتها دموع الحب لا الطل ساريا
فأعطشتُها حتى تصوَّح عودها وألوى بها عصف الرياح سوافيا
لقد أفردتْه نفسه بين قومه فعاش خيالًا بينهم متراثيا
وما كان إلا قوة أحدقت بها حوائل ضعف أمرها ليس باديا
فعاد وما يسطيع حملًا لساعة فكيف بأيام حملن لياليا
وما كان إلا كالسحابة أفردت وقام بها الرعد المجلجل ناعيا
وما كان إلا موجة قد تحطمت على ساحلٍ للعيش كم بات راغيا
وما غاله موت ولا هاضه كرى ولكن غدا من حلم ذا العيش صاحيا
وما مات إلا الموت يا فجر فائتلق وحول سناء طلك المتلاليا

ولا غـاب إلا فـي الـطـبـيـعـة أمـه وقـدمًـا أعـارتـه الـضـلـوع الـحـوانـيـا
فقوموا اسمعوا في هزمة الرعد صوته وفـي سجعة الغريد ما بات شاديا
وفي حيثما تبدو لنا القدرة التي دعـتـه فـلـبـاهـا ولـم يـكُ عـاصـيـا

* * *

أرى عينك اخضلت وعهدي بدمعها عـصـيًّـا عـلـى ريـب الـنـوازل آبـيـا
لقد جل هذا الجفن عن عادة البُكى وقد قل فيض الدمع إن كنت باكيا
تـعـز ولا تـرخـص لـموتـيَ أدمـعًـا أبـاة عـلـى سـوم الـغـرام غـوالـيـا
سواء عـلـيـنـا إن طـوتـنـيَ حـفـرتـي أبَـكَّـيـتـنـا أم بـات قـلـبـك سـالـيـا
بـحـسـبـيَ أنـي سـوف ألـقـى حـمـامـيـا وأنـت إلـى جـنـبـي تـراعـي فـنـائـيـا
ولا تـحـسـبـوا أنـي قـنـعـت تـكـرمًـا ولـكـن لأمـر مـا عـقـرت الأمـانـيـا
وردد أنــفــاسًــا تــرددن بــرهــة وحشرجن حتى راح ما كان جائيا
فخان الحبيب الصبر فانقض فوقه يـنـادي مـرمًّـا لا يـبـالـي الـمـنـاديـا
فـلـمـا رأى بـرق الأمـانـيَ خـلـبـا غدا يستجير الدمع ما كان جاريا
رأى مـا جـنـاه حـسـنـه ودلالـه فقال أيا ويحي لقد صرت جانيا
عدتني العوادي لم تكن بي غباوة ولـكـنـنـي كـنـت امـرَأً مـتـغـابـيـا
سواسية من يقتل النفس عامدًا ومـن يـدع الـتـبـريـح يـقـتـل ظـامـيـا
لبست جمالًا من قريضك خالدًا ورحت وقد ألبستك الموت ضافيا
وسوغتني من طيب ذكراك نفحة وسـوغـتـك الآلام والـدمـع قـانـيـا
لخلفتني عاري الجمال من التي تزين وكم أمسي وأصبح كاسيا
أعض على الماضي البنان تحسرًا وهـل يـنـفـعَـنِّـي الـيـوم عـض بـنـانـيـا
لـقـد كـنـت أقـسـو هـازلًا ولـربـمـا غدا الـهـزل بـابًـا لـلـشـقـاء وداعـيـا
فَـبِـئـسـتْ عـلـى طـول الـتـفـرق رقـة أُحس بها تذكي على الدهر ناريا
ستبقى ويمضي من علقت وإن تمت فقد يحجب الغيم النجوم الدراريا
وأنـك نـور تـسـتـضـيء بـه الـدنـا وغـيـرك ظـلٌّ سـوف يـصـبـح فـانـيـا
وأنـك حُـسـن لـيـس يـبـلـى وغـيـره وديـعـة دهـر يـسـتـرد الـعـواريـا
فـيـا آخـذًا مـن دهـره بـنـصـيـبـه هنيئًا لك المجد الذي ليس ذاويا
وإنـي لأسـتـسـقـيـك كـل دُجُـنَّـة وإن كـنـت أحـرى أن تـبـل فـؤاديـا

خواطر الظلام

أغرقتُ في بحر الأسى الأجذالا ولففت في أكفانها الآمالا
ونزلت في وادي الهوى متفيِّئًا للموت ظلًّا ينسخ الآجالا
كسف الجوى شمسَ الحياة فأظلمت وأعاد زاخر لجِّها أوشالا
عصفت بنا نوبُ الليالي عصفة تركتْ حياتي بعدها أطلالا
وتجايشت لججُ الزمان بصدره وتصوَّبت سيلًا إليَّ عضالا
فرعيتُ من دهري زمانًا موبئًا يجني السموم ويُنبت الأهوالا

* * *

يا شمس من يُحيي الليالِيَ ساهرًا ما بال ضوئك باردًا جفَّالا
يرخي الظلامُ سدوله فتعينه وتُري العيون سواده القتَّالا
ما أنت إلا كاللذاذات التي جرَّت عليها الأعصرُ الأذيالا
ليضيئنا الماضي ولكن لا ترى لشعاعه حرًّا ولا إشعالا

* * *

خلع الحمامُ على الظلام سكونه فكأنما همد الوجودُ كلالا
وتكنَّف الدنيا سكونٌ ناطق ملء الصدور مهابة وجلالا
وكأنما هذي السماء تزينها زهرُ النجوم الفاتنات جمالا
سترٌ على الأكوان أسدله الهوى لمَّا غفت وأفاضه سربالا
خلق الإله الكونَ أروع منظرًا وأجلَّ تصويرًا وأبدع حالا

وكسا وجوهَ الأرض روضًا ضاحكا حاك الربابُ ثيابه وأطالا
وحبا الطيورَ الصادحات وكورَها بين الرياض الوارفات ظلالا
وأقرَّ في قاع البحار قطينَها والدودَ في جوف الثرى الجوَّالا
واختصَّ آدم بالشقاء ونسلَه وحباهم الآلام والآمالا

* * *

يا أم ذي الدنيا ولستِ شبيهة بالله ربِّ المخطئين تعالى
ما تطلبين صلاتنا وصيامنا أو تنكرين جحودنا الأفضالا
سيَّان عندكِ حافظ ومضيِّع والمحسنون ومن أساء فعالا
كلٌّ يلوذ بظل عطفك دائبًا بُوركتِ من أم تفيض كمالا
وكرمت حتى لست تدرين الهوى والبغض والأطماع والأوجالا
سبحانها عما يُحس بنو الردى فلقد حماك جلالُك الأشغالا

* * *

ستثور عاصفة الليالي ثورة تجلو الشكوكَ وتدفع الإشكالا
وتدق فوق خرائب الأديان نا قوس الردى وتحيلها أغفالا
وترد للمسلوب حقًّا بزَّه إياه من منَّى النفوس ضلالا
يا أم ذي الدنيا فلا تأسيْ على ما كان من جهل وإن يكن طالا

عزاء الشعراء

سيعرقني يأسي ويغلبني ضني ... يغذ بنفسي للبوار ويوجفُ

فلا تنفسوا شعرًا عليَّ مفوفًا ... له لو علمتم جانب متخوف

كما نظمت هذي الرياح غمائمًا ... لها من غروب الشمس وشي مطرف

يهددها مما يضم ممزق ... ومما يوشيها مذيب ومتلف

لنا الله من قوم نذيب نفوسنا ... ويجني سوانا ما نشور ونقطف

ويصدر عنا الناس ريًّا قلوبهم ... ونحن عطاش بينهم نتلهف

نذوق شقاء العيش دون نعيمه ... على أننا بالعيش أدرى وأعرف

ولكنه ما أخطأتنا لذاذة ... إذا بلغ السؤل القريض المثقف

إذا هو سرَّى عن لهيف مفجع ... وآنس قلبًا موحشًا يتشوف

فما نحفل الدنيا إذا جل ظلمها ... ونحن من الأيام والعيش ننصف

زهرة الشر أو الحب

يا زهرة النحس والشقاء   ووردة الكرب والهمومْ
تنفح أنفاسك المنايا   وطيُّ أندائك السموم
ترود من حولك الأفاعي   مطرورة الناب للنعيم
العيش رمسٌ وأنت دودٌ   يا فرحة الدود بالرميم

* * *

يصدأ منها النهار حتى   نخاله ليلَنا البهيم
والليل من وقعها كفيف   فكيف ينجاب أو يريم
لا يخصب الظنُّ حيث تنمو   فالنفس من شرها عقيم
تترك دون الحشا عراكًا   كما التقت بالقنا الخصوم
فإن تكسَّرن في فؤاد   أودى الذي يضمر الحزيم
كأنما تثأر الليالي   من الصبا وهو لا يدوم
توقد دون الضلوع نارًا   طعامها النفس والجسوم
يا بؤس للحب كيف يُجنى   من جنة الحسن ذي الجحيم!
يا بؤس للناس هل تغنَّوا   بالبغض لو يحمد الذميم!
وليس في البغض ما يعنِّي   وخطبُه ليس بالجسيم!

محاسبة النفس

أضعت شبابي بين حلم وغفلة وأنفقت عمري في الأماني الكواذب

ولم يبقَ لي شيء وقد فاتني الصبا وأدبر مثل السهم عن قوس ضارب

تعود الغصون الصفر خضرًا وريفة مرنحة بعد الذوى والمعاطب

وليس لما يمضي من العمر مرجع ولا فرصة فاتت لها كرُّ آيب

بلى زاد في علمي وفهمي وفطنتي وحلميَ أن جربت بعض التجارب

ولكنَّ في عزمي فلولا كثيرة تغادرني في العيش طوع الجواذب

وما خير علم في الحياة وفطنة إذا حال ضعف العزم دون المطالب

كأنَّ لنا عمرين، عمرًا نريقه وآخر مذخورًا لنا في المغايب

ألا ليت عمر المرء يُرفى كثوبه ويرقع منه جانب بعد جانب

تقديم الصبوات

أيـنـعـي يـا زهـراتـي لـقـديـم الـصـبـوات
لـم تـزل ذكـرى لـيـالـي الـعـذاب الـسـالـفـات
حـيـة بـالـذهـن قـد تـبـ ـعث مسك النفحات
حـيـن أهـديـت مـثـيـلًا تلك في حسن شيات
لـوضـيء الـصـفـحـات لـؤلُـئِـي الـبـسـمـات
يـوسـفـي الـقـسـمـات نـرجـسـي الـلـحـظـات
صـمـد الـدهـر إلـيـه وهْـو وعـر الـسـطـوات
ما عسى طاقة ذي الحسـ ـن بـمـاضـي الـعـزمـات
فـذوى الـحـسـن ولـمَّـا يـذوِ حـب الـذاويـات
يا زهور الشعر لا خنـ ـت زهـور الـوجـنـات
إن يـكـن أخـلـق حـسـن كـان وحـي الـحـسـنـات
فـقـديـمًـا كـان غـضًّـا سـحـري الـنـسـمـات
وقـديمًا جـادك الـحسـ ـن بـطـل الـضـحـكـات
أيـــنـــعـــي فـــوق ذواه واحفظي عهدي السقاةِ

عظة المحبوب

ألا عُدْ إلى العهد الذي كنت أحمدُ ... ولا تتركنِّي في العذاب أخلَّدُ
هجرتك لا أني سلوت هواكمُ ... ولكنما أخشى الذي بت أعبد
أحبك لكني أخافك والهوى ... مخوفٌ وبعض الشر في الخير يوجد
على أنه سيان قربك والنوى ... إذا لم يكن لي منكمُ متودد
يضاحكك الإخوان أنسًا وغبطة ... فتلهو ويبكيني الأسى والتوجد
فكيف ملامي لاهيًا لا يُجِسُّنا ... وأنِّي على ما يوجع القلب مسعِد
وهل نافعي أني كتومٌ وأنَّني ... عيوف وأنِّي صابر متجلد
ألا في سبيل الله ليل سهرته ... ودمعي على الخدين سلك منضَّد
سميريَ وسواسي وصحبي خواطرٌ ... حوالك مثل الليل أو هي أسود
أخاف عليك الناس أن يلهجوا بنا ... وأكتم حتى عنك سرِّي وأبعد
وهَوَّنَ عندي ما أعاني من الجوى ... يقينيَ أن البعد أحجى وأرشد
وكيف أرجِّي منك بلًّا لغلتي ... وصدري على السر المبرح موصد
تفجَّر بحرٌ بيننا متزاخر ... تظل المنايا فيه تُرغي وتُرعد
أخاف عليَّ الهولَ إما ركبته ... وتجذبني نفسي إليه وتورد
فأقبلُ والآمال فيك كثيرة ... وأعرض والأهوال للنفس رُصَّدُ
وأخشى الكرى إذ كل حلم مروِّع ... وأخشى الردى إذ كل شيء مهدد
خَلت بك عني الملهيات وإن تكن ... عطوفًا تصافي كل من يتودد
تصادحُ أطيار القلوب سوى الذي ... له صدحة تعيي الورى وتَغَرُّدُ

ومثل نسيم الصبح أنت سماحة يُقَبل ما يبدو له ويبرد
ألم ترَ للأزهار كيف رواؤها وكيف غدًا يجني عليها التورُّد
يروقك منها حسنها غير أنها تصوِّح إن أمست تقلبها اليد
كذلك تذوي بعد حين فلا تكن لكل طلوب غاية ليس تبعد
ولا تمنح الود امرَأً ليس أهله فما كل ماء لامع الوجه مورد

عبث الحياة وباطلها

إلى شكري

تبغي حياة لا تُحسُّ صروفها وتذمُّ طول تصوُّبٍ وتصعُّدِ
لهفي عليك وقد تخالجك الأسى وعليَّ من خلق الهموم الأوغد
إنا كلينا واجد متجلد يخطو إلى الغايات خطو مقيد
وكأنما كتب الزمان حياتنا بدمٍ كحاشية الظلام الأربد
وكأن أسطرها لشدة هول ما يحوين مرهوب الصلال الشرد
قد كنتُ أُومِنُ بالحياة وطيبها في ظل أيام الشباب الأبرد
فاليوم أكفر بالنعيم كأنني أعمى يضل بما به قد يهتدي
وأمدُّ للدنيا يدًا مبتورة وأزلُّ حيث ثَبَتُّ عثرَ مُصفَّد
وأروح أجني الشوك غير مقلم ولكم قطفتُ جنى الغصون الميد
عادت ليالينا خريفًا كلها لهفي على ورق المنى المتبدد
ما خير عيشٍ صوَّحَت أفنانه وتساقطت أوراقهن على اليد
لكأنَّ مَن شمل الوجود بعدله ما إن يبالينا كأنْ لم نوجد
ماذا يفيد تسخُّطي وتبرُّمي بالعيش أم ماذا يفيد تجلدي
فارددْ على مكروهها النفسَ التي ماتت وأنفاسٌ لها لم تخمد
وَاقْرِ الهمومَ إذا حضرنَ قوافيًا تنسيك ثقل ظلالهنَّ الرُّكَّد
كالطفل يصرخ في الظلام لعله ينسى مخاوفه إذا لم تطرد

حلم الشباب

لنجي الهم يجتاب الكرى ملك ما طف حتى نزحا

* * *

حلم كان ولا كالحلم

يصل اللذات لي بالألم

كأغاريد الهوى المنصرم

ما رأت غرته شمس ضحى ليته أمهل حتى يصبحا

* * *

حدثتني النفس لما أن بدا

كنجوم الليل وضَّاح السنى

بربيع غرد حلو الجنى

حاكه الحظ على قد المنى فكأني كنت شمت البرحا

* * *

صوَّحت ريحانتي الريحُ السموم

لم يقبِّل ثغرها خد النسيم

لا ولم تدر ابتسامات النعيم

ورعاها الموت طوبى للردى ربح الصفقة مني — ربحا

* * *

إيه يا ريحانة القلب الشجي

نوري في روضة النور الوضي

وانفحينا بشذاك السرمدي

إنني أسلمت نفسي للأسى   أجلكِ العمر وعفت الفرحا

الشاعر

يرى من ستور الغيب حتى كأنما يطالع في سفر جليل المراقم
لـه خـاطـر يـقـظـان لـي بـنـائـم يجيش بأصداف اللآلي الكرائم
صقيل كخد الصبح سمح كنوره نقـي كصوب الـعـارض المتراكم
وروح كأن الكون من فرط رُحبها بـهـا قـطـرة فـي زاخـر مـتـلاطـم
ولـحـظ كـأن الـبـرق ريش سـهـامـه يـضـيء حـواشـي كل أغـبـر قـاتـم
ولفظ كضوء الشمس في مثل سيرها يسح بفيض العقل سح الغمائم
كـأن ريـاضًـا فـي مـثـانـي حـروفـه أرجـن بـأنـفـاس الـثـغـور الـبـواسـم
يـحـمـل خـفـاق الـنـسـيـم حـديـثـه ويـركـبـه ظـهـر الـريـاح الـهـواجـم
فـتـجـريـه فـي أفـواف كل خـمـيـلـة وتـنـشـده بـيـن الـرُّبَـى والـمـخـارم
وتـلـقـيـه أنـداء عـلـى الـزهـر سـحـرة وتوحيه سجعًا في صدور الحمائم
وتـرسـلـه فـي الـجـو صـرخـة آيـس يجاوبها قصف الرعود الغواشم
وتطلعه فجرًا على الناس واضحًا يريهم سبيل الحق بادي المعالم
وما الشعر إلا صرخة طال حبسها يـرن صـداهـا فـي الـقـلـوب الـكـواتـم
يـرقـرق أنـداء الـعـزاء عـلـى الأسـى ويـضـرم طـورًا خـامـدات الـعـزائـم

* * *

فيا روضة الحب التي طلها ندى الـجـمـال ووشـاهـا بـنـور الـمـبـاسـم
دعـيـنـي أنـشـق فـي ظـلالـك عـرفـه فـإن حـيـاتـي مـلـؤه لـلـخـيـاشـم
وإن شـفـائـي عـبـرة لـو هـرقـتـهـا ولـكـن جـفـنـي كـالـبـطـون الـعـقـائـم

فإن لم «يغثنِ» الله فيك بسجعة شقيت بجمات العيون الظوالم
وفي الشعر للمفئُود سلوى وإنه ليغنيه عن صوب الدموع السواجم

إلى العقاد

عباس أقصتك عن خلصانك الدار   وأذهـلـتـك عـن الأحـيـاء آثـار

أذكر فديتك عهدًا دوحه خضل   مـلـيـتـه زمـنًـا إذ أنـت لـي جـار

كنـا سـمـاءً وكـان الـود أنـجـمـهـا   فـمـا دجـى أفـق أو ثـار إعـصـار

وكان يسري هلال الحب في أفق   هـالاتـه فـيـه إعـظـام وإكـبـار

فـزر أخـاك عـلـى بـعـد بـقـافـيـة   كالطل تحيا به في الروض أزهار

إنـي وإن بـتـت الأيـام وصـلـتـنـا   بجمحة الشوق والتحنان زوار

إلى صديق

يحييك الفؤاد على التنائي ... كما يومي إلى القوم الغريق
أرقِّع بعدكم أثواب عيشي ... وكنت ونسجها بكمُ صفيق
وكنت أظنني طبًّا فلما ... وليت الداء أعيتني الخروق
وكنت إذا تمطى بي ظلام ... أقول لكل غاربة شروق
فصرت أهاب ضوء الشمس حتى ... كأن عروقه الليل الغسوق
فهل لي عندكم شوق كشوقي ... كأن القلب منه به حريق
ودادي ناشئي فاحنن عليه ... كما يحنو على الطفل الشفيق
بأخلاق كعهديها رقاق ... يضيق بها الزمان ولا تضيق
ولا تُسلمْه للأيام إني ... أرى الأيام ديدنها العقوق
وصنهُ في حجاب القلب مثلي ... يظل له بقلبينا علوق

أنشودة الشتاء

قد ذهب الحول بالربيع وبالـ ـصَّحو وجاء الشتاء مرهوبًا
فـأي أصـواتـك الـقـدائـم يـا قـلـب أنـاجـي بـهـا الـشـآبـيـبـا
وما انتفاعي باللحن أبعثه وليس من يسمع التطاريبا
أين، وهل ينفع اللهيف أسًى يزيد وجه الحياة تطبيبًا
غـلائـل قـد نـثـرتُـهـا بـيـدي عن نور عيشي وعدت مسلوبًا
أنا الذي كنت لو تصدقني أكون شيئًا في الدهر محسوبًا
فصيرتني الخطوب زافرة كـمـا أثـار الـزمَّـارُ أنـبـوبـا
أعجب للحظ هل مقسِّمه أراده ويـلـنـا أعـاجـيـبـا
أجزل من سهمة الرجاء لنا فـكـل شـيء نـراه مـطـلـوبـا
لـكـنـه قـد أخـس قـدرتـنـا يا ليت ما شاء كان مقلوبًا
غـنـى أمـانٍ وفـقـر مـقـدرة فـلـن يـنـال الـفـؤاد مـرغـوبـا

الأسافل والأعالي

سأهدل كالحمائم في رياض ... مـن الأحـلام وارفـة الـظـلال
وأصدح لا أبالي ها أصاخت ... لـيَ الأرواح أم صـم الـرمـال
ولست بخافض صوتي لأني ... أرى الأسماع سكت عن مقالي
كفى الغريد لذة ما تغنى ... من الحسن المصور والجلال
ولـم آسـى عـلـى قـوم أسـفـت ... بـهـم أحـلامـهـم دون الـنـعـال
سيورق يا خليلي كل غصن ... سقاه الظامئون إلى الكمال
غصون بدائع من نبع صدق ... كريم الأصل محمود الأوالي
ستؤتي أُكلَها يومًا وتشدو ... على أفنانها طير الليالي
وهـل شـجـراتـنـا إلا فـروع ... نماها خير أصل في الخوالي
فطر في ظلها كالنحل واجمع ... بها ما اسطعت من شهدٍ حلال
وأيـقـن أنْ سـيـذكـرنـا زمـان ... سـنـنـسـيـه الأسـافـل بـالأعـالـي

مناجاة الحسن

حثَّا شرابهما في ظل حسَّان   رياه ريحاننا في مجلس ألحان

ريا الحبيب ولا شيء كنفحته   وهْنًا يُهيج أطرابي وأشجاني

حثَّا شرابهما حتى رأيتهما   لا يسمعان وإن كانا يقولان

هما أثيران علاني على ظمأ   وبالشراب على سري يغوصان

ويضحكان إذا ما الخمر رنحني   دوارها واستوى سري وإعلاني

ويعجبان لنسجي الزور أجعله   ذريعة لطرير الحسن غيساني

ويحسبانيَ مجانًا كأنهما   لم يعرفا سخر أشجان وأحزان

...   .

...   .

يكاد يأكله باللحظ مبصره   لو يستطيع رنوًّا لحظ ولهان

ولفظه السحر إلا أنه كلم   ولحظه الخلد إلا أنه جاني

وجه مضيء من الفردوس مخرجه   ملء النواظر من حسن وإحسان

وقال صف ليلتي هذي مجملها   نفسي فداؤك من راج ومنان

أهبت بالشعر فاستفتحت مغلقه   كنجمة الصبح تحدو نوره الواني

ولو وكلت إلى نفسي عييت بها   لكن دعوت فما أعيا بتبيان

سقيًا ورعيًا لها من ليلة سلفت   عادت رطابًا بها أعواد أغصاني

إذ ملعبي الناس ألهو غير محتشم   بأرجل منهمُ طرًّا وأذقان

سقيتني الحب إذ نحسو على مهل   ألذ ما يتحساه حبيبان

وظلت ترشقني باللحظ عن عرض فأتقيك بإغضاءات غفلان
وأصرف الفكر عنكم بالمزاح عسى أفيء يومًا إلى رشدي ورجحاني
وأدَّعي أن ضنئي سالبي رشدي كيما ألهي الحشا عن حسن مفتان
وياسَمين شممناه مناقلة نشقته ونشقت الحسن في آن
كنا وكنت كسحبٍ بينها قمر فمزقت شملنا أرواح غيران
أو كالضياء رمى نجم وشائعه من بين أوراق أغصان وأفنان
راخت ليالي النوى أوتار عيداني يا لهف نفسي على جنكي وعيداني
يا ليلة ليَ منه لست ذاكرها ألا استهلَّت بصوب الدمع أجفاني
بعد السلو تعود القلب صبوته يا ليت ما عاد منها كان أخطاني
كم ليلة بعدها كابدتها سهرًا وكل هم بها لي منه زوجان
كالبحر حين تهب الريح عاصفة صدري، ويخبط بطنانًا بظهران
يا موقد النار في قلبي وتاركها تكوي حشاي وتوهي صرح بنياني
حتى غدوت وألفاظي لها وقدٌ كأنما هي من أحشاء بركان
برِّدْ بقربك نيراني فإن لها شبًّا كأنَّ له تخبيط شيطان
عجلت بالهجر يا موفي على أملي ويا سقامي ووسواسي وشغلاني
وليلتان هما لي منك واحدة عفوًا وأخرى على وعد ونشدان
أليلتان جزائي منك أجلهما بعدٌ على حسرات إثر إحسان
مسافة البيت لا شهر ولا سنة لكن دقائق تعدو ذات أمعان
أإن دعوتك للرعيا فلا عجل وإن دعوت إلى مطل فلا واني
تحدث الناس عما فيك من حسن هيهات ذاك لقلب الواله العاني
يا جنة العين ما للأرض ملبسة سوابغًا من سدى همٍّ وأحزان
يا روضة من رياض الحسن فاتنة تموج باليانع النائي وبالداني
فيك الشقائق للجاني تميل على طرائفٍ من أقاح وسط ريحان
ونرجس فوقها يسطو بلحظته على فؤاد طويل البث قرحان
قد كان ظنيَ أني قد ملأت يدي هيهات ذاك حرمنا أي حرمان
أتم طيبًا وحسنًا منك ما نظرتْ عيني ولا سمعتْ في الدهر آذاني
ولا أتم أسى مني ولا كمدًا يا صاعقي بجمال ما له ثان

يا حسن كم من أخي حسن كلفت به قد سار سيرك في صد وهجران
لـمـا بـرمـت بـه فـارقـتـه جـذلًا وكـف دمـعـيَ عـن سـح وتـهـتـان
لـكن أبـت ذاك آيـات لـحـسـنك لـم تـتـرك سـوى سـبـل إقـرار وإذعـان
أهـون عـلـيك بـمـفـتـون وشـقـوتـه إذا لــهــوت بــأكــبــاد وأذهــان

الأزاهير الميتة

أجِلْ في حياتي الطرف تبصرْ رسومها
دوائرَ عفتها الليالي الدوائرُ

تولت ليالي السعد وهْي حميدة
جاءت ليالٍ بالنحوس مواقر

وأصبحْت والآمال حولي ذوابلٌ
تساقطُ أوراق لها وأزاهر

يشاهقها البرق المضيء عشية
وتهفو بها الأرواح وهْي ثوائر

وعُرِّيَتِ الأفنان من ورق الصبا
وعافت ذَوَاها الصادحات الطوائر

فما ينتحيها غير غربان شقوة
لهن نعيقٌ فوقها متطاير

فأين زهور الحب يا طول حسرتي؟
وأين أزاهير الشباب النواضرُ؟

وأين أزاهير السرور كأنها
تحيي الفتى والعمر قينان ناضر؟

وأين أزاهير القناعة والرِّضَى؟
دهتها صروف بالسموم قواطر

وأين زهور الصبر والأمن والمنى؟
زوتها عن العين الهموم الزواخر

طواها زمان ليس ينشر ما طوى
فلن تجتليها يا لهيف النواظر

وغابت فغاب الأمن والخير كله
ودارت على رَوْق الحياة الدوائر

ثوت حيث لا شمسٌ ترد حياتها
إليها ولا صوب الغمائم ناصر

أفي كل يوم زهرة ليَ غضة
تموت فأبكيها ودهريَ ساخر

تساقطُ أزهارُ الحياة على يدي
وقلبيَ مقروحٌ وصدريَ واغر

كأن وباءً عاث فيها فلم تكد
تنوِّر حتى أعجلتها المقادر

ولا خير في عيش إذا كان مجدبًا
بواطنه مصفرة والظواهر

إذا مر بي يوم حميد، وربما
تبسَّم في الليل النجوم الزواهر

تلَفت حولي باحثًا عن شبيبتي وأزهارها والدمع في الجفن حائر
تقطَّعُ أحشائي إذا ما افتقدتها ويضرم أنفاسي الحنين المخامر
وبيضاءَ من زهر العفاف فقدتها وبالرغم مني أن قلبيَ ذاكر
فغيَّبها قبر الفؤاد وجادها بصيِّبه جفنٌ على الدهر ماطر
بكينا عليها حقبة ثم ردَّنا إلى الصبر دهرٌ بالملمَّات زاجر
وما عجبٌ أن المنايا علقنَها وكرَّ عليها الدهر والدهر جائر
وكيف أُرجِّي أن تدوم وقد مضت بأندادها عندي المنايا البواكر
وإن محالًا أن تدوم وحيدة وإن سفاها ما تريق المحاجر
وإن ضلالًا ندبُ ما ليس راجعًا وإن عناءً ما تحن الضمائر
سيمضي وإن طال الزمان بيَ الردى وتذهلني عما افتقدت المقابر

زهرة الصخر

آنسْتني بالأمل المغري   يا موحشي بالنظر الشزْرِ
أعوذ من ذكريك بالصبرِ   وأين مني راحة الصبر
يا نجم أرضي يا سماء الهوى   تومض فيها أنجم السحر
خواطري السوداءُ مغروسة   في الذهن، كالسرحة، والصدر
تسودُّ منها الشمس رَأدَ الضحى   فالعيش ليل سابغ الستر
ما لي أرى كفِّيَ مملوءة   من كل ما أكره من دهري
لكنها خالية مما عسى   يحلي مذاقَ الألم المرِّ
يا مجريَ النهر إلى البحرِ   ومُسقط الطلِّ على الزهرِ
وجامعًا بين الثرى والحيا   عند التياح الأرض للقطر
وناظمًا في خيط هذا الدجى   عقودَ هذي الأنجم الزهر
وواهبَ الموجة صدرَ أختها   والأغصنَ الميس للطير
أطفئْ بماء القرب جمرَ الهوى   وزوِّج الحسن من الشعر
لا غرق الساعات في قبلة   من خدِّه الواضح والثغر
ماذا ترى يمنعني قربه   لو أنَّ في العالم من يدري
أبيننا بحرٌ يردُّ الخطى   أم تقذف النيرانُ بالجمر
أم سُدَّت الأرضُ فلا وجهةٌ   أم حال ظل الموت أن نسري؟
أينقضي العمرُ وما صافحت   عيناي عينيه بلا ذعر؟
ولا جرى في مسمعي صوتُه   جَرْيَ نمير الماء في الغُدر

ولا تـخـطَّـيـتُ ولـو ظـلَّـه فما انتفاعي اليومَ بالعمر؟
حتى الكرى يُبديه لي مبهمًا كالزهر في أكمامه الخضر
أو حاجب الشمس إذ ما بدا بـيـن غـمـامٍ؛ دَنِـف الـذَّر
كـأنـمـا الأحـلام أسـتـاره تصرف عنه نظر الفكر
أدعوه في الأحلام حلو الجنى على سبيل الهزْءِ والسخر
وقـد أنـاديـه، ومـا أفـتـري، يا زهرة صيغت من الصخر
وربـمـا سـمَّـيـتـه بـاسـمـه كـأنـمـا لا شـك فـي الأمـر
إن كنتَ حقًّا حُلمًا ساحرًا فـهـل تـرى أحـلـم بـالـهـجـر
وبـالأسـى والـحـرقـات الـتـي مـا أطـفـأتْـهـا عـبـرة تـجـري
راح على عطفيَ ثوبُ الأسى مُحلولك المِجول والصدر
وآدنـي ثِـقـل الـهـوى إنـه حـقـيـبـةٌ مـلأى مـن الـشـر
وعـمَّـق الأحـزان أنـي أرى نفسيَ في مثل دجى القبر
يـا لـيـت لـلـزفـرة روحًـا إذا أصعدتُها تكشف عن سري
لا غـايـةٌ لـي أتـعـزَّى بـهـا حـيـنًـا ولا أقـنـع بـالـذكـر
هو المنى لو أن لي حيلةً آه عـلـى مـلـتـمـسـي الـوعـر
يـا مـلءَ عـيـنـي وفـؤادي أمـا تَنَفَّسُ البلجةُ في الفجر
ذكرك نسكٌ ليَ تحت الدجى فـأيـن مـحـرابـيَ وا حـرِّي!
وأيـن لا أيـن بـخـور الـهـوى أنـفـاسـك الـقُـطـريـة الـنـشـر
يـا ربِّ إنـي حـافـلٌ أمـرَه ولا أراه حـافـلًا أمـري
لم تقض لي منه سوى حبِّه وذا قـضـاءٌ بـيـنُ الـجـور
فـازدحـم الـقـلـبُ بـأحـبـابـه مثل ازدحام الرأس بالشعر
فليتني كان لحبي صدًى يُـبـيـتـه مـنـي عـلـى ذكـر
يا شقوةَ العاشق أمسي وما يُحسُّه المعشوق أو يدري
وهل يفيد الصب أن يشتكي في شعره طورًا وفي النثر
كـأنـني إذ أتـشـكَّـى الـهـوى مـحـدِّثٌ نـفـسـيَ فـي الـجـهـر
إنْ هـيَ إلا أسـطـرٌ قـلـمـا يـعـبـرهـا وا ضـيـعـةَ الـشـعـر
دفنت فيها كل ما مرَّ بي وهـل لِـمـا يُـدفـن مـن نـشـر

ما أضأل الآمال زادًا وما أخونَها في موقف النصر
من زاحف الأيام في جيشها فبالطلى كرَّ على البُتر
ومن أبى غيرَ المنى حيلةً أسلمه الحظُّ إلى العثر

إكليل الشوك

أجوب فيافي العيش سدمان حائرًا
وما ليَ من لفح الزمان مقيل

لقد طال بي التسيار حتى أملَّني
ولو أن ألوان السماء شكول

يسوِّد شجوي كل ما أنا مبصر
فكل سناء قد عراه ذبول

يقيدني ثقل الهموم إلى الثرى
فليس إلى السعي الحليل سبيل

كنسر يريد النهض لا يستطيعه
وهيهات منه والجناح ثقيل

وليل كأنَّ الموت أرخى ظلاله
عليه فتامور الظلام قتيل

إذا عنَّ فيه البرق كالخيط أبصرت
غياهبَه الألحاظُ كيف تصول

وإن هبَّت الأرواح من رقداتها
حسبت الدنا جذَّت لهن أصول

تجسم لي وهمي به فحسبتني
أرى حلمًا تنهار منه عقول

كأن الربيع الطلق جاد بنفسه
وغال قوى هذي الطبيعة غول

فلا الصبح مرجوٌّ ولا الليل منتهٍ
ولا للنفوس الحائرات دليل

وأبصرت روضًا هائج النبت كظَّه
وجلَّله شوك عليه طويل

تناولت منه شوكة ولففتها
لرأسيَ إكليلًا وذاك يهول

فظل يضج الناس إذ يبصرونني
ويضحك مني عالِم وجهول

ويلتف حولي صبية يعبثون بي
ويغضي حياءً صاحبٌ وخليل

مضيت فلم أنهر صبيًّا مرهقًا
ولم أحفل الشياب كيف تقول

وفي أُذُني صوت نديٌّ يحثني
يميد بعطفي حسنه ويميل

أشق به هذا الأنام كأنهم
وما أطنبوا فيه الغداة فضول

الموت ثمرة الحياة

في رثاء صديقنا المرحوم محمد أفندي عبد الرحيم

أناديك لو رد النداء رميم وأبكيك لو أجدى عليك سجيم

وهل يحفل الميْت الذي غاله الردى سلاه خليل أم بكاه حميم

ويا ليت لي دمعًا عليك أريقه ولكن جفني يا أُخيَّ عقيم

سأبكي عليك الناس حتى تخالهم يتامى دهاهم يوم بنت عظيم

وماذا يفيد الميْت في القبر قد ثوى دموع على الأيام ليس تدوم

وهبها على الأيام سحت غمائمًا أيرجع ميتًا صوبها فيقوم

وكيف أجازي طِيبَ عهدك بالبُكى ولو أن عيني بالدماء سجوم

فبعدًا لهذا العيش بعد فراقكم فليس لعيشٍ بِنْتَ عنه نعيم

ولا مرحبًا بالدار لست قطينها ولو أن آجر البناء نجوم

عرفتك والأيام بيض حميدة فصرت وأيامي لبعدك شيم

كأنا الألى متنا، وهل يألم الردى سوى الحي لا الفاني فذاك سليم

وليس غبين القوم من غاله الردى ولكنَّ من يخطِيه فهْو مقيم

ولو خُيِّر الأموات ما اختار واحد حياة، ولا قال الحمام ذميم

يروع الفتى ذكر الحمام ووقعه ويرتاع من ذكر الحياة رميم

خُلقنا وما ندري لأية غاية، على الموت منا هجمة وقدوم

وكل امرِئٍ في العيش طالب غاية ومن خلفه هذا الحمام غريم
فيا شقوة الإنسان يجنيه سعيه ثمار الردى المنشوء وهو نعيم
ولم أرَ مثل العيش أزهاره الردى ولا عاصفًا كالموت وهو نسيم
كذبتك لم أجزع عليك وقد رمى فؤادك من نبل القضاء ظلوم
نجوت من الدنيا نجاء نفسته عليك ولو أن الفراق أليم
تمر الليالي لا تُحس صروفها فيا ليتني في الهالكين قديم
كأنك ما مادت بعطفيك فرحة ولا جشأت دون الضلوع هموم
ولم تك في الدنيا لقلبيَ مطربًا ولا صرت خطبًا ضاق عنه خريم
كأنك ما دبت بك الرجل مرة لمأرب عيش تبتغي وتروم
كأنكِ ما آذاك برد ولا لظى ولا كرَّ من بعد النهار بهيم
ولا أطرف الخلان في سامر لهم فصيح ولا عاطى السلاف نديم
كأنك لم تخلق سوى أن أكبدا ذواكر تفريها عليك غموم
سقيت الردى في ميعة العمر والصبا وأوكى على ما في العياب أثيم
فيا ويح للإنسان يحيا وينقضي كأن لم تورثه الحياة رءوم
وما نحن إلا الهاجمون على الردى فنفس الفتى عون له وخصيم
وكل امرِئٍ يحدوه للموت حينه وللموت جذب لو فطنت وخيم
وما أحد باقٍ وسوف يضمنا وإياك بطن الأرض وهْي جسوم
لقد كان ظني أن يقدمني الردى عليك ولكنَّ الزمان لئيم

وحشة الحياة

تلاقيتُ والدنيا لقاءً لفرقة
وبالرغم من أنفي اللقا والتفرُّقُ

وعُرِّيتُ من أهلي صبيًّا فلم أذق
حنان أب يُرعي عليَّ ويشفق

فما مصعد في شاهقات من الذرى
بأكثر مني وحشة وهو مُعنق

فصادقتُ نفسي في الحياة كما خلا
بمزماره راعٍ أملَّته أينق

أوازن بين الخير والشر تارة
وهيهات! أعياني بظني التعلق

وما بيَ من ذل ولا عجرفية
ولا أنا أخشى كيف كنت وأفرق

وإني لأدري أن للعمر نهجه
وأن حياة المرء ثوب سيخلق

ولو أنني خُيِّرت ما اخترت لبسه
ولا شاقني تحبيره والتنوُّق

ولو أن نفسي خُيِّرت في طلابها
لكان لها فوق الحياة مُحَلق

وما أزدري أبناء آدمَ إنَّ بي
حقارتهم والند بالند ألحق

الطفولة

رعى الله أيام الطفولة إنها على جهلها أحلى وأهنأ ما ليا

ليالي أظن الكون إرثي وأنني أعير النجوم الزهر نور بهائيا

وأحسب بطن الأرض واليم والدجى مثاويَ للجن المخوف خوافيا

أفيض على ما تأخذ العين جرمه وأفضي إليه بالشعور حياتيا

إذا أُذيت نفسي صرخت ولم أبل وداويت نفسي في الأسى ببكائيا

وما كنت أدري الهم كيف مذاقه ولا كان شيء عازبًا عن رجائيا

ولا كنت أكسو النفس ثوب مخاوفي وأزعجها من حيث تنشي الأمانيا

يضاحك ثغري كل ثغر توددًا ويبدي حنانًا من يرانيَ شاكيا

ويُلفي بي الناس السرور كأنما برا الله من كل القلوب فؤاديا

ولي سهمة من كل لهو كأنما تباري الورى أن يبلغوني مراديا

فيا رب أوزعني على ما سلبتني وأبدلتني، صبرًا يوازي مصابيا

فقد بزت الأيام عني مطاريا وقد هدمت أيدي الخطوب بنائيا

وأغرقني في لجة بعد لجة من اليأس دهر لا يبالي بلائيا

ويوشك أن يخبو شهاب شببته إذا ما خبا لم يلفِ في الدهر واريا

وأثقلني همي وأقعدني فما أُصعِّد طرفي مرة في سمائيا

بليت كما تبلى الطلول وهل ترى على عنت الأيام يا قلب ناجيا

عالم الكرى وعالم اليقظة

قد وجدت السهد أهدى للأسى　　　ووجدت النوم أشجى للحشى

شد ما يظلمنا الدهر أفي　　　يقظة دنيا وأخرى في الكرى

ويل هذا القلب من صرفهما　　　لا الكرى أمن ولا السهد حمى

الردى — إن كان لا منجى — الردى　　　إنه للنفس غوث ونجا

إن للأحلام أمًّا طرقت　　　نفَسًا مرًّا ودمعًا ولظى

كم غدا الخاطر في يقظتهْ　　　حاملًا منها كأجبال الصفا

كم غدونا نشتكي من بعدها　　　نغرة الجرح الذي كان أوى

شاطرتنا عيشنا فيما مضى　　　فهْي بعض ما طوى منا البلى!

أتقيها والكرى يقذف بي　　　وأغض الطرف والقلب يرى

وعلى ما عذبت أو ملحت　　　حرقة الصدر نصيبي والظما

كلما قلنا نسينا قدحت　　　من دماء القلب نيران الأسى

خلق المقدار منها عالمًا　　　يقهر النفس بسلطان الجوى

يا بنات النوم ما لي أرتعي　　　في حماك الهم ممرور الجنى

أبنات النوم تسطو في الكرى　　　وبنات الدهر تسطو بالأذى

أين يا سائقنا أين بنا　　　شد ما أنهكنا طول السرى

إلى رجل يشتمنا

رفـقًـا بـنـفـسـك إنَّـنـي رجـلُ   لا بغض في قلبي لمن جهلوا

حُسْنُ الكراهة في تبادلها   لا أن يـنـوءَ بـثـقـلـهـا رجـل

فـاقْـلَ الـذيـن إذا ثَـلَـبْـتَـهُـمُ   أضنى نفوسَهُمُ بك الشُّغُلُ

إنــي لآنـف أن أسِـفَّ إلــى   أمرٍ سيـعـقـبـنـي لـه خـجـل

إلى مُدِلٍّ بجماله

يا قمرًا لا يعرف الأفولا
كل سنًى لا بدَّ أن يحولا
ووردةً لم تعهد أن يحولا
مَلاكِ ربِّي عمرَكِ القليلا
أهوِنْ بخطب يَهَبُ البديلا
ما أكثر الورد كما قد قيلا

اللحظ المصروف

يا صارفًا لحظَه عنِّي على عجل أما ترانيَ أهلًا أنْ تراعِينِي

قسمتَ لحظك بين اثنين مختبل وهائمٍ بسواكم غير مغبون

أوْلاهُمَا من أذاب الحبُّ منطقَه وهْو القدير على شرح وتبيين

اردُدْ إليَّ لحاظًا قُوتُها أبدًا حبٌّ بعينيَ بادٍ غير مدفون

تبصرْ جمالك في عينيَّ مرتسمًا وقد ترى الدمع يخفيه إلى حين

وأجْرِ في مسمعي صوتًا نَعِمْتُ به يكاد يُذهل عن عقل وعن دين

إخاله إذ يسكُّ السمع ليِّنُه ألحانَ قلبي وقد باتتْ تناغيني

إلى صدقي

إيه عبد الرحمن أذكيت جمرا   حيث قدَّرت أن ستفرغ صبرا
أجد الدمع بعد نصحك أجرى   فكأن التعذال للدمع أغرى
لست أبكي لفقدها علم الله   وإن كانت المصيبة بكرا
وهْي بعضي فإن بكيت فعذر   لأب ضاق بالرزية صدرا
غير أن الهموم يفصح عنها الـ   ـدمع كالزند كلما لُزَّ أورى
ليس بدعًا على ترقي الرزايا   أن تبيت الشئون أعظم غزرا
حذَّقتني الأيام ألحان حزن   فنظمتُ الدموع للناس شعرا
وبرغمي سحت سحائب دمعي   وبكرهي عصيت للصبر أمرا
أرمضتني الخطوب في فدفد العيـ   ـش ولم أُلفِ غير دمعيَ قطرا
ما على من راخت قواه البلايا   من ملام إن لم تجده مُمَرَّا
خلق الجفن للدموع مجازا   لا سجونًا لفيضهنَّ وقبرا
فدع اللوم يا خليلي فإني   بي كبر أن أمنع الدمع كبرا
ليس هينًا عليَّ أن فئت فردًا   أشتكي وحشة وآلم بترا
وعظيم عليَّ قولك إني   واجدٌ بعدها بديلًا أغرا
لهفتي للفتاة في وحشة القبـ   ـر تعاني فيه السكون المُرَّا
أبدًا لا تزال تغشى ضميري   حسرات تصول طردًا وكرًّا
ودموع عليك مسفوحة الوبـ   ـل تزيد الفؤاد وقدًا وحرًّا
فاذهبي كالربيع ولى وأبقى   أثرًا بيننا وإن كان ذكرا

الشعر والريح

صلاتي لربي الصمت في معبد الدجى   لمن عرشه نور الجلال الموطف
ولكنني بالشعر يهضب مقولي   ويعرض مني جانبًا ليس يكشف
وأسكب في أُذْن الزمان مواجدي   وإن كانت الأضلاع منها تقصف
فلا تلح شعري إنه الريح مرة   تقر وأخرى لا تني تتعجرف
وتلفحنا منها السموم وتارة   يباديك منها جربياء وحرجف
وتزفر أحيانًا وترقد مثلها   كذاك لشعري سورة وتألف

في الرثاء

قصيدة قلتها في نفسي على لسان آخر، وسألت صاحبًا لي أن يرثيني بمثلها.

قضى غير مأسوف عليه من الورى | فتًى غرَّه في العيش نظم القصائد
لقد كان كذابًا وكان منافقًا | وكان لئيم الطبع نزر المحامد
وكان خبيث النفس كالناس كلهم | جبانًا قليل الخير جم الحقائد
وقد كان مجنونًا تضاحكه المنى | وفي ريقها سم الصلال الشوارد
فعاش وما واساه في العيش واحد | ومات ولم يحفل به غير واحد
وجاء إلى الدنيا على رغم أنفه | وراح على كره الأماني الشوارد
أراد خلود الذكر في الأرض ضلة | فأورده النسيان مر الموارد
ولم يبكه إذ مات إلا أجيرة | لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد
فلا دمع يروي يوم ولي ترابه | وكيف يروِّي تربه غير واجد
فلا تندبوه إنه ليس بالأسى | حقيقًا ولا أهل الهموم العوائد
وخلوه للديدان تأكل لحمه | وذاك لعمري خطب كل البوائد
ولا تزعجوا الديدان بالندب إنها | هديٌّ لمن تطويه سود الملاحد
وقوموا ارقصوا قد فاز بالموت موجع | بلى ربما كان الردى خير ضامد

في العتاب

أين تلك العهود وافقن آما — لي وأخلفن بعد ذاك الظنونا
أين لا أين موثق ويمين — رحم الله موثقًا ويمينا
ضقت ذرعًا فإن تطق فأعني — أو فعني فما أريد معينا
فلعل الزمان ينجز وعدًا — منه إن الزمان كان قمينا
أمل إن قضاه لي الله يومًا — لا يجدنا لشكرهِ جاحدينا
ولعل القنوط أحجى بمن لم — يرَ منكم على الوفاء ضمينا
يا خليلي وآثر العذر واعلم — أن للوجد سورة وجنونا
وعزيز عليَّ لوميك لكن — كبر الحب أن يظل غبينا

الغزال الأعمى

(جوابًا على أبيات لصديقي الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندي شكري يشكو فيها إليَّ همًّا.)

معيني على الأيام لاعت جوانحي ... شكاتك حتى ما أكاد أبين

وما أنا خير منك حالًا وإنما ... أعالج ما ألقى عساه يهون

تتبع آثار الزمان نوازل ... يموت ويحيي إثرهن يقين

تغير آراء الفتى نكباته ... كأن الفتى في كفهن عجين

فيا قرب ما يعدو على الرأي غيره ... وسرعان ما تبلي الظنون شجون

وأوجع ما ألقاه في العيش حيرة ... كغزَّال سوء أعوزته عيون

وإني لأدري أن للخيط مذهبًا ... وإن كنت لا أدريه كيف يكون

وإني لأدري أن للعيش مطلبًا ... ولكنَّ غايات الحياة فنون

ولا علم لي ما اسم الذي أنا غازل ... ولا نفعه لو أن ذاك يبين

أتانيَ من لم أطَّلع قبل طلعه ... وقال وألقى الخيط وهو ركين

عليك به فاغزله إنك أكمهٌ ... وما لك إلا شمأل ويمين

ولكنني قد يخطئ الخيط أصبعي ... وتطلبه كفَّاي وهو شطون

فأعلم أن الريح ثارت وأنني ... إذا لم يعنِّي الله سوف أحين

ولكنه أين المفر من الذي ... أخاف وما لي في الحياة عيون

ليلة

يا أخلاي مرحبًا وسلاما   نعم ليل يضمنا في نظام
بين كأس وإخوة ونعمًّا   ليلة بين إخوة ومدام
جاء هذا الربيع طلقًا وجئتم   مثله بعد طول عهد الغمام
فسقى الأرض ريها وسقيتم   مهجتي ريها على الأيام
فرياض من الربيع حوال   ورياض من ودنا البسام
ولعمري لولاكُمُ ما عبأنا   برياض مفترة الأكمام
ورياض الربيع خضر ولكن   أنتمُ وردها الزكي الشمام
قد يشم الصديق من نفحة الإخـ   ـوان ما لا يشم قطر الرهام
أنتمُ إخوتي ربيعي لا ذا   ك فما للزمان طول مقام
لن يفوت الربيع عيشي ما أصـ   ـفيتمُ الود أو رعيتم ذمامي
جمعتنا مودة فلبسنا   ثوبها ضافيًا على الأجسام
ليلتي هذه جدير سناها   أن يشوق الفؤاد للإظلام
والليالي إذا أتتك بإحسا   نٍ وطيب أطمعن في الإنعام
فلتكن كرة إلى مثل هذا   بعد أيام فترة وجمام
عنديَ الليل والنهار سواء   حين تبدون في سواد الظلام
ولئن عدت إنني لشكور   أنشر الشكر في القوافي الكرام
فاغتنم ذلك اللسان فإن الـ   ـملك للألسن الفصاح الكلام

العقل والموت

ترى ينسخ الإصباح من ظلمة القبر ... ويكسر برد الموت محيٍ من الحر
أما هاتف يرثي لنفس يقيمها ... ويقعدها قولي لها الدهر لا أدري
إذا التام بطن الأرض يومًا على الفتى ... أيخطو الحمام العقل أم هو يصرع
وكيف تواري نوره مستطيلة ... على حين ما ضاقت به الأرض أجمع

الليل والهم

قمر يحلم في لج السما — باهت اللألاء من طول السهد
ساكن يسخر منه كلما — قام بالقلب حنين وقعد
ما أضل القلب بالليل وما — أضرب الوجد عليه بالسدد
ينفد الليل وإن طال وما — لعباب الهم ذي اللج نفد

الضمير

قد أفعل الشيء لا أبغي به أملا ولا أبالي الورى ماذا يقولونا
همي ضميري فإن أرضيته فعلى رأي العباد سلام المستخفِّينا

الملَّاح المسحور

أصبحت كالملاح صافح عينه ملء النواظر من رواء باهرِ
سحرته من حور البحار خريدة حرب النهى فغدا بغير مناصر
فمضى وقد ألهته عما يتقي من صخرةٍ تردي ويمٍّ زاخر
بيناه يرمقها تعالت حوله لجج على لجج كطودٍ سائر

مخاوف النفس

أقلى الدنا وأخاف فرقتها لشقيت بين المقت والزؤد
وأهاب نفسي أن تكَشف لي وأبيت من أمسي على ضمد
ويَرُوعني يأسي ويفزعني أملـي وأفـرق مـن لـقـاء غد
ولـرُبَّ جوهرة ظـفـرت بـهـا فنفضت منها كف مرتعد
ورجعت أنظر هل بها أثر منها يظل يهيض من جلدي

حصاد عيش

يا حسن وا حسرتا على غرر جودتها فيك بل على سور
أبليت فيك الصبا وجدته والعمر عهد الشباب والصغر
يا ناطق الحسن من لعاشقه بمنطق كالجمال مختصر
يا ضاحك الثغر من لعابسه بمثل سح الغمائم الهمر
يا ناعم البال إن كاسفه موصول خيط الرجاء بالذكر
يا ساكن النفس إن ثائرها مضناك قد صار ميت الخبر
أقعده الهم عن مراغبه كالنسر هاضته رعشة الكبر
أنفاسه زفرة مقطعة كأنما قد أصيب بالبهر
يظل في فحمة الدجى أبدا يرسل حيران رائد الفكر
كيف سعت بي إليكُمُ قدمي لو نال ردًّا مسائل القدر
ترى تريه الأحلام عاشقه مزدهف اللب بيِّن الصور
يا ليتني في الكرى أخوض له الـ ـغيب وأطوي مسافة الهجر
يطلع طيفي كالفجر منفلتا من الدجى في غلائل السحر
أقول قد جاءك المعذَّب في الـ ـيقْظة والنوم مدَّة العمر!
يا زهرة الحسن ما لنفحتها تخطئنا دون شائك الإبر
أليس للوجد والأسى أمد فكل شيء أراه ذا عمر
يا ثانيَ العطف بعض زهوك إ نَّ العيش ورد مرنق الصدر
أهْوِنْ بشيء يلفه كفن وينطوي في التراب والمدر

أدُميةٌ أنت لا حَياة بها ... لضل باغي الحياة في الصور
لا عجبٌ أن تكون ذا عنف ... يا لين الحسن يا أخا الحور
النفس مثل الحياة معترك ... تسطو بها أنعم على أخر

* * *

يا سنة غالها الزمان وما ... غالت سوانا حوائل العصر
ليت زمانًا مضى تُودِّعنا ... همومه العائدات بالذكر
أو ليت ينسى الفتى حَوادثه ... جمعاء حادي الروحات والبكر
يستدبر الحول غير ذاكره ... مستقبلًا غيره بلا حذر
حتى كأن لم يكن ولا طرق الـ ... ـدهر ذراهُ بالصفو والكدر
خلى غبار الأسى لنا ومضى ... عام بغير الأهوال لم يدر
مهنئي بالجديد من زمني ... خلفني العام غير ذي وطر
خلفني متعبًا أئن من الـ ... ـبرح ولا أستقرُّ من ضجري
مغرورق العين غير فائضها ... ما أوجع الدمع غير منهمر
منتفضًا لا أزال ألتمس الـ ... ـشمس وهيهات لا سوى القرر
حصاد عيشي الهشيم وا أسفي ... على الرطيب الرفيف من شجري
ذاك فهل لي في مُقبلٍ عوض ... من مُدبرٍ بالأذاة منحسر
ينشر لي لذتي كما ينشر الـ ... ـصيف بعيد الشتاء والمطر
فتمرح النفس في رياض هوًى ... حوافل بالثمار والزهر
وتسعد القلب زهرة أنف ... أغنى الصبا حسنها عن الدرر

* * *

هات اسقني يا نديم واظمئي ... حتى تراني نسيت مدَّكري
إن أغاني الأسى وإن حسنت ... أرضية يا نديم فاقتصر
أرجعننا صبية مواجدنا ... منطقنا صرخة من الخور
نلتمس النور كل ملتمس ... هيهات والحظ جد معتكر
هل كان ما مر من لذائذنا ... كما زعمناه طيب مختبر
ينبوع صفو النهار مزدحم ... رقراقه بالظلام كالجزر
لكنما الوهم صيقل صنع ... يحيل لمع الزجاج كالدرر

والمرء أعلى بما مضى نظرًا، لـبـعـده أو لـحـاضـر الـغـيـر
لكن صدر الفتى يجيش فما يُسعد كالشعر غير معتسر
كما احتبى بالهشيم ذو عدم لم يُلفِ إلاه في الدجى الخصر

* * *

ذهنيَ محراب حسنِكم وبه صورتكم دون سائر البشر
وخاطري لا يني يرتل كالـ ـراهب آيات حسنِك العطر
لَأبنينْ مذبحًا وأجعل قر باني فؤادي وما انقضى وطري
إذا خبتْ ناره وقصتُ لها عودَ المنى فهو غير ذي ثمر
فاقبل فؤادي لحسن وجهك قر بانًا فقد كان خير مُدَّخري

محمد وعزوز أو الموسيان

عباس إن ابنيَ لي مفزعٌ ... من وحشة العيش ومن نكرِه
يؤنسني في وحشتي هذرُه ... فلا عدمت الأنس من هذره
ووثبه بين ألاعيبه ... وكلها أكبر من قدره
وضربه هذا وتقبيل ذا ... وكلهم ساعٍ إلى بره
وصده طورًا وإقباله ... وليس ما يدعو إلى غدره
يركب ظهري غير مستغفر ... حُب به طفلًا على كبره!
مستهترٌ لا يتقي قالةً ... ولا يبالي الناس من فجره
لكنه فاعلم فتًى طيِّع ... يبرُّني حقِّيَ من شكره
يلثم كفي كل يوم ولا ... يضنُّ بالقبلة من ثغره
أبلغ إلى عزوز أطرابه ... وشكره المدفونَ في صدره
وقل له إن فتى مازن ... يدعوك عزُّوزُ إلى مصره
أيهما بالله يا صاحبي ... أجمل إذ يخطو إلى عثره
ومن ترى يا صاحبي منهما ... بالسامري أشبه في أمره
رباه جبريل على دينه ... وشب مطويًّا على غيره
ولم يفده طول تسبيحه ... في سره طورًا وفي جهره
ولم يغير ذاك من نجره ... ولا أحال الفرع عن جذره
لما غدا موسى إلى ربه ... أضل إسرائيل من فوره
وجاءهم بالعجل مستحقرًا ... أحلامهم يضحك في سره

ومن ترى موسى الكليم الذي ربـاه فـرعـون عـلـى كـفـره
ربـاه فـرعـون فـمـا راعـه إلا نـبـي فـي فـتـى بـره
يـدعـو إلـى الـلـه ورضـوانـه ويـرعـد الـجـبـار فـي قـصـره؟

* * *

لا مـال أخـشـى مـنـه إتـلافـه عباس في المقبل من عمره
ولا أبـالـيـه إذا مـا غـدا يزهد في العيش وفي وفره
يـعـدو عـلـى الـنـاس بـسـوآتـه ولا يصيب الناس من خيره
ولـسـت أخـشـى أن أراه فـتـى قـد وسـع الـعـالـم مـن شـره
لـكـنـمـا أشـفـق يـا صـاحـبـي من أن يجيش الشعر في صدره
من يشتري شعري على حبه بـراحـة الـغـافـل عـن دهـره
من يشتري تغريدتي موهنًا بـغـطـة الـذاهـل عـن فـجـره
من يشتري دمعًا يُحس الفتى جولته لا الفيض من قطره
مـن يـشـتـري نـفـسًـا وآلامـهـا بـثـقـلـة الـمـأفـوك فـي فـكـره
من يشتري هذا سوى مائق يـسـعـى بـرجـلـيـه إلـى ضـره؟

يا أم

يا أم لا تجزعي مما يداهمنا ... من الخطوب ولا تأسي لما فاتا

تمضي المقادير فينا الحكم عادلة ... ويقسم الله أرزاقا وأقواتا

وكل ضائقة تعرو إلى فرج ... وإن لليسر مثل العسر ميقاتا

ضل الذي يرتجى تأخير قسمته ... قد مات كالكبش إسماعيل قد ماتا

الميت الحي

أرسلت إلى صديقنا المرحوم محمد أفندي عبد الرحيم، وقد دعاني إلى الدخول في جمعية «أنصار التمثيل».

ما تصنعون بفانٍ مات أكثره	وجف من عوده المنآد أنضره
إذا نظرت إلى كادي شبيبته	أعطاك كنز عظات فيه منظره
كأنه جثة لم تُلفِ دافنها	أو أنه جدث يمشي وتنكره
فاعذر أخاك ولا تنكر تخلفه	لا يعرف الجرحُ إلا حين تسبره
نعام عين شقيق النفس لو نصرت	أخاك حال ولكن ليس تنصره

الجزء الثالث

معاهدَة غراميَّة

أيها القارئ:

نحن طلاب جديد، مبتدعون حتى في سياسة الحب، فلست بواجد هنا ما يتغنى به الناس من الوفاء والبقاء على العهد؛ لأنهما مما تأباه الطبيعة، والمرء إذا أحب يبدأ بمخادعة نفسه، ومغالطة قلبه، ثم ينتهي بمخادعة غيره.

والوفاء في حياة القلب كالثبات على رأي واحد في حياة العقل؛ كلاهما ليس إلا اعترافًا بالإخفاق، وإن في الوفاء لو تدبرت لشيئًا في شهوة الملك، وما أكثر ما نود أن نرميه لولا خوفنا أن يلتقطه سوانا، وكثيرًا ما يكون الوفاء راجعًا إلى نقص الخيال، أو كسل العادة.

ولقد غبر زمن كنا نحسب أنفسنا فيه أوفياء، ونتوهم مثل ذلك فيمن اتصلت أسبابنا بأسبابهم، أما الآن فقد أرحنا واسترحنا، وإليك المعاهدة وديباجتها:

غنني يا ريح حتى تغمضي أعين الفكر عساه أن ينامْ
وامسحي وجهي وتَغْضِينَ الأسَى واطردي عنِّي شياطينَ المنامْ

* * *

إنَّ في أُذْني أعاصيرَ الشتاءْ وبقلبي وحشة البيد القِواءْ
تصِف العينُ إذا قلبتُها كل شيء ليَ في أسر الشقاء

* * *

فكأني سامع شكوى الكلالِ في خرير الماء جيَّاش الضميرْ
وكأني ناظرٌ قَيْدَ الليالي حول أعضاد الرواسي كالسيور

* * *

أسمعُ الزهرَ وإن كان قتيلا ينبدب الحسنَ بأشجى منطقِ
وسعتْه الريح تنكيلًا وبيلا فقضى والحسن لما يخلق

* * *

ولقد أسمعُ في الليل البهيمْ ضجةَ الموتى وأبناء الجحيمْ
وكهمس الموت في أذن الكليمْ خطرةُ الريح على النبت الوشيم

* * *

يا خليليَّ اخبراني واصدقا هل لليل اليأس صبح ينتظرْ
مرَّ بي الدهر عبوسًا أزرقا كاشفًا عن ناب نضناض ذكر

* * *

هذه كفي على خون العهود! لا على الرعْي؛ فهذا لا يكونْ
إنها دنيا كِذابٍ وجحود ولصدقُ النفس أولى لو يهون

* * *

هذه كفي على وشك الملال كل نار سوف يعلوها رماد
آه لو أسطيع تصديق الخيال أو يكون الجهل شيئًا يستفاد!

* * *

هذه كفي على أن أصطلي بك نارًا دونها نار سقرْ
وإذا لوَّحتني تترع لي كأس مُهل في عتيقات القدر

* * *

نقْليَ السهد عليها والضَّنَى ورياحينيَ — لو تدري — الهموم
شجَّها الدهر بمحذور النوى فنوازيها خَبَال ووجوم

* * *

وألاقيك وتلقاني كما ناطح الموج جلاميد الصخور
مزبدًا حولك مهزومًا وما إن تبالي كيف هاضتْني الوعور

* * *

يا عقيدي طامن الله حشاك! لن تراني شاكيًا وهْي حبالك
أين من طينتنا أين الفكاك؟ أنت إنسان على فرط جمالك

اللصُّ

لمن مال تبعثره أكف   تعوَّدن السؤال على الدهور؟
لحاك الله من لص رقيع   يفاخر بالعضيهة والفجور
وسبحان الذي آتاك مالًا   وعلمك التزمل في الحرير
وأسكنك البيوت وكنت قدمًا   مبيتك خلف أبواب القصور
ورثْت خصاصة وأصبت مالًا   فكيف ظفرت بالمال الوفير؟
أتذكر حين كان أبوك يمشي   وما في كفه شروى نقير؟
يدلل يومه في السوق طورًا   وطورًا في الأزقة والكفور
ويوقر ظهره مولاه حتى   كأن أباك كان من الحمير!
فذا البيت الذي تبني عليه   وأهون دائه ضعة العشير
وليس بقابل رفعًا فدعه   وكن منه على يأس كبير
فما كل الأسافل ساعدتهم   سجايا اللؤم والأصل الحقير
وإنَّ سيادة السوقيِّ — فاعلم —   كمركب ثعلبٍ ظهرَ النسور
وإنك كالنعامة ليس ترجى   لمنفعة وإن تك كالعبير
وأشبهت الطيور ولست منها   لعمرك في قليل أو كثير
وتحسب أنها إما تعاشت   فكل الناس ذو نظر حسير
لقد زعموك إنسانًا وإني   أرى الذلانَ يغضب في أمور
وقد تجد الهلوك لها حياءً   تدانى فيه ربات الخدور
وقالوا لا يزايله ابتسام   وليس المرء تمثال الصخور

فـهـلا عـلـقـوه عـلـى جـدار وحـفـوه بـأنـذال الـعـصـور؟
فكان على صنوف الخزي رمزًا وعنـوانًـا كـأصـبـعـك الـمـشـيـر
أترجو أن تُعَدَّ فتًى شريفا؟ فهذا حين تُطوى في القبور
لأوحشت السجون وإن فيها لـدورًا جـمـة مـن فـوق دور
أتـأنـفـهـا مـنـازل كـان فـيـهـا أخ لك ليس أضرى بالشرور؟
نظارِ فإن حكم العدل يومًا مصيرك للخبيث من المصير
إذًا تلقى جزاءك بعد مطل ويسملك القضاء إلى الغفور
فكلْ رزق العباد وكن صبورًا على سوء المقالة والنكير
وكلْ ما شئت من لحم غريض هنيئًا غير داء في الصدور
ألا فابعث إلى أبويك طرًّا بـألـوان الـمـعـاذر والـقـتـيـر

خواطر في الموت

لا يكاد يصدق المرء أنه سيموت، أو على الأصح أنه سيفقد إحساسه بنفسه وبما حوله، وهو معنى الموت، وقد كنت في صدر أيامي أكاد أجن كلما طاف بي خاطر الموت، أو سك سمعي لفظه، ولكن الأيام كفيلة بتبليد النفس بما تجشمها من معاناة تصاريفها، وبما تشعرها من دبيب الفناء شيئًا فشيئًا، والآن صرت أفكر في الموت كما أفكر في أكلة شهية: لا فزع ولا جنون، وكل ما أنقمه من الحياة والموت جميعًا أني سأموت قبل كثيرين غيري، وقبل أجيال عديدة ستأتي بعدي! وكل ما يحيرني هو استمرار هذه الحياة، التي أعياني طلاب معنًى لها، أو فائدة أو غرض، وهي ستنتهي على أي حال، فما ضر لو قضت «الحياة» نَحْبها الآن في عهدي؟

في هذه الحالة النفسية ترجمت بيتين، ونظمت قصيدتين، فليقرأها القارئ في ضوء هذه الحالة أو في ظلامها!

(١) ليتها …!

بيتان مترجمان عن الألمانية:

أيــهــا الــزائــر قــبــري اتْــلُ مــاخُــطَّ أمــامَــكْ!
ها هنا — فاعلم — عظامي لـيـتـهـا كـانـت عـظـامَـك!

(٢) الذكر

يملُّ الفتى طول الحياة ولا يُرَى على الموت إلا ساخطًا جدَّ واجدِ
ويَطلبُ إما مات أن يَنصِبوا له معالِم تستجدي دُموعَ الخرائد
وتُبدِي جراحاتِ الردى وكلومَه وتَستَمنِحُ الأحياء ذكر البوائد
وينسج بردَ الشعر مسهر جفنه ليسبي حريم الذكر حر القصائد
بلى ذاك دأبُ الناس كلٌّ بنفسه يعرفنا من صادر بعد وارد
وديدنهم حتى تَجفَّ حياتُنا وتخلع ديباج الربيع المعاود
ويَسكُن نَبض الأرض مثل قطينها وتعلق أسبابُ الرَّدَى بالفراقِد

(٣) النساجون الثلاثة

ثلاثة نساجين ثمَّ أراهمو كما راءهم من قبل عهديَ آدم
نعاقبُ أيديهم على النول دهرهم ولستُ أراه غير أني عالِمُ
وما بي إلى أن تُبصر العينُ حاجة أليس سوى ما أنت بالعين شائم
هنالك لو تدري تُسدِّي أكفُّهم وتُلحم بُردًا عهده متقادم
هناك؟ وما قولي هناك؟ كأنما لحيث أقاموا حده والمعالم؟
وفي مسمعي منهم وإن كنت لا أرى وجوههمُ؛ أصواتُهم والزمازم
يحوكون ثوبًا ناصعًا فيه تنطوي — متى عُريت — هذي الدنا والعوالم
من البردِ الخزِّيِّ بعض خيوطه ومن بلوَرَاتِ القُرِّ فيه نمانمُ
ومن نفس الريح المديد خطوطه ومن قطع السحب الثقال مراقم
ألا ليتني في الأرض آخر أهلها فأشهد هذا النَّحبَ يقضيه عالم

إلى صديق

تهنئة بانقضاء عام

أُهنيك بالعيد لا أنني	أرى العيد أروح من غيره
كفى فرحًا أن عامًا مضى	بما لقي المرء في كره
فليت القلوب إذا ما انقضى	تطيب وتعرض عن ذكره
أرى الدهر ما فات لا ينثني	فليت الخوالج في إثره
يموت الزمان ولكنما	تعيش الهموم على قبره
وأقعدني عنك أني مريض	أعاتب دهري على سخره
فهل أنت قابل عذر امرِئٍ	يود التبرؤ من عذره؟

في رثاء بنتٍ لي

هذه قصيدة قديمة ترجع إلى أخريات ١٩١٣م، وقد ضاعت نسختها، ولا أذكر منها غير هذين البيتين:

فقدتُكِ لم تعلق بذهنك صورة وربَّ صغير رزؤه كالأشايب

تقنصك المقدار منيَ غرةً وأقلع عنك الموت دامي المخالب

غَدًا

غدًا تطلع الشمس التي أترقَّب وينجاب ليلٌ لم يقد فيه كوكبُ
وتصبح مني قيد لحظيَ بعد ما تقاذف ما بيني وبينك سبسب
فيافي زمان ظَلْتُ أشبر طولها وما لي سوى رمضائها متقلب
مقيليَ آمالي وهن لوافحٌ ونجميَ ذكرى نورها ليس يلهب
إذا افترَّت الدنيا رأيت خواطري تسوِّد ما يبدو بها وتغيب
وما أنا بالتسويد مغرًى وإنما أطير غبار العيش عني وأسكب
ورائيَ أيام خلعت بياضها وظلَّت ديباجها معي حيث أذهب
لقد أخمدت جري الحوادث وانثنت تذرِّي رمادي كل ريح توثب
وما تضحك الدنيا انبساطًا وإنما لنحسن تقدير الأسى إذ تقطب

* * *

ألفت النوى حتى أراني إذا دنا أصدق قلبي تارة وأكذب
وتخدعني الآلام حتى إخالني سلوت، وتلهو بي الشجون وتلعب
ويغضبني حبي وأرضى احتماله ويا لشقائي حين أرضى وأغضب!
وأُجري لساني مفصحًا ثم أنثني فأعجم ما أعني وقد كدت أعرب
غرائب حالات تظل صروفها بنفسيَ تطفو تارة ثم ترسب

* * *

غدًا تلتقي الألحاظ بعد شرودها وأنشد ما جودت فيك وتطرب

وترنو بعين يلثم الكون لحظها يقربها القلب المُعنَّى المعذب
وأنشق أنفاسًا بفي حاجة لها فمنه لها أهل وسهل ومرحب
وتمنح كفي راحتيك مؤاتيا وترخي عنان الشوق طورًا وتجذب

* * *

سأشدو! ومن يدري إذا كف صادح أيدوي بآذان الحبيب التطرب
إذا ما عيينا بالقريض وصوغه أتعطفك الذكرى علينا وتحدب؟
ويا ليت من يدري أتضحك لاهيًا إذا أطبق الدهر الشفاه وتغرب؟
ويلمع في عينيك نور عهدته إذا ضم جفنيَّ الردى المتوثب؟

* * *

غدًا تشرق الشمس التي كنت أرقب فيا ليت شعري في غدٍ كيف تغرب

خواطر الأرق

ملل النفس

سطت على الجفن بناتُ السهادْ　　فاستلبتْه غُمضَه والرقادْ

فليتها إذ سلبتني الكرى　　أغفت ولم تسهر لهذا الفؤاد!

يا عجبًا من سارق زاهد　　لا يحفل الكنز الذي قد أفاد!

ليلان: ليل صبحُه يُرْتجَى　　وليل نفس ما له من نفاد

أَلِفْتُ وجه الليل من طول ما　　أخلو بنفسي فيه دون العباد

ولم يعد للصبح من رونَق　　في العين إذ يخلع عني السواد

في النفس جرح عزني برؤه　　تُخْفِي الدياجي دمه كالضماد

* * *

قد كنت حَيَّ الحِسِّ يقظانه　　فالآن ما أبلد هذا الجماد!

تمر بي الأيام لا آسِفًا　　لِكَرِّهَا أو راغبًا في ازدياد

لو كنت ما كنتُ قديمًا إذًا　　هشَّم رأسي نطحُه للصلاد!

عينيَ ملَّت كلَّ ذي نضرة　　يأتيه من قبلِ الحصادِ الحصادْ

وملَّتِ الأُذْن افتراءَ المنى　　وضربَها الآفاق دون المراد

وملَّتِ النفس أغاني الأسى　　ولوْبَها حول الأحاظي البعاد

وا حسرتا أنَّى تعيد الرماد　　ذا معمعاتٍ قَدَحَاتُ الزناد!

وا حسرتا أنَّى يُحيل الرُّبَى — إن أَمْحَلَتْ — خضراء نفثُ العهاد!
ترى وجوه الأرض لا ترتضي من أجْلِنا أن نكتسي بالقَتَاد؟
حتى متى أسمع لفظ الوفاء وهل تُرى يجمل أن يستعاد؟
وهل تُرَى أعني به؟ أم له عني معدًّى واسع ذو امتداد
وهل ترى تطفو سفين المنى ونرتقي بين أواذي الدآد؟
ويغتدي عود الهوى مورقًا يُجنى فؤادي ثمرات الوداد؟

* * *

وَدِدْتُ لو تحملني أجنح إليك لما طار عني الرقاد!
آوي إلى ظلك في ليلة أغرت بأجفاني بنات السهادْ

وصيَّة شاعِر

على مثال وصية «هيني» الشاعر الألماني

أسأل القارئ وأعفيه من مئونة الإجابة: ألا يحب المرء لعدوه كل سوء؟

أليس كرهك مصادر شقوتك طبيعيًّا؟

ليس هذا من كرم الخلق في شيء ولا ريب، ولكن خداع الألفاظ عظيم، وما أكثر ما نُمَوِّهُ بها حتى على أنفسنا، وإن كان الأصل أن يغالط المرء غيره لا نفسه، ولكنه يألف الرياء والغش والمغالطة حتى تجوز عليه كسواه، وكرم الخلق صفة لا وجود لها في هذه الدنيا الدنية، ولم يمشِ على ظهر الأرض رجل واحد — عدا الأنبياء والمجانين — يستطيع أن يقول بينه وبين نفسه «أنا كريم الخلق بالمعنى الصحيح».

وخير للناس أن يتقبلوا وصيتي هذه بقبول حسن؛ فإنها قطعة من القضاء، وما أخلقهم أن يشكروا لي أني تحريت العدل في القسمة، ولم أحرم أحدًا من نصيبه الذي يستحقه على عكس المألوف في الوصايا، مذ كتبت في هذا العالم، ولئن شكروا لأزيدنهم!

ستُرخى على هذي الحياة الستائر   وتطفأ أنوار ويقفر سامرُ
فهل راق هذا الناس قصةُ عيشتي   وماذا يبالي من طوته المقابرُ؟
تركتُ لهم من قبل موتي وصية   نظير التي أوصت بها لي المقادر
وهبت لأعدائي — إذا كان لي عدى —   همومي وما منه أنا الدهرَ ثائر
وأوصيت للمحبوب بالسهد والضنى   وبالدمع لا يرقا ولا هو هامر

وبالجدري في وجهه ليزينَه! وبالعرج المرذولِ والله قادر
وبالضعف والإملاق واليأس والجوى وبالسقم حتى تتقيه النواظر
وللشِّيبِ بالأوجاع في كل مفصل وبالثكل في الأبناء والجد عاثر
وكل سقام قد تركتُ لذي الصبا وما كنت منه في الحياة أحاذر
وللناس ألوانَ الشقاءِ وإنني إذا متُّ لا آسَى على من يخامر

هاجِسٌ

يا نفس من لي أن أحقق رغبةً جمحت بنفس الشاعر المتأمِّلِ

ليست تكلفني المحالَ وإنها لثمارُ ذهن مخصب لا مُمْحِلِ

تُوري صدورَ الكاشحين وتَنثَني فتُقر عينَ المخلص المتهلل

أكلَ التبطُّلُ ما مضى وأخاف أن يقتات من أيام عيشي المقبل

ولهلم الثاني

قصيدة ضاعت نسختها، ولا أذكر منها غير هذه القطعة:

مـلـكَ الـمـلـوكِ تـولـت الأحـلامُ   وطـغـتْ عـلـيك بـسـيـلـهـا الأيـام
نَفَستْ عليك جلالَ حِلمك قدرةٌ   فـي راحـتـيـهـا الـنـقـض والإبـرام
لـلـنـاس غـايـات ولـلـمـقـدار غـا   يـات تـضـل بـتـيـهـهـا الأفـهـام
لو كان جرم المرء قدر جلاله   ضـاقـت بِـجـرمـك هـذه الأجـرام
أو كنت أضألَ من ملكتَ قيادة   لـنـجـوت مـرمـيًّـا إلـيـك زمـام
رجل الضئيل على الصفاة وإنما   يـهـوي الـذي تـسـمـو بـه الأحـلام
قامرت بالدنيا وكلفت الورى   مـا لا يـطـيـق فـملّك الـخُـدام
ولو اجتزأتَ لما ورثتَ لما جرت   إلا بـشـكـر هـوانـك الأقـلام
هذا الورى نمل فلا تطلب به   أمـلًا تـنـوء بـبـعـضـه الأعـلام
والناس ليس لهم بغير بطونهم   شـغـل فـخـيـرٌ مـنـهـمُ الأنـعـام

* * *

مـلـك تـمـلـكـه الـزوال فـعـرشـه   بالصدع من كف القضاء حطام
ومعصب فاز الورى من سعيه   بـثـمـاره، ومـضـى لـه الآلام

كانَ لِي

كان لي في العيش ملهًى كلما أظلم الهم جلا عني الظلاما
فطوت عني الليالي حسنه ونشرناه على الدهر نياما
كلما شيَّخ دهري عهده رجَّعته حدة الشوق غلاما
لفني من بعده الهم فما أجتلي فيما أرى إلا رماما

وقفَة في الحياة

وقفت على الجسر الذي يعبر الورى إلى الموت والأشباح حوليَ تخطر
تحدثني نفسي بأنيَ هالك وتوهمني الآمال أنيَ خالد
ويهمس في أُذْني العزاء أن اتئد فإن بُعيد الموت حظك أوفر
فأقدمت هيَّابا وأحجمت حائرا يدافعني عن نفسه ما يراود

إنشاء الشاعر شعره

وربَّ فتاة يملك الطرف حسنها ... تغني بشعر مسترث فتطرب
كسته من الصوت الأنيق حلاوة ... فعاد نضير النور يصبى ويعجب
وثابت إليه روحه وتضوَّعت ... نسائم في بوغائها نتقلب
فكل فؤادي في نعيم ولذة ... وقد يمكر الصوت النديُّ ويكذب
ولكنه مكر شهيٌّ إلى النهى ... خفيف كما شاء الجمال محبب
وأعذب منه الشعر يتلوه ربه ... ويفرغ فيه روحه وهو ينشد
يُحسُّ إذا أجرى اللسان كأنما ... لماضي شجاه كرة وتردد
كما فرت الأرواح بعد نزائها ... وما زالت الأمواج تُرغي وترعد

إلى العقاد

ردًّا على أبيات تعزية

قد تزملت في الهموم فما أخـ ـــلع بـردًا إلا لـلـبـس بـرود
لو رماني الزمان في نضرة العمـ ـر لكنت الجليد جد الجليد
ولكان المصاب كالهزم في الصخـ ـر ولكن قد حطم الدهر عودي
مـا عـلـيـهِ لـو أنـه كـان أبـقـا هـا عـزاءً لـوالـد مـفـئـود؟

النسر المهيض

يا نسر ما للجناح لا يثِبُ وما لعينيك في الثرى أربُ
أخلدتَ للأرض غير مكترث للشمس تذكو والرمل يلتهب
ومِلتَ عن دولة السماء فما يفوتُ منك الرماةُ ما طلبوا
فالعين مفتوحة كمغمضة والريش فوق التراب مختضب
أما يَهمُّ الجناح؟ وا أسفي عليه في الجو وهو يضطرب!
أم هاضَه خفتُه وأوحشَه ملكُ سماءٍ تظله السحب؟
لا عجبٌ إن تُحسَّ وحشتَه فالقُرُّ في الشاهقات مُرتَقب
ويح النفوس التي تطير بها همَّاتُها حين يسخر التعب!

الحمار المُسْتأسِد

النجاء النجاء يا ابن ...   من سيوف الهجاء ذات المضاءِ

لا لعمري وأين تهرب مني   منايايَ طيٌّ هذا الهواء

أنا كالموت مُدرك كلَّ حيٍّ   أتحدَّاه بالأذى والهجاء

أنا كالشمس مدرك ليلك الأسـ   ـود بالنور واللظى الكواء

أتوخاك حيث كنت من الأر   ض ولو غبت في حبال الهباء

لو تخذت الرياح خيلا لما أفـ   ـلت فارضخ لرغبتي وقضائي

أنا أفري أديم عرضك بالقو   ل وغيري بالفعل يفري فرائي

قرب الشعر مصرعا لك تقصيـ   ـه وللشعر مصرع الأشقياء

ليس ينجيك من لساني من تهـ   ـدي من الأمهات والأبناء

... ...

ولئن طرت في السماء فإني   بالغ منك مأربي في السماء

ويمينًا لأجعلنك أحدو   ثة كل الركبان والأملاء

ناشرًا كل سوءة لك تطويـ   ـها دءوبًا وفعلة شنعاء

ومعيدًا من حفرة القبر أشلا   ءك أنتِنْ بهن من أشلاء

بل معيدًا آباء سوء أراك اعـ   ـتضت منهم أحاسن الآباء

فإذا كنت ما زعمت من الإنـ   ـسان أطرقت شدة استحياء

سيقول اللعينُ قزْمٌ يلاقيـ   ـكَ بساقٍ عرجاء ذات التواء

إن أكن قزمة فإن قوافـ   ـيَّ طوالٌ جدًّا بغير انتهاء

كل ذي عاهة ولا شك جبا رٌ فحاذر من رجليَ العرجاء
كان تيمور أعرج الساق فافطن لمعاني العاهات والأدواء
وتأمل مثال ما نحن فيه قصة سقتها عن القدماء
زعموا أن معشرًا ركبوا الما ءَ وحشوا سفينهم بالغناء
ورآهم قزم فنادى مهيبًا أن دعوني أكن من الشركاء
أنا قزم كما ترون فلا تخـ ـشوا زحامي مجالس العظماء
فرضوا وانبرى إليه سفيهٌ حسب الفضل كله في الرياء
ذو لسانين، بل بوجهين: ملَّا ق، ووجه يعيب بالإيماء
يتلقاك خاشعًا باسم الثغـ ـر ويلقي حبائل الحقراء
وإذا ما سمعته قلت سبحا نك ربي ذا أوحد الفضلاء
وإذا ما بلوته لم تصدق أنه ينتمي إلى حواء
ورآه القصير يضحك منه حاسبًا أنه من الأغبياء
وإذا بالسفين جاش بها التـ ـيَّار والقزم آخذ في النماء
وأحس الرفاق بالضيق حتى عالجوا غمرة الردى والفناء
وأخونا القصير يكبر أضعا فًا ولكن عن صحةٍ وامتلاء
وانثنى سائل يقول من العمـ ـلاق إنَّا من كربه في بلاء
قال كنت القصير قدمًا فأما الـ آن فالضخم هائل الأنحاء

* * *

ذا مثالي لو كنت تفهم يا غـ ـرُّ ولكن حُرمت فضل الذكاء
ذا مثال العظيم يظهر في النا س ويمضي بأوفر الأنصباء
يحرم الناس ما ينالون لولا ه فهم من وجوده في عناء

* * *

أنت فينا ظلمت نفسك فاذهب حيثما شئت من وسيع الفضاء
أنت عارٍ من الفضيلة لكـ ـنَّك كاسٍ من الخنا والغباء
أنت خالٍ من كل فضل سوى إحـ ـسان أهل الإحسان والكرماء
تأخذ القرش في إباء كأن الله أعطاك ذرة من إباء
كل شيء تكلفٌ منك حتى مشية حزتها عن الأعلياء

كذب كلها حياتك يا ملـ   ـعون حتى دعواك في الأحياء

لا ترد الأكُفَّ عنك ولا تُحـ   ـجم يومًا عن ريبة أو خفاء

أنت يا شيخ لست بالشيخ حقًّا   غير لفظ أُريدَ لاستهزاء

مثلما قيل «يا عزيزة» للبغـ   ـلة بغيًا تهكم بالنساء!

لِمْ رضوا أن تكون فيهم على رأ   سك هذا الطربوش كالعلماء؟

أنت شيء، بل أنت لا شيء يا هـ   ـذا وإن كنت باديًا للرائي

قسمًا بالإله لو كنت في العيـ   ـن قذاة ما كنت ذا إيذاء

خلق الله كل شيء لمعنًى   غير هذا المخنث المشاء

لمَ ربِّي خلقت هذا وما أر   ضاه عبدًا لأحقر الأدنياء

لمَ ربِّي خلقته وهو لا يحـ   ـسب إلا في ساعة الإحصاء

لك وجه يُذكِّر المرء بالعُهـ   ـر وبالمخزيات والفحشاء

وقَفًا تصفع الصوافع منه   ذا رنينٍ مجلجل في الفضاء

… … … … … …   … … … … … …

… … … … … …   … … … … … …

خبروني يا قوم من أبواهُ   ما نصيباهما من الأسماء

… … … … … …   … … … … … …

… … … … … …   … … … … … …

أنت للنبل والحقيقة والعِـ   ـفَّةِ والفضل أحقر الأعداء

حالك الحال ليس يرضى بها الكلـ   ـبُ فأني غدوت ذا خيلاء؟

لا بل الكلب ذو وفاء وأنت الـ   ـذئب غدرًا وإن تكن كالشاء

عجبًا للزمان ألبسك الجـ   ـبَّةَ والفروَ بعد طول الحفاء

كنت مستفردًا شريدًا فرقيـ   ـت وأصبحت ضحكة الظرفاء

وكذاك الزمان ينعم بالخيـ   ـر على غير مستحق الحباء

فقم آكل هنيئًا وكف   عُوِّدت أن تمدَّ للإعطاء

… … … … … …   … … … … … …

… … … … … …   … … … … … …

لابسًا من شفوف أهل السخاء   راتعًا في رياض أهل الثراء

... ...

وادعيت الذي لو اجتمع اليو م لحيٍّ لعُدَّ في الأنبياء
أدبًا بارعًا وعلمًا وفهمًا وأبًا! ويك يا قليل الحياء
حدث الناس أن برذون سوء طمحت عينه إلى العلياء
فاكتسى جلدة الليوث فهابتـ ـه وحوش الدهناء قبل الشاء
فتوقفنَ مدةً ثم أقبلـ ـنَ يرَوئن في طريق النجاء
واستقرت آراؤهنَّ على أن يتقدمن نحوهُ بالفداء
ثم رتَّبن أمرهن: ففي الصبـ ـح إوزٌّ وظبية للغداء
وتباشرن ثم أشرفن ينظر ن خلال الشجراء والقصباء
وإذا هن راعهن نهيق لم يدع في هوانه من مراء
أنت هذا الحمار لو كنت تدري قد أزحنا عنه ظلال الخفاء
فالتمس غيرنا ودلِّس على من شئت إلا معاشر الشعراء

كأسُ النِّسْيَان

(أدهق الكأس! بل تمهل! إن الماضي هو الذي يظل الابتسامات المفقودة التي ستضيء طريقنا مرة أخرى، فأرق الكأس فلا بد لي أن أتذكر!)

هاتِ اسقني سلوةً عن الذكرِ — أنسى بها ما مضى من العُمرِ!
أنسى بها حاضري ومؤتَنَفي — كأنما يُدرجان في الحُفَرِ
بها أنيم الشجونَ قاطبةً — وأتقي الدَّهرَ كرَّة الفِكَر
هات اسقنيها وخلِّ نشوتها — تمحو الذي في الفؤاد من صُوَر
وخذُ كنوز العقول وارمِ بها — من حالقٍ للرياح والمدر
كم غصت في لجة الحياة فما — فزت بغير الصخور والحجر
وكم نفضت اليدين من حجر — حسبته درة من الدرر
فخلِّ كأس العفاء تسلبني — كنزي وتسحو سلاسل الخبر
ما ضرني لو جهلت ما علمتْ — نفسي وما قد أفادني نظري؟
أو لو نسيت الذي شعرت به — في كبري الآن أو لَدنْ صغري؟
أو لو سلوت الذي كلفت به — على الذي كان فيه من شكر؟
أو لو فقدت الذي فرحت به — وما وجدنا في حدة الظفر؟
أثمَّ صوت تعيد نبرته — إليَّ ذكرى الربيع والزهر؟
أثمَّ عين تثير نظرتها — أحلام نفسي في ريِّق البكر؟
وتنشر اللذة المُضيئة لي — حلمًا من العيش جد مبتكر؟
نعم لعمري في الأرض زينتها — من زهر مونق ومن ثمر

كـأنـهـا لافـتـرار بـهـجـتـهـا ... تـحـير نطقًا لمدمن البصر
واهًـا لـقـمـريِّـهـا إذا اتـسـقـت ... أسـجـاعـه واسـتـراح لـلـسـحـر!
واهًا لسحر في لحظ نرجسها ... يسطو بوقع السجوِّ والفتر!
واهًا لأيكاتها إذا همس الـ ... ـنسيم في أُذْنها مع القمر!
لـكـنَّ أغـصـانـهـنَّ يـا أسـفـا ... بـعـيـدة مـن مـنـال مـهـتـصـر
أصبت في العزم لا الشعور فإن ... أدرت لحظي في الشيء لم يدر
وإن مـددت الـيـديـن خـانـهـمـا ... عزم الشباب الجريء ذي الأشر
يذعرني الشيء كان يجذبني ... لشد ما أستجير بالحذر!
أحمل عبئًا من السِّنين فما ... عسى وراء الغايات منكدري
ولـي مـن الـذكـريـات حـاشـيـة ... في حيث أمضي محشودة الزمر
فـهـاتـهـا أذعـر الـشـجـون بـهـا ... حتى أراها تطير كالشرر!
لِـم لا أبـت الـذي يـقـيـدنـي ... بما مضى وانقضى من العصر؟
إني أراني قد حلت وانتسخت ... مع الصبي سورة من السور
وصرت غيري فليس يعرفني ... إذا رآنـي صـبـاي ذو الـطـرر
ولـو بـدا لـي لـبـت أنـكـره ... كأنني لم أكنه في عمري
كأننا اثنان ليس يجمعنا ... في العيش إلا تشبث الذكر
مات الفتى المازنيُّ ثم أتى ... مـن مـازن آخـرٍ عـلـى الأثـر
فـامـح ادكـاريـه إن ذكـرتـه ... تعين صرف الزمان والغير
وأخلني اليوم من شجاي به ... أستأنف العيش غير منبهر

الغريرة

مـرت عـشـاءً بـيَ فـتـانـة　　يا حسنها لو أن حسنًا يدوم
والـجـو سـاج شـاحـب بـدره　　كأنـمـا أضـنـاه طـول الـوجـوم
فـقـلـت يـا غـادة أذكـرتـنـي　　أحلام عيش نسختها الهموم
أمـثـل هـذا الـحـسـن لـمـا يـزل　　في عالم الشر القديم العميم؟
ألـم يـزل «كـوبـيـد» ذا صـولـة　　يرمي فيدمي كل قلب سليم؟
قالت: ومن كوبيد هذا الذي　　تـذكـره مـقـتـرنًـا بـالـكـلـوم؟
فـقـلـت هـذا ولـد مـولـع　　بصيد أكباد الورى كالغريم
فـتـمـتـمـت عـائـذة بـاسـمـه　　من كل شيطان خبيث رجيم!

* * *

يا بدر هل أبصرتها موهنًا　　بـيـن ذراعـيَّ تـعـدُّ الـنـجـوم؟
أم كنت في ليلة ذاك النعيم　　في شغل عنا بكحل الغيوم؟
يا بدر ما أفشاك رغم الوجوم!

شهداء الغُرْبة

بستان آمالنا لقد ذبلت فيك زهور من آنف الزهر
جنى الردى نورها مخالسة كالنحل شار الرياض في البكر
في غربة لم تكن مقدرة أن تغتدي من فواقر الفقر
ورحلة قد حدت إلى سفر ما بعده من نوًى ولا سفر
أودى بها قبل أن تجرب في الـ ـعيش امتزاج الصفاء والكدر
بل قبل أن تبلوَ العواطف في الـ ـصدر وهزم الصروف والغير
بل قبل رود الصلال جنَّتها ونفثهن السمام في الغُدر
ما قارفوا سبَّة ولا خطموا أنوفهم بالشنار والعرر
ما لوَّثوا روحهم ولا برزوا إلا بوجه يفي بمستتر
أبناءنا كنتمو لنا أملا يعمر قفر المشيب والكبر
كنتم كقوس الغمام في أفق داج مسف الركام والعكر
نبكيكم بالقلوب دامية من كرم النفس لا من الخور
أبى لنا الضعف أنَّ واجبنا ما زال حمل الفوادح الكبر
وأن نروض النفوس مكرهة على الذي تتقي من الضرر
وننفض الكف غير زاهدة من الكثير الجليل ذي الخطر
كما نفضنا اليدين وا أسفا من مدر ضمكم من عفر
كلا لعمري لأنتمو أبدًا في القلب والذهن مائلو الصور
أفواهنا لا تزال منشدة ما كان يصبيكمو إلى الصور

ومـلء كـل الـصـدور أمـتـكـم لا مـلء كـل الـقـبـور والـحـفـر
أغليتموها — لا عاش مرخصها — فـلـم تـوكـلـكـمـو بـمـنـحـدر
يا لـيت كل الـبـنـين مثلكمو حـسـن بـلاء وطـهـر مـخـتـبـر
تـشـب فـي صـدرهـم إذا ذكـروا بـلادهـم نـار حـبـهـا الـغـمـر
كـأنـه نـغـمـة مـؤلـفـة لـكـل حـر الـجـنـان والـوطـر
نـفـوسـهـم مـعـبـد لـصـورتـهـا سامي الذرى قائم على العصر
قـد زلـزلـت كـل أمـة وهـوى كـل رفـيـع مـوطـد الـحـجـر
وراج يـبـنـي الـطـامـح هـيـكـلـه من نقض هذي الخرائب الكثر
لـكـن نـار الـحـيـاة صـائـحـة تـريـد تـمـحـيـص كل ذي وضـر
سـتـذكـرون الـغـداة فـي زمـر قد شيعوها بالنفس لا العشر
قد مالت الشمس صوب مغربها في برد حسن في الأفق مستطر
هـمـت بـتـوديـعـنـا وقـد لـبـسـت أفـواف زيـن لـهـا ومـفـتـخـر
تـنـأى الـهـويـنـا كـأن عـالـمـنـا مـعـهـد لـذاتـهـا لـدى الـصـغـر
وأي جـمـع لـنـا مـتـى انـحـدرت يـخـطـو عـلـى دق طـبـلـة الـقـدر!

أيَن أمُّك

محاورة مع ابني محمَّد

لم أكلمه ولكن نظرتي
ساءلته أين أمك؟
أين أمك؟
وهو يهذي لي على عادته
— مذ تولت — كل يوم!
كل يوم!
فانثنى ييبس من وجهي الغضون!
ولعمري كيف ذاك؟!
كيف ذاك؟!
قلت لما مسحت وجهي يداه
«أترى تملك حيلة؟
أي حيلة؟»
قال: «ما تعني بذا يا أبتاه؟»
قلت: «لا شيء أردته!»
ولثمته!

إلى العَقَّاد

يا موقظي من غفلات الشباب ومرشدي في حيرتي للصواب
وباعثي إن فترت همتي ومنهضي أما كبابي الطلاب
ويا عقاب الشعر يا نسره وأقدس الصحب وأزكى اللباب
أعزز على نفسيَ أن تشتكي شيئًا وأن لا أستطيع الطباب
أعزز، ألا يا ويح أم اللغى ضاقت بإحساسيَ في كل باب!
لا خير في مثلي فيا ليتني دونك أشكو ظفر وعك وناب

* * *

أعداؤنا كثر وهم نبَّح فانهض لهم واعصف معي بالكلاب
أو، لا فدعهم فهُمو زمرة لا ضير من نبحٍ لهم واصطخاب
يهيجهم علمهمو أننا أضخم من أنْ نتأذى السباب
وأنهم ذئبهمو أرنب وليثهم يطلب عون الذباب

* * *

عوفيت يا قرة عين الحجى والشعر يا أزخر موج العباب
لا يوهنَنْ عودك ما يبتلى به فقدمًا شدَّدتك الصعاب!
أقسمت أني واثق موقن أنك ناج ظافر في الغلاب
وما لإيمانيَ من علة سوى شعور مالئ للشعاب
وقد يحس الغيب قلب الفتى كأنما يقرؤهُ في كتاب

رثاء الشَّهيد محمد بك فريد

زعيم الحزب الوطني

شطنَ المنون ملكتَ أيّ قياد   من مُصعَب ما كان بالمنقاد
فأناخ لا يرجى لديه على البلى   سبق إلى الغايات والآماد
وثوى بمدرجة تساوى عندها   ذل الحقير وعزة الأمجاد
نجمان قد غربا: فذا لمنِية   عجلى، وذاك لغربة وعوادي
وا لهفتاه له، يذوب كِيانه   وجَنانه كالكوكب الوقاد
ويشيع فيه الموت وهو مغالب   بردَ الردَى بحرارة القرصاد
يأبى على وقع الردى ودبيبه   أن لا يمدَّ يدًا غداة تَنادِ
ويغالط القلب القريح كأنما   سهم المقادر ليس في الأكباد
وإذا تمثل حَيْنه لضميره   وخروجه من حلبة الأجناد
نزت الحياة به تَنَزِّي ألسنٍ   للنار مُشفية على الأرماد
ويهون أن يَلقى الخصاصة والأذى   والبعدَ عن أهل وعن أوداد
كل يهون عليه إمَّا أنجح الـ   ـمسعى وفكَّ موَثق الأصفاد
لو شاء كان على الورى مستعليًا   بالمال والألقاب والأعضاد
لكن ترفَّعَ عن جدًى لا يُقتنى   إلا بوسم الخُفِّ في الأجياد

* * *

ثَبت البواسل قبل عهدك في الوغى كالطود راسخ قُنَّةٍ ووِهاد
غضبوا لحوزتهم تُباح فزحزحوا أمضى قواضبهم عن الأغماد
وتزاحفوا والنفس ملء شعابها أمل يعد لهم من الأمداد
ومَضوا خفافًا للقاء كأنما أيامه الجلَّى من الأعياد
حتى أماطوا الضيم عن أوطانهم بالجود بالأرواح والأجساد
لكنَّ من يمضي إلى مستنقع للموت لا حلو ولا بِبُراد
وقد استحال الصبح ليلًا حالكًا وخبت مصابيح الرجاء الهادي
وانفضَّ كل مُناصر ومظاهر عنه فلا ذو نخوةٍ أوفاد
وإذا أدار العين لم تأخذ سوى طول الطريق إلى مدى الأبعاد
في حيثما جالت فثمَّ حيالها مرض النفوس يفتُّ في الأعضاد
ويقول للنفس اثبتي ولوَ انني وحدي أصاول جحفل الأضداد
هذا الشهيد، وما عدتك صفاته يا أوحد الأبطال والأنجاد

* * *

إلا يكن شرع القنا يهفو بها عذب البنود لغارة عُصْواد
فهو الغمامة لم تزل تهمي إلي أن أقلعت عن أرضنا لنفاد
أحيتْ مواتَ الأرض بل قُطانها من بعد ما كانوا من الأصلاد
في كل نفس نفثة من روحه حَرَّى تحفِّزها من الأيقاد
وصدًى لنغمة نفسه متوثب وثب الكواسر عن ذرى الأطواد
لهفي عليك جملت وحدك صابرًا ضغط النجاوي المرة الأنكاد
وعلى جبينك صورة الأمل الذي أودى ذواه بنضرة الأعواد
ولقد تبسم والكيان مزلزل والقلب يقدح فيه كل زناد
وا هولَ ذلك من صراعٍ في الحشا صعب على الطين الضعيف الكادي

* * *

ما كانت ممن لا يزال يقيمه طورًا ويقعده على الأقتاد
إيجاسه خوف الأُلى يخشونه من بطشه المتواصل الأزباد
كلا ولا ممن يكظ فجاجه نفر من الأعداء والأوغاد
لا الصبح يقربه الأمان ولا الدجى نوم القرير وغطة الكداد

صاح الضمير به فليس لقلبه أو عينه منجًى سوى التسهاد
بل هذه الأرواح عرشك فوقها والحب تاجك طي كل فؤاد
لكن قلب الشعب — ويح رجاله — طوع الجواذب لين التقواد!

* * *

وضع الزمان على جلالك ختمه وأثابك التخليد في الأخلاد
لا يستطيع عداك طيَّ صحائف نشَّرتها أو طمسَها بسواد
ما في حياتك لوثة موكولة لتسامح الحسَّاب والنقاد
لا للكبول خلقت أو لمهانة فتضيم ذكرك ألسن الأحقاد
وبذلت أنفس ما يضن به الورى طرًّا من الأعلاق والأعتاد
حتى الحياة أذلتها متوخيًا بالبذل صون كرامة الأجداد
لا الضنك خفت وأنت ضنء أماجد كلا ولا التشريد عن أولاد
مثل الضحية أنت فينا بارزًا بوركت من بر بأكرم واد
أيطاول الشجر السماء وإن تكن أعراقه في الأرض كالأكباد
ويصارع الجبل الرياح وعصفها والسحب من متروِّح أوغاد
وينام هذا الناس ملء جفونهم وعليهم الآفاق بالأسداد؟

* * *

قد تسقط الأزهار عن أغصانها ويقر قلب النسر وهو يرادي
وترى النجوم الزهر من أفلاكها تهوي، من الآباد في الآباد
كل يلم به العفاء وهل ترى شيئًا يدوم على الزمان العادي؟
لكنما ماضيك أبهر روعة من أن يضيع كصرخة في واد
لو لم يكن منا سواك مجاهد لكفى به شرفًا وفخر بلاد!

ليلة وصباح

خيَّمَ الهمُّ على صدر المشوق
يـــــا صـــــديــــــقــــــي!
وبدتْ في لجة الليل النجوم
ومضى يركض مقرور النسيم
وثنى الزهر على النور الغطاء!
عـــــم مــــســـــاءَ

* * *

هاتِ لي ... ماذا؟ ألا هاتِ الدواة
«الـــــــــــــــــدواة»!
أوَلم يغفُ مع الليل الصدى؟
فليكن لي سمرًا تحت الدجى
نتداعى في حواشيه سواء
عـــــم مــــســـــاءَ

* * *

يا صدى إن بصدري لكلوما
وهـــــمـــــومــــــا
مدرجات فيه لكن لا تموت

كلما قلت قضت رهن السكوت

صحن بي من كل فج يتراءى
عـــــم مـــــســـــــاءَ

* * *

سكن الليل فأترع لي الدواة
وا أســـــــــــــاه!
أيـن لا أيـن تـولـى قـلـمـي؟
«أكـلـتـه الـنـار نـار الألـم»
«كلَّه» كلا! لقد أبقت ... هباءَ!
عـــــم مـــــســـــــاءَ

* * *

هات لي ... آه على قيثارتي!
«شـــــــارتـــــــــي»!
أوَلـم يـبـق بـهـا مـن وتـر؟
خـافـق بـذكـريـات الـصـغـر؟
ما لها تجحدني في اليوم الأداء؟
عـــــم مـــــســـــــاءَ

* * *

طلت يا ليل فهل ضل الصباح
فـــي الــــبــــطـــــاح؟
أيها المنفي عن حلم السماء
لم يتهْ صبح ولا طال مساء
فاغتمض! لا تملأ الدنيا عواء
عـــــم مـــــســـــــاءَ

* * *

«الساعة الأولى من النهار تتكلم»
ما لـه يرعد حتـى فـي الـمـنـام
لا ســـــــــــــــلام
قم فإن الحلم ذو عصف شديد
بالذي تطويه من صحف الوجود
من رأى حلمك هذا ما استراحا
عــــم صــــبـــــاحَـــــا

الدَّهر والحَياة

أتعرف الحب؟ وتدري المنى؟ والشجو؟ هاتيك بناة الحياهْ!
كذلك الدهر له صِبْيةٌ الأمس واليوم وطفل الغداهْ

* * *

حدثني المقدار يومًا، وما أبصره لكن أرى ما قضاه
قال: وكان الدهر خِدنًا لها ولم تكن تعرف خدنًا سواه
وشب أبناؤهما بينكم على وفاء قد بلوتم جناه
ثم أراد الدهر تزويجهم وكان هذا ما تريد الحياه
فناديا أن شاوروا قلبكم ولْيختر الواحد منكم هواه
قال «غد» للأمس في جرأة أكبرنا أنت فماذا تراه؟
فقال كلا! إن عهدي مضى و«اليوم» ما زال وريقًا صباه
فليتقدم ولأكن آخِرًا فأنتما أولى بما اخترتماه
فعانق «اليوم» شباب «الهوى» وامتد ثغر «الغد» يبغي «مناه»
وزُوِّج «الأمس» «الأسى» مكرهًا ولم يزل يرسل واهًا وآه

* * *

تنهد الدهر وناجى الحياة «يا أخت هل وافق قطب رحاه؟»
قالت: «وهل للغد غير المنى؟ أم هل يؤاتي الأمس إلا شجاه؟»

تحيَّة البطل

(عودة سعد زغلول بعد غياب عامين لم يشهد فيهما الحركة المصرية.)

قد نفضوا عنهم غبار القرون! فانظر! أما تعرفهم يا ظعين؟
كيف وقد ضحيت من أجلهم — أو كدت — بالنفس التي لا تهون؟
همو بنو مصر التي لم تزل تُخلف من كل الخصوم الظنون
سائل بهم قلبك ماذا الذي قواه في يوم الخطار المبين؟
قمت فكانوا رجلًا واحدًا خلفك حتى ذهل المنكرون
آتوك نصرًا لم يزل سيله يقتلع الأسداد أنى يبين
لا الحرب يبغون بآثامها ومجدها المغري الورى بالجنون
لكنما يبغون أن يصدعوا قيودهم عنهم برفق ولين
ويخلعوا النير بأيدٍ لها من قوة الله معين مكين
ويبتغوا في أرضهم معبدًا للحق والرحمة للعالمين

* * *

السلم لا الحرب هنا أرضها والحق والحب الوريف الغصون
وللذي صورنا وحده نطامن الرأس ونرخي الجفون
ما بيننا مَن لم تنرْ قلبه حرارة الحب ونور اليقين
ما بيننا مَن لم يرد سمعه وعد السماوات التي لا تمين
فينا كسير القلب وا حسرتا الكاسف البال وفينا الغبين
ومن عدت حرقة أحشائه أنداء عطف النفر الناعمين

ومن أغامت ذهنه شقوة   فهابه نجم يضيء الدجون
لكنما ما بيننا يائس   من قومه واليأس صنو المنون

* * *

يا سعد ما زلت برغم السنين   أصلب عودًا من فتيٍّ متين
لا بل برغم العنت المنتحي   كل عظيم مالئ للعيون
عقدت أخراك بأولاتها   ولم يكن وعد الصبا بالمخون
وفي الورى بعران سوء ترى   هديرهم يطويه حشو البطون
لكنك النجد الذي لم يزل   يغني لدى الجلى غناء المئين
ثبت فما يطفئ من بأسه   طغوة عات أوجدى مفضلين
ذو نخوة ما إن يني همه   حرية الشعب المهيض المهين
ما أبهر النفس التي لا تلين   لطول غمز الدهر أو تستكين!
وكلما زج بها في الأتون   عادت كأنْ لم تك شيبت بطين
تمضي إلى غايتها في سكون   كأنها بعض القضاء المحين
كأنما الأمر لها في الشئون   والدهر في طاعتها مستلين
فالحادث الأكبر إما جرى   فما سوى تدبيرها يستبين
والدهر في قصته حاذق   يملي ولا يبدو مع اللاعبين

* * *

ما زال موج العيش يرغي على   سواحل الآباد ذات الحزون
والظل كالعهد به يرتمي   على زواليَّة رمل القرون
والركب ماضٍ لا يواني الخطى   إلا ليستلحق مستوطنين
كلٌّ كما كان، سوى أننا   حلنا فما يعرفنا الأقربون
وحق تغيير لذي غلة   يحاول الحوض الذي يمنعون
يا سعد فانظر كيف لمع العيون   ولو بها حولك أنى تكون!
هن مرايا أنفس أصبحت   معقودة بالعيش صافي المعين
هل صيحة تسمعها خلتها   تندُّ عنَّا معشر المهملين؟
هل كنت قدري أننا هكذا   تالله ما أخطأ فينا يقين؟
والمرء قد يزهى بآماله   من قبل أن يبلغها أو تحين

مــن ذا لــه جــد كــأجــدادنــا ذكرهمو في الأرض طود ركين؟
مــن الــذي يــؤمــن إيــمــانــنــا بـالـحق في عـالـم هـذا الـفـتـون؟
ومـن سـوى قـومـك قـد أقـسـمـوا أن ينصر العدل ولو بعد حين؟
وأن يــروا أرضــهــمــو حــرة كـالـريح لا يـحرم منـها قطـين؟
وسـاحـة لـلـسـلـم لا لـلـوغـى يـكر فـيها كل عـقـل رصـيـن؟
فـإن نـنـلـهـا فـلـنـا فـخـرهـا أو — لا — فلا نحسب في الجامدين
فـمـا لـنـا لا تـزدهـيـنـا الـمـنـى بـقـدر مـا نـحـيـا لـهـا عـامـلـين؟

* * *

أمــا لــنــا بــوق نــحــيــي بــه من أخلص المسعاة للقاعدين؟
أمـا سـوى الـشـكـر لـديـنـا لـه وهل يفي الشكر بدين المدين؟
حـتـى ولا أسـلاب شـعـب أمـيـن عـاد ومـا يـسـطـيـع غـيـر الأنـيـن؟
ألـم يـعـد فـي الأرض شـعـب لـه ما يغصب الضاري الألد المرون؟
وهـذه الـدنـيـا مـراح لـمـن تـراه فـيـهـا بـالـورى يـسـتـهـيـن
عـذرًا إذنْ فـالأرض قـد أقـفـرت من كل ما قد تستبيح اليمين
وحـسـبـه الـيـوم عـلـى كـرهـنـا أنـا لـمـسـعـاه مـن الـشـاكـريـن
وإنــنــا نــلــقــاه فــي عــوده بـروح مـجـد الـسـلـف الأقـدمـيـن
شارفتمو الفصل فما ترتَئون؟ ومـا تـرى آثـرتـمـو لـلـبـنـيـن؟
نـاشـدتـكـم مـا أنـذر الـمـشـفـقـون ومـا احـتـمـلـتـم في طـوال الـسـنـين
وبـالـمـنـى أضـواؤهـا يـرتـمـيـن عـلـى ديـاجـيـر الـزمـان الـدفـيـن
لــنــخــتــر الــعــز بــلا كــدرة فـيـه فـبـعـض الـعـز هـون دهـيـن
أو لا فـإن الـفـوز لـلـصـابـريـن ووقـفـة الـدهـر رجـاء شـطـون!

العِراك

زادك الـلـه رونـقًـا ورواءَ   ورعـى الـلـه حـسـنـك الـوضـاءَ
أيـهـا الـسـاحـري وأبـقـاك لـلـعَـيـ   ـنين والـقـلـب صـحـة وضـيـاء
وثـنـى عـنـك كـل عـيـن، إذا جـا   ل بـسـوءٍ حـمـلاقُـهـا، عـمـيـاء
وتـخـطـاك كـل سـوء وجـازتـ   ـك الـعـوادي وصـادت الأعـداء

* * *

قـالـت الـنـفـس إذ رأتـنـيَ أدعـو   الـلـه جـهـدي ولا أسـيء الـدعـاء
«كـم تـمـنـيـت أن تـريـد لـيَ الـخـيـ   ـر وتـسـقـي قـبـل الـرواء الـظـمـاء!
أغـرامًـا بـالـنـاس وهْـمُ كـمـا تـعـ   ـلـم سـوءًا وخـسـة وغـبـاء؟
عـبـث ذاك كـلـه ومـحـال   فـاعـرف الـحـق واجـنـب الأهـواء»

* * *

قلت: «ما لي لا تطلب الحسن عيني   مثل ما تطلب الصدور الهواء؟
إن لـلـحـسـن سـحـره مـثـل مـا لـلـ   ـمـال والـجـاه والـذكـاء سـواء»

* * *

قالتِ اذكر لواعجًا كنت تصليـ   ـنـي لـظـاهـا عـشـيـة وضـحـاء
أذكـر الـجـنـة الـتـي فـقـد الـشـيـ   ـخ أبـونـا بـحـبـه حـواء
أذكـر الـلـعـنـة الـقـديـمـة مـن آ   دم فـيـنـا ولا تـزدنـا شـقـاء
وكـفـى بـالـحـيـاة والـسـعـي والآ   مـال والـهـم والـشـكـوك عـنـاء

قلت: «ماذا أصير إن حرم الحـ ـبَّ فؤادي وبات منه خلاء؟
انظري! هل ترين إلا جمالًا وجلالًا لا يعرفان انتهاء؟
جعل الله كل هذا لمعنًى أم عناءً وباطلًا وهباءَ؟
لا تقيسي الحياة بالذاهب الغا بر منها فتشبهي الجهلاء
إن للشاعر الكبير لعينًا ذات لحظ لا يشبع استقصاء
يتوخَّى بعد السماء سماء ويُريغ الآبادَ والآناء
أُوتِيَتْ روحه اليقينَ فلجت إن ذا الشك مقصر لا مراء
كلما شيَّخ الزمان عهودًا رجعت روحُه لهن الصباء
أبدًا يجتلي شباب زمان وسواه الكهولة الشوهاء
يجتليها مطلولة الفجر ريًّا تزدهي اللب نعمة ورواء
ويراها عذراء ما فض عنها ختم سرٍّ مصونة عصماء
لم تزل عنده وإن قدم الدهـ ـر عليها؛ جديدة عذراء
ويرى بالضمير خيرًا عميمًا خلل الشر واضحًا لا خفاء
وإذا أحرقته منها هموم قدحت منه همة ومضاء
أفمن كان شأنه ذاك يخشى شربة في حياته كدراء؟
أين كالحسن باعث لك يحتـ ـثُّ ووحيٌ يُحيلنا أنبياء؟
خبريني عن نعمة كانت النعـ ـمة صرفًا ولم تفدك عناء؟»

* * *

قالت: انظر أعماق نفسك هل تبـ ـصر فيها بقية أو ذَماء؟
من أبى أن يقيس غورَ قواه حمَّلتْه حياته الأرزاء
قد أشابتني الليالي وشيب الـ ـنفس أدهى من شعرة بيضاء
وكأني الزمانُ عمرًا وإن كنـ ـت بسني صغيرة عجفاء
ما عسى صبر ذي الكلال على الإعـ ـنات والبرح ضحوةً وعشاء؟
نضب العزم — والمنى ثرة العيـ ـن — لعمري ما أسوأ القرناء
شيبة العزم مع شباب الأماني؛ أضعيف يظاهر الأقوياء؟
دون ما تبتغي حوائل ضعف فاجعل العزم والمنى أكفاء
أيها الطين ما ترى بك أبغي لست فيما أرى لشيء كفاء

إن طلبت السماء قلت ليَ الأر ض أو الأرض كنت لي عصَّاء

حرتُ حتى الذي أفكر فيهِ لست أستطيع صوغهُ والأداء

كل حب إلى ملال — وللحسـ ـن عفاء — وما أمض العفاء!

خل عنك الأحلام واسع لداعي الـ ـعقل يا من لا يستجيب دعاء

إن للقلب جمحة فاجعل العقـ ـل لجامًا يغالب الغلواء

ما لنا ننفق الحياة يمينًا وشمالًا مستعجلين الفناء؟

أضمنَّا عمرًا سوى ذا جديدًا؟ أم وجدنا لعمرنا رفَّاء؟

عشت ما عشت لاهيًا تطلب الحـ ـب وتعتدُّه لديك غذاء

فتأمل كم ساعة عاشها عقـ ـلك هذا وأطرق استحياء!

حولك الأرض والسماوات تغري كل عقلٍ مفكر إغراء

إنما كان حق عقلك أن يصـ ـقل لا أن تسومهُ إصداء

تطلب الحسنَ دائبًا لتغنِّيـ ـه كما غنَّت الحمام الضياء

مسندًا صدرك القريح إلى شو كة ورد لا تخطئ الأحشاء

إن يكن ما زعمت حقًّا فأولى أن تحاكي النسور لا المُكَّاء

ترفع الطرف مثلها في سماء الـ ـفكر حتى تصافح الجوزاء

أيُّهذا المسكين مهلًا رويدًا واسمع الدهر يضحك استهزاء!

أنت عبد الحياة تبكي وتشدو بغناء لا يعجب الطلقاء

أبدًا لا تزال تبكي إسارًا أو تلهِّي في سجنك الحوباء

ترسل الصوت باكيًا فيؤديـ ـه صداه مقطَّعًا أجزاء

مثلما صاح في الظلام صبيٌّ كلما جد خوفُه الظلماء

ومع الرق والإسار فقد تحـ ـلم — كالحر — بالخلود اجتراء

وتقول الجمال وحي، وما الحـ ـبُّ سوى سلم ينيل السماء!

ليت شعري ألَلأزاهير وحي ليس يألو أنفاسها إذكاء؟

كيف تغدو الأشجار رفَّافة الغصـ ـن عليها ثمارها فيحاء؟

أين وحي الينبوع فاضت به الأصـ ـلاد فانساب ماضيًا حيث شاء

إنما أنت كالرياح إذا هـ ـبَّت سواء لا تملك الإعفاء

تتغنى ولست تدري لماذا؟ هكذا شاءت الحياة الغناء

وتصوغ القريض عفوًا وإن كنـ ـت تظن القريض كان احتفاء
غرَّنا أنَّنا نُحس فخلنا أن لنا في حياتنا أن نشاء
إن نكن صادقين فيما وهمنا فلنُبدِّل بأساءنا نعماء
كم يريد الفتى ويُحرم ما يطـ ـلب بل يُحرم المنى والرجاء
نحن ألعوبة بأيدي الليالي لا نلاقي من صرفها إبقاء
يتقاذفْننا ويسخرْن منا ويكلفْننا الرِّضَى والبكاء
ما تبالي الأيام ثارت بنا هو جاء أم غضَّة النسيم رخاء
فتراها آنًا تقص جناحَيـ ـنا وآنًا تنميهما إنماء
وأراها لما رأتنا قرودا أوسعتنا في عيشنا إزراء
عابثاتٍ بنا يخاطبن منا أغبياء قد أشبهوا الببغاء
حفظوا باللسان ثم تحاكوا كلمات من المعاني قواء
لا يحسون صدقها، بل يحسو ن رنينًا رأوا به الإكتفاء:
الهوى والخلود والوحي والعز م جميعًا والهمة الشماء!
إيه ما أرخص العقول علينا إن حشونا عقولنا أسماء!
لا بعقل ولا بحكمة طبع لج منا من لج أو من فاء
مغريات بنا الأمانيَ والإعـ ـجاب والخوف والهوى والرياء
واقفات بنا مواقف سخر توسع الكبر والغرور اكتواء
بين ذكرى تقتادنا للأماني وأمان تفيدنا الكبرياء
نحن أهل لكل هذا من الدهـ ـر وإن كان صرفه كوَّاء
إن للحق في الحياة على النفـ ـس لحقًّا لا يقبل الإغضاء
قد تناولننا الليالي بإحسا ن وبرٍّ يستوجبان الثناء
وهبتنا العقول وهْي عتاد فجعلنا إهمالهن الجزاء

* * *

قلت: يا ليتها إذًا حرمتنا نعمة لم نَعُدْ بها أغنياء!
ما عليها لو أنها تركتنا أبد الدهر نرتعي الأكلاء؟
فرعينا ملء البطون نباتًا ونشقنا ملء الصدور هواء
ووقتنا «غد» السنين فما جا ءت سنون ولا «مضى» ما جاء

ثم أهدت لنا البلادة كيما   نتقي باكتسائها الأسواء

فحيينا بموتنا جهلاء   ثم متنا ولم نكن أحياء

ولبسنا الحياة في كل حال   جاهلين انتهاءَها والبداء

وتهاوت بنا البلادة أن نر   فع إلا لواحظًا عمياء

كل وجه تلقاه تقرأ فيهِ:   البسوا الجهل تحشروا سعداء

لكنِ الله قد أفاض علينا   «نعمة» الحس فاستلبنا الهناء

إيه هيهات ينفع العقل أو يبـ   ـدلنا من سمومنا أصباء

وعلى أن سابحًا ناوأ التـ   ـيار أو شارعًا عليه، نجاء

صنو من أسلس القياد وخلَّى الـ   ـماء يرمى بشلوه الأرجاء

لو ترى الماء ناطقًا قال: «سيا   ن مطيعي وتاخذي أمطاء

بل سواء عليَّ نازعني الركـ   ـب فؤادي أم جشموني الجفاء

لا أحس السنين تحدى ولا الأسـ   ـماك؛ شتى تغازل الأحشاء

لا ولا الريح إذ تثور ولا البر   ق ولا الرعد لا ولا الأنواء»

قد رزقنا الإحساس دون سوانا   فعدمنا في عيشنا النظراء

وجدير بمن تميز عن كـ   ـل نظير أن يحمل الأعباء

نحن أحيا الأحياء طرًّا فلا كـ   ـنَّا إذا ضاعت الحياة هباءَ

فلتقيموا السدود دون مجاري الـ   ـقلب ولتوقفوا بهن الدماء

ذاك خير من أن نعود صخورًا   لا تبالي ما حولها، صماء

لو نحس الحياة بالعصب العر   يان ما كان ذاك منا كفاء

كل شيء يسبي إذا نظر الفكـ   ـر إليهِ ويكتسي لألاء

فإذا ما أجلت عين التجاريـ   ـب استحالت وجوهه سوداء

لا تطيلي تخويفيَ الحب يا نفـ   ـس فما أستطيع عنه التواء

وهبيني كما زعمت أسيرًا   يتقاضانيَ الزمان الولاء

وهبيني مطامعي جامحات   أوسعتني عن غايتي إقصاء

وهبيني سيدرك الصبح عندي   ظل ليل يطاول البرحاء

فاذكري أنها المقادير تجري   كيفما شئن هن فينا القضاء

قلقي حجتي فما لي قرار   ولياليَّ ما تمل الحداء

فــيَّ أيــد وقــوة فــإذا لــم ألف لي منفذًا رعيت البلاء
هل تطيق النسور أرضًا وما زا ل جناح لهن يطوي الفضاء
ظلم اللهَ من تراه لما يمــ ــنحه الله خازنا خبَّاء
وتعالى الإله عن أن نراهُ مسرفًا ليس يحسن الإيلاء
أتريدين نيمة ليس فيها حلم في غضونها يتراءى
فكأنا دمى حياة تراءت فوق أجداثهن أو تلقاء
عمرك الله هل رأيت بني آ دم إلا يستروحون عناء؟
قد طُردنا من الفراديس قدمًا وكُتبنا في أرضنا أشقياء
فلنا العيش ظله راكد الثقــ ــل صباحًا وغدوة ومساء
في بساتين شقوة يتهدلــ ــن بأثمار حسرة سوداء
تتداعى على ذؤاباتها الغر بان والبوم — لا القماري — وِلاء
فرشت أرضها همومًا وأشجا نًا كأرض الجحيم لا حصباء
وامترى النحس من أديم صفاها الــ ــمهل لا ماءها ولا الصهباء
فإذا هبت الرياح عليها أنشقتنا الأوصاب والأدواء
هذه حالنا على كل حال أبدًا نرتعي الأذى لا المراء
شؤم ذنب جناه آدم بل حــ ــوَّاء بل من أغراهما إغراء
قد ثكلنا سعادة العيش لما رزق الشيخ آدم الأبناء
نحن يا نفس والمقادير صنوا ن جرى الخُلف بيننا ما شاء
حبذا هذه السعادة لو كا نت لحيٍّ، ولم تكن جوفاء!
حبذا الزهد في الحياة لوَ انَّ الـ ــزهد فيها يبرِّح الغمَّاء!
وأرى خاطب السعادة والرا غب عنها في عيشه عُدَلاء
و«أبيقور» لو علمت ك «زينو» قد أصابا — كلاهما — الإخطاء
ذا كهذا يأسًا من الخير طرًّا وفرارًا من نفسهِ ونَجاء
ماتح الصخرِ مخفق أي إخفا قٍ كمن طلَّقت رشاه الدِّلاء
وسواء من قال ليس سوى الأر ض ومن قال لن تنالوا السماء
قال «زينو» ازهدوا فأنى تهالكــ ــت فما إنْ أفدت إلا الظماء
وطلبت اللذات طرًّا فما ألــ ــفيت فيها لذي حصاة غناء

فعسى تحسم الزهادة داءً   لم أجد في الرياد منه شفاء
ويرى صنوه «أبيقور» أن الـ   ـزهد في العيش لا يسيغ الشجاء
ويرى أوجب الأمور على المر   ء تناسي الهموم والتأساء
ولمَن يرفض الحياة خليق   رفضه أن يزيدهُ إحماء
والذي يحسب الزهادة منجًى   يخسر النفس؛ طيبها والرضاء
كيف تُجنى سعادة العيش لم تمـ   ـدد لأثمارها الأكف اجتناء؟
أم تعالت بها استِحالتها أن   نبتغيها؟ لطاش ذاك ارتياء
ما علينا لو أفلتت وقنصنا   — دونها — كل متعة غراء
فاهربوا من نفوسكم أيها النا   س وسوسوا ذكاءها إطفاء
بلدوها فإن شر خطوب الـ   ـدهر أن ترزق النفوس الصفاء
ينعم الأبله الغبي ويشقى   كل من أوتي الحجا والذكاء
واللبيب اللبيب من يمحض النفـ   ـس مراحًا — لا راحة وعفاء
والسعيد السعيد من يقهر النفـ   ـس ويُنضي مطيَّها إنضاء

* * *

قالت النفس: إن للنفس فاعلم   لخريفًا كدهرها وشتاء
حين تنضو الأيام أوراقها الخضـ   ـر وتُذوي أغصانها إذواء
حصدت خيريَ الليالي وسامت   أيكي الوارفَ الجنَى إعراء
تتوالى الفصول من غير ميعا   دٍ علينا وقد عدمنا الوقاء
ويئوب الربيع يعقبه الصيـ   ـف ولكن ما إن نصيب دِفاء
كل يوم يزداد صيفيَ نقصًا   ويقل الربيع عندي ثواء
وتُولِّي صوادحي عن جنابي   مسرعاتٍ وكنَّ قِدْمًا بِطاء
مات عندي الصبا فدعنيَ أنسج   لشبابي الأكفان والأسجاء
فرط حرصي على أزاهير عيشي   زاد نوارها بكفي ذواء
وغدا الصدر للزوافر غارًا   لا تؤدي أقباؤه الأصداء
أترى أن أعود للروض أدرا   جي وأجني أزهاره الزهراء؟
خلِّ عني بالله هذا لغيري   أولسنا براحة خلقاء؟
وتمهل وانظر أكفي بميت الـ   ـزهر — مما قطفت قدما — ملاء!

أغِـنـاء تـريـد مـنـي ومـا أحــ ـــسـن إلا أن أزفـر الـصُّـعَـداء!
أيــهــا الآمــري بــأن أتــغــنــى كل زهـراء تـسـتـبـيك اسـتـبـاء
مـا بـهـا حـاجـة إلـى صـدحـاتـي فـتـعـانـي «لـسـحـرهـا» الأصـغـاء
لـم يـرعـهـن دهـرهـن ولا أشــ ـــبـع أنـفـاسـهـن إلا اسـتـواء
لـيـس تـدري عـيـونـهـا ألـم الـدمــ ـــع إذا لـزَّ بـالـجـفـون إبـاء
لا لـعـمـري كـفـى بـهـذي الـقـمـاري ساجعات، وحسب نفسي التظاء
أجـمـيـل إثـقـال شـعـرك بـالـدمــ ـــع لـعـيـنـين لـم تـذوقـا الـبـكـاء؟
أجـمـيـل تـحـمـيـلـه عـبء عـمـر لـغـريـر يـشـكـو لـنـا الأنـداء؟
أجميل إزعاج ألحان ذي الحســ ـــن بـشـعـر مـلأتـه ضـوضـاء؟
أنتقامًا أردت من حسن ذي الحســ ـــن بـشـعـر مُـروع واشـتـفـاء؟
أمـن الـعـدل أن تـحـيـط بـأنـقـا ض حـيـاتـي جـمـالـه الـوضـاء؟
كـيـف أشـدو لـه وبـركـان صـدري ضـربـت نـارُه عـلـيَّ خـبـاء؟
كـيـف أشـدو لـه وزلـزال يـأسـي مـؤذن أن يُـصـيـرنـي أشـلاء؟
أم تـرى الـشـعـر يـسـتـطـيـع إذا مـا جـاش أن يـحـكـيَ الـطـيـور أداء؟
صـدحـات الأطـيـار فـضـيـة الـرَّ نَّـة يـنـفـي صـفـاؤهـا الأقـذاء
لـكـن الـشـعـر لا يـزال يـشـوب «الــ ـــفـكـر» فـيـهِ حـنـيـنـه والـنُّـزَاء
مـلـت الـعـيـن أن تـرى كـل يـوم غـصـنًـا يـانـعًـا يـعـود أبـاء
مـلـت الأُذْن كـل لـفـظ حـبـيـب تـفـتـريـه الـمـنـى عـلـيـهـا افـتـراء
ومـلـلـت الـرجـاء فـي حـالـتـيـهِ حين يطغى أو ينثني بي انثناء
لـست أبـكـي عـلـى عـهـودي؛ فـسـيَّـا ن دنـا ذكـرهـا بـهـا أم تـنـاءَى
أبـدًا أفـتـح الـنـوافـذ مـن رو حيَ لـلـشـمـس وهْـي تـفـري الـغِـمـاء
لا رجـائـي مـسـاوم عـزمـاتـي لا وَلاَ الـخـوف مـحـدث لـي انـكـفـاء
أتـلـقـى الـذي يـجـيء بـه الـدهــ ـــر وأقـنـى تـجـمُّـلًا واجـتـزاء
وأحـاشـي زرع الـفـيـافـي وقـدمًـا خـاب مـن بـات يـرتـجـي الـصـحـراء
غـيـر أنـي وإن سـكـنـت إلـى الـيأْ سِ لأخـشـى مـن يـأسـيَ اسـتـشـراء
ربـمـا قَـرَّ زَاخِـرُ الـيـم حـيـنًـا ثـم آضـتْ أمـواجـه هـوجـاء
مـثـلـمـا سـادت الـسـكـيـنـة فـي الـحـو مـة والـقـوم يـنـتـوون الـلـقـاء

لا تدق الرياح لليمِّ طبلًا
لا ولا تنذر الثرى والسماء

بل يروئن في الكهوف مليًّا
وتناجي سمومها الجرباء

وكذاك الحياة أهول ما تسـ
ـمي إذا ساق صبحها البشراء

إنما نرقب الذبول إذا ما امـ
ـتلأ الزهر بهجة وبهاء

قلت: ما خير أن أظل حياتي
أتقصى وجوهها استقراء

أنا هذا الذي أحس، وهذا
كل ما قد وسعته استقصاء

أين كنا قبل الحياة وأنَّى
نغتدي بعد إذ نلاقي الفناء؟

أنا كون أحس أو صرخة بيـ
ـن سكونين أسكنا طخياء

أنا ظل ألقته سحب ينازعـ
ـن — على ربوة الحياة — الضياء

أنا سهم مضى من الغابر الما
ضي إلى المقبل البهيم مضاء

أنا ضوء الشهاب تومض ناري
وهْي تجتار هذه الأجواء

لست أدري هذا الفضاء لماذا
كان للناس والوجود غطاء

وأرى النجم طالعًا ثم يخفى
وأرى الصبح يعقب الظلماء

وأرى اليمَّ لا يزال له مـ
ـدٌّ وجزر قد أرهقا الأشطاء

وأرى للفصول في كل حول
دورة لا تحاول استثناء

كل شيء أراه ينبئ أن الـ
ـكون لا شك ملهم أنباء

آية الوحي ليس تخفى ولكن
سرها السر أعجز الحكماء

ما نصيبي من كل ما تأخذ العيـ
ـن؟ وهل من يُقسِّم الأنصباء؟

أترى حسنًا سواء وحس الـ
ـكون؟ أم ليس ما حيينا سواء؟

أترى القدرة التي تقدح الصبـ
ـح مضيئًا وتنسخ الأمساء

وتثير النسيم فينا عليلًا
وتسيل الدُّجُنَّة الوطفاء

وتذيع العبير في زهر الرو
ض وتشجي حمامهُ إشجاء

وتجيل الشباب في صفحة الوجـ
ـه وتضفي رداءه إضفاء

وتضيء الشموس في بهمة الكو
ن وتجلو لألاءهن جلاء

ومن الصخر تفجر الماء أنْها
رًا وما العهد أن فيه سخاء

وتربى جرثومة الخير في الأكـ
ـوان طرًّا وتنضج الآراء

غير تلك التي المنايا أياديـ
ـها فما إن تزل إلا التواء

تسعر النار في الجوانح والحر ب وتوري العداء والبغضاء؟
ضلة لامرئ يحاول أن يجـ ـلُوَ سرًّا يأبى علينا الجلاء
كلما أرسل الفتى سهم فكر زاد خبرًا بعجزِهِ وابتلاء
مثلما طخطخ الظلام فأبدى هوله ومض بارق قد أضاء
يا نسور المنى تعالي كما شئـ ـت فهيهات لن تصيدي ذكاء
لا يلم ناها الجناح إذا أ مَّ ذراها فأشبعته اصطلاء!
لا تلم نورها العيون إذا را مقته فانثنت تشكر العماء!
فدعيني أغشى الغمار وأضحي قبل أن يسدف المغيب العشاء
ودعيني أرعي الهواتف سمعي قبل أن يملك الردى الأرعاء
عصب الريق فاسقني قبل أن أُسـ ـقى بكأسٍ تذكي الحشا إذكاء
وانظمي لي من الورود أكاليـ ـل وأحيي بنفحها الأهواء
قبل أن يقضي الربيع ويلوي بي وبالزهر دهرنا إلواء

* * *

قالت النفس: هل ترى الأرض قد عا دت فراديس لذة غنَّاء؟
عيش حلالها غرير فمستنذ ر بأمن ووادع أحشاء؟
تسع النفس مثلما تسع الجسـ ـم فما تستضيق فيها فِناء؟
وترامت آفاقها فالأماني ليس تبغي وراءها أرجاء؟
لا تجوز المنى مداها وما للـ ـنَّفس حاج تريغهن وراء؟
زخرت أبحرًا وقرت صخورًا وسجت أعصرًا ورقت هواء؟
وأبى اللحظ أن يُمدَّ وأن يأ خذ إلا ريحانَها والإضاء؟
وأبى القلب أن يزايل طودًا مشمخرًّا لا يتقي إيهاء؟
أيُّهذا المفتون ماذا تُرى غا لَك؟ أم قد حسبتنا بُلهاء؟
إن هذي الحياة صحراء سوء نقطع الشرخَ قبلها والفتاء
ويغر السراب فيها ويُغرِي فنُغذُّ الإدلاج والإسراء
سَرْبَخٌ بعد سربخ وسُهوب دون أخرى وما بلغنا الماء
وجحيم من فوقنا ووطيس تحتنا يوسعانِنَا إحماء
ليتنا كالحديد نُصلَى لنُمْهى غير أنَّا نُصلى ولا إمْهاء

ولعمري الواحات كُثْر ولكن من تُرى مُبدلي ضلالي اهتداء؟
أنا في فَدفَد مُضلٍّ وأخلقْ بيَ أن أخطئ الطريق السَّواء
والهدى والضلال أقرب شيئيـ ـن ابتداءً منًّا وأنأى انتهاء
أي شيء أعددتَ للدهر أمَّا أوسعتْ عودك الصروفُ انحناء؟
وغدًا هيكل الحياة قد انها ر وأقوى أنيقه أقواء
ورمت ظلَّها عليك سحابا تُ شتاءٍ تُداجن الإمساء
لك منها صواعق ورعود وعَداك الحيا إذا فِضن ماء
وعلى أن فيضها ليس يجديـ ـك وهل ينفع السحابُ الإباء؟
وإذا أيبستْك وقدةُ عيش لم يُلنك استيكافُك الوطفاء
داؤنا كامن بنا ليس أنَّا لا نلاقي على البلى أعداء
ليت شعري إذا أدار عليك الـ ـدَّهر في مستداره الأرحاء
هل يعزيك بين طاحنتيهِ ذكر لذات ما مضى وتناءى؟
صور يلتمعن في ظلمة الهـ ـم كما ضم سبسب غَيْناء
وهْي أما علا رماد الليالي نارَ صدر ألفيتها محضاء
وعلى أن حادثات الليالي قد يرى بطؤها استكال وحاء
ليس بالموج أن أسر اختيانًا حاجةٌ أن يعاصفَ النكباء
زورق العمر من هشيم فحاذر ليِّنَ الماء حذرك الشرساء
وأقم من تيقظ القلب والرأ يِ على كل غَيْهم رقباء
وإذا ما صفت سماؤك فاذكر أنه رب صيحة خرساء
إن في الزهرة الذكية سمًّا كامنًا لا يَبين أو يتراءى
إن طي الكليل أشواك سوء راصدات تحاول الإرداء
فتنبه من غفلة الوهم واعلم أن للشر أعينًا نجلاء
أقمارًا بكل مالك في الدُّنـ ـيَا على ما لا يقتنى أنصباء؟
تبتغي سدرة الحياة ببيدا ء تُذرِّي سمومها الرمضاء
إن هذي الحياة وادي هموم نشرت فوقها المنايا طَخاء
إن بي لو علمت عن كل حسن زائل ليس يخلد؛ استغناء
وبحسبي شيوخ صدق مواض ملَئُوا الأرض حكمة ورواء

مـزجـوا الـنـار والـدمـوع فـكـلٌّ واجـد مـا اشـتـهـى: لـظـى أو مـاء
إن نشأ نـقـبـس الـحـرارة مـنـهـم أو نـشـأ نـطـفـئ الأسـى إطـفـاء
همـهـم هـمـنـا وصِـنْـوُ أمـانـيــ ــهـم مُـنـانـا فـهـل نـعـقُّ الإخـاء؟
إيه لا تطلب التعاطف في الأر ض فـتـجـنـي الأوجـاع والـعُـرواء
لـو تـجـيـب الـقـلـوب كل مـهـيـب عـادت الأرض جـنـة قـرحـاء
لـو غـدت لـمـسـة تـفـيـض يـنـابـيــ ــع جـمـال الـنـفـوس، لا الأسـواء
لـرأيـت الـحـيـاة أجـمـل مـمـا يـتـأتَّـى إذا اعـتـبـرنـا الـفـنـاء
قلَّ أن يـسـتـطـيـع صـفـوك بـالـو دِّ إلـى الـنـاس أن يـفـيـض الـوفـاء
قد ترى الشيء ليس يبصره الخد ن ولـو فـاض روحـه اسـتـجـلاء
ويـثـيـر الـربـيـع عـنـدك حـلـمًـا مـعـجـزًا فـهـم كـنـهـه الـعـشـراء
أيـن فـي الـنـاس وردتـان تـمـيـلا ن معًا للنسيم من حيث جاء؟
فـاطَّـرحْ هـذه الأمـانـي وارفـع لـحـظ عـيـنـيـك وابـغ ثَـمَّ الـسـمـاء

* * *

قلت: هل تهزئين بالعقل يا نفــ ــس فتلغي بمن مضوا لي اكتفاء؟
ما شيوخ الصدق الذين تقوليــ ــن أفاضوا على الحياة البهاء؟
أولـيـسـوا كـصـبـيـة يـتـضـاغـو ن بـأولـى هـذي الـحـيـاة سـواء؟
قد تَـهَـجَّـوْا من الـكـتـاب حـروفًـا مـا تـعـدوا بـعـلـمـهـا الـجـهـلاء
وسـعـوا سـعـيـهـم وإن عـلـيـنـا بـعـدهـم أن نـواصـل الإسـراء
أَدُمًى تعبدين فيهم؛ فما أضــ ــيع تقوى من يعبد الأسماء!
اعبدي الحق لا الشفاه اللواتي تـمـتـمـت ثـم أطـبـقـت إعـيـاء
لـو قـنـعـنـا بـسـعـي من سـبـقـونـا ورأيـنـا بـمـا أفـادوا اجـتـزاء
لـغـدا خـلـق كـل هـذي الـبـرايـا سـرفًـا بـل سـفـاهـة وهـراء
لـيـت لـي قـوة فـأبـطـش بـالـعـقــ ــل وأمـحـو آثـاره الـغـراء

في المُناجاة

داعبْتِني يومًا فهل تذكرين؟ لو يذكر السيف كلوم الطعين!
نعم هو السيف به تلعبين ولستِ تدرين الذي تصنعين
أوَّاه يا غيداء لو تعلمين! وكيف والسر بصدري دفين؟
أهواك والحب بلاء مبين وجنة يشقى بها المتقون
أمرُّ بالدار عسى تبصرين نِضْوك يحدوه إليك الحنين
كأنما يرمي عباب الهوى بشلوه صوبك لو تشعرين
والبحر قذَّاف بخُوَّاضه والبحر لا يعيي أواذيه طين
وا حسرتا إن حطَّمت صخرةٌ جثمانيَ الواهي وطيني المهين
لو كنت نارًا لخبت جذوتي في لجك الطاغي الذي تزخرين
يا درة غصتُ لها في الأسى كلَّت ذراعاي وما من مُعين
فضِّي غلافَ الصَّدَف المنطوِي عليك وابدي في سناك المبين
حجبت عني يا ضياء العيون يا راحة القلب وروح اليقين
ريحانتي هل خفت لفح الجوى وعصفه قبلك بالياسمين؟
صدقت! إني لافح عاصف تالله ما أنتِ وحر الشجون!

* * *

أكل ذنبي أن بي حبها؟ وددت لو مثلي إذنْ تذنبين!
ألا أرى حتى ولا ظلها؟ وا شقوة القلب الذي تسكنين!
نعمى حرمناها على حبنا يا ليتني كنت الخلي الضنين!

عـجـبـت لـلـحـظ وتـقـسـمـيـه ... ولـلـذي قد شـاء فيـه الـمـجـون
هبك منعت العين أن تجتلي ... جمالك الغض فما تمنعين؟
هل تمنعين القلب أن يصطلي ... جحيم حبيك الذي تسعرين
يـا فـتـنـة الـقـلـب ألا رقـيـة ... من أخذة السحر الذي تنفثين؟
أسمعْتِني صوتك في ضحكة ... فـضـيـة؛ واهًـا لـذاك الـرنـيـن!
ويـلـي لـقـد أصـبـحـت نـدابـة ... أبكي بكاء الطفل إذ تضحكين
قـد كـان لـي ثـوب رجـولـيـة ... زين إذا غيري اكتسى ما يشين
أيـن إبـائـي أن أسـام الأذى ... أيـن وفـائـي لـلـخـلاق الـرزيـن؟
تـجـمُّـلـي أيـن وأكـرومـتـي ... آوى إلى فيئهما ذي السكون؟
نـضـوت عـنـي كل دثـر ومـا ... خلفت لـي إلَّا شـعـار الجنون
خلفتني عاري الهوى ليس لي ... ما يستر القلب عن الناظرين!
كـأنـمـا الـدنـيـا قـواء فـمـا ... أحس هذا النـاسَ لو يعلمون
فـلا حـيـاء لـيَ أو عـزة ... وكيف والأرض خراب أمـين؟
أفوق ظهر الأرض من أستحي ... منه؟ أفي أرجائها من قطين؟
هل من يرى ضعفي وينعى به ... إذا أنا استحذى فؤادي الضمين؟
ما حيلتي لو أن لي حيلة؟ ... تـقـطـع الـقـلـب ومـا تـشـعـرين
هـيـهـات أن تدري بما هجته! ... أتشعر الشمس برمد الجفون؟
أخشى عليك الناس أن يلهجوا ... بـنـا ولـو كـانـوا مـن الأقـربـين
يا عزتي «تيهي» ولا تعلمي ... ما تعلم الدنيا التي تسحرين
وإن سـمـا مـن نـبـأي سـره ... إلـيـك يـومًـا وعـلـمـت الـيـقـيـن
ولـم يـكـن عطف فلا تـهـزئـي ... وحـسـبـيَ الـلـه إذا تـهـزئـيـن!

انظر إلى وجهي

انظر إلى وجهي الشتيم اللعين واحمد على وجهك رب الفنون
أحسب أن الله ما صاغني كذاك إلا رغبة في المجون
لو كنت للناس إلهًا، إذًا كنت بنفسي أول الكافرين
بل كنت أعنو للذي صغته كما عنا «زوس» الإله الفطين
ما ذنب إخواني أرميهمو بصورة شنعاء تقذي العيون؟
لم أُلْفِ من بينهمو واحدًا يعيرني رونقه والفتون
يا ليلتهم بالحسن يعدونني لما غدوا يذكون وقْد الحنين
مزيتي لا الحسن أزهى به كلا ولا شعري السخيف الهجين
ولا ثراء المال أوصيته الـ ـخاوي ولا الفضل الصريح المبين
لكنها الإخلاص لو أنه يكون لي يومًا شفيعي المكين

إلى صديق

أخوك إبراهيم يا مصطفى كالبحر لا يهدأ أو يستريح
كالبحر حي الموج وثَّابه لكنه من نفسه في ضريح
من حوله الشطآن لا تنثني تحبسه دون انسياح الفتوح
خلت من المعنى لحاظ له وكانت البرق المضيء المليح
لكنه رغم الدجى راصد يحارب الدنيا بجند الطموح
أنر إن اسطعت له عيشه فالعيش يجلوه الإخاء الصحيح
أنر وأني لك يا مصطفى هذا الذي يعجز عيسى المسيح؟
حواء يا أماه أنت التي أورثْتِني هذا البلاء الصريح
كم آدمٍ أخرجت يا أمنا من خلده بعد أبينا الطليح؟

* * *

مازلت رغم الدهر كفئًا له مشمرًا أطلب كنز الشحيح
فإن أنل من زمني مأربي نعمت في الدنيا بحسني الجموح
أو — لا — فحسبي سلوة أنني ما كنت يومًا بالجبان المشيح!